

مجلة الدراسات الإنسانية
تصدرها كلية الآداب والدراسات الإنسانية – كريمة – جامعة دنقلا
مجلة نصف سنوية – محكمة العدد السابع عشر يناير 2017م

مستشارو التحرير

- أ. د. عباس سيد أحمد زروق
أ. د. حسن على الساعوري
أ. د. عبد القادر محمود عبد الله
أ. د. على عثمان محمد صالح
أ. د. كباشي حسين قسيمة
أ. د. محمد المهدي بشري
أ. د. نصر الدين سليمان على
أ. د. محمد مهدي إدريس

رئيس هيئة التحرير:

د. عبد الحكيم حسن إبراهيم

رئيس التحرير:

د. محمد عز الدين على

نائب رئيس التحرير:

د. الرشيد محمد إبراهيم

سكرتارية التحرير:

د. السيد بخت أحمد

د. مجدي سليمان حمزة

د. أميرة علاء الدين صالح

قواعد النشر

تُعنى المجلة بترقية البحث العلمي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية وتهتم - على نحو خاص - بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير العلمية والندوات المتخصصة، كما ترحب بالمناقشات الهادفة والموضوعية لما ينشر فيها.

قواعد النشر بالمجلة:

- * يقدم المقال أو الدراسة مطبوعاً على ورق A 4 ومرفقاً معه قرص مدمج 3.5 فيما لا يزيد عن (7500) كلمة (25 صفحة) سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية.
- * ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى، كما لا يجوز إعادة نشره - كاملاً أو جزئياً - في وعاء آخر، إلا بأذن خطي من المجلة.
- * توضع إحالات المراجع في داخل النص وفق طريقة جامعة هارفارد (الطريقة الأمريكية) للتوثيق، وهي كما يلي: (الإسم الثالث سنة النشر، ص). هذا في حال أسماء الكتاب الأجنبي ومؤلفي المصادر العربية كالطبري. أما أسماء مؤلفي المراجع العربية، فتكتب ثلاثية مثل (أميرة علاء الدين صالح 2008م، ص109).
- * أما ترتيب المراجع في قائمة المراجع فيرد وفقاً لما يلي: في حال المراجع الأجنبية والمصادر العربية: اسم العائلة / اسم الشهرة، الاسمين الأولين سنة النشر، عنوان الكتاب/المقال، دار النشر، مكان النشر، (تضاف صفحات المقال في حال الدوريات)؛ بينما تكتب أسماء مؤلفي المراجع العربية ثلاثية في هيئتها العادية، وتليها بقية البيانات.
- * عرض المقالات والبحوث على محكمين مختصين في مجالات المجلة لإجازتها وتقوم المجلة بإخطار أصحاب المقال بقرار المحكمين، ولها حق إجراء أي تعديلات شكلية جزئية قبل نشر المادة دون أن يخل ذلك بمضمون المادة المنشورة في حالة الموافقة بنشرها.
- * تقبل البحوث من كافة الباحثين من داخل وخارج السودان.
- * الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث تعبر عن آراء كتابها وليس بالضرورة تبنيها من قبل كلية الآداب والدراسات الإنسانية.
- * تمنح المجلة كاتب المقال ثلاث نسخ من العدد الذي يحتوي على مقاله.
- * أصول المقالات التي ترد إلى المجلة لا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.
- * تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر.

* ترسل البحوث باسم السيد / رئيس هيئة التحرير - كريمة ص. ب 58 أو على البريد الإلكتروني على عنوان المجلة magazinearts@yahoo.com أو بالفاكس 0024923122954 تلفون 00249231820098

Guidelines for Authors

Human studies journal is a half-year publication representing articles in the field of social sciences and humanities aiming to pursue research and and scientific reports form a meeting for ground exchange of opinions. The .Journal welcomes articles, books, reviews and scitific reports.

* Submitted manuscripts should be written in Arabic, English or French, in the range of 7500 words (ca.25 pages). Typed in an A4 size paper along with a CD or 3.5 disk.

* The manuscripts should not have been published previously and should not be published elsewhere, in full or in part, without a written permission from the chief editor.

* References should be cited according to the Harvard University style of citation (the American style) (the surname year, p.), that's in case of references written in non-Arabic languages, or even in case of the classical /medieval Arab authors, such as Al-Tabari. The names of modern Arab authors should be written in its trible form, as (Amira Alaa El-Din Salih 2008, p.109).

* The bibliography should be arranged at the end of the text in the following order, in case of non-Arab authors and classical/medieval Arab writers: family name, the first two names year of publication, title of the book or article, (in case of book, name and place of publisher. In case of article journal serial number and article pages number). In case of modern Arab authors, the name should be written in its trible form.

* Submitted manuscripts would be evaluated by specialists in the field. If accepted, articles can be subjected to minor modifications.

* Each author is entitled to obtain 3 copies of the journal in which his/her article is published.

* The views expressed in the papers are the sole responsibility of the authors.

* Manuscripts will not be returned to their authors.

* Corresponding address: P.O.box:58 Karima, Sudan.

magazinearts@yahoo.come-mail:

Fax: 0249231822954

Tel: 0249231820098

كلمة العدد

الآن وبحمد الله وعونه وتوفيقه أصدرت هذه الدورية عددها السابع عشر وبلغت عيدها التاسع رغم ما أعاقها ويعيقها من عثرات، شأن كل دورية وليدة في مؤسسة وليدة. وقد تجاوزت في مسيرتها هذه رصيفات لها أكبر سناً ودعماً بفضل تشجيع القائمين في إدارة الجامعة والعاملين على تنفيذها في كلية الآداب والدراسات الإنسانية. وبذلك احتلت أماكن في خزائن مكتبات جامعات ومؤسسات علمية يفصلنا عنها بون جغرافي هائل، ذلك شأن ويبقى دافعاً لنا نحو مدى وبطموح بلا حدود.

ولا ولن يفوتنا بالطبع وفاءً وتقديراً أن نسدي الشكر والعرفان لتلك الصفوة من الأكاديميين الذين شكلوا سيلاً متصلاً من الأبحاث العلمية الجادة للحد الذي أصبح أمامنا عند صدور كل عدد من الدورية، كما من الأبحاث ما جملته ثلاثة أعداد أخرى قادمة هي قيد الإعداد النهائي، والدفع بها للمطبعة. فأدى ذلك إلى تأجيل نشر ما هو قيد النشر. تأجيل عاتبنا عليه بعض كتابنا الأعزاء، خاصة ونحن نعمل على إعطاء الأسبقية للأسبق. لهم العتبي حتى حين. وليوفقنا الله جميعاً.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

هيئة التحرير

محتويات العدد

- ١- كلمة العدد ٤
- ٢- دور مؤسسات التراث غير المادي السودانية في بناء مجتمع المعرفة . ٧
د. أحلام حسين الصادق. د.حسب الرسول علي الفكي.
- ٣- استخدام رموز تصنيف ديوي بالكتب أثناء النشر. ٥٣
د. أحمد حاج حامد محمد.
- ٤- دور التمويل الأصغر في محاربة الفقر في المناطق الريفية ٩١
د. عبدالروؤف محمد حسين هواش.
- ٥- اختلاف ابن عقيل والأشموني في بابي المبتدأ والخبر من شرح الألفية ١١٥
د. جمال الدين متوكل منصور.
- ٦- صيغ منتهي الجموع في سورة البقرة: دراسة نحوية صرفية ١٣٩
د. صديق خالد الحاج الإمام.
- ٧- الصور الفنية في النص القرآني، أشكالها الجمالية، وابعادها الدلالية "دراسة بلاغية" ١٦١
د.عبدالحكيم أحمد سرالختم جيني.
- ٨- الإدارة الأموية للمدينة المنورة ١٩٥
د. عبدالحكيم حسن ابراهيم سيد أحمد.
- ٩- التصنيف الآثاري وأهميته ٢١٣
د. بكر بن محمد برناوي.
- ١٠- السياحة الأثرية في السودان: المتاحف نموذجاً ٢٣٥
أ.د. عبدالرحيم محمد خبير.
- ١١- مؤشرات الفقر بولاية النيل الأبيض: دراسة منطقة الجزيرة أبا ٢٥٩
د. أحمد عبدالمولي د. دفع الله الطيب يوسف. د. طارق أحمد حسن.

12 -The Benefits of the Combination of Buprenorphine and the
Twelve-Step Program for the Treatment of Drug Addicts 291

Dr.Abualola, Turkey Hassan

13 -Teaching English Language to Arab Students: Problems and Remedies 327

Dr. Ahmed Ali Fadul Benyo .

دور مؤسسات التراث غير المادي السودانية في بناء مجتمع المعرفة دراسة حالة: ولاية الخرطوم

د. إحلام حسين الصادق عثمان

جامعة النيلين - الخرطوم - السودان

د. حسب الرسول علي الفكي عثمان

أمانة شؤون المكتبات - جامعة الرباط الوطني

الخرطوم - السودان

المستخلص

تحاول الهيئات العلمية السودانية المهتمة بمجتمع المعرفة مع نظيراتها العربية الإسهام في بناء مجتمع معرفي عربي. وتطمح هذه الدراسة لتبيين هذا الدور وإظهاره من خلال تجربة سودانية تعكسها هيئات تخصصت في التراث غير المادي؛ جمعاً وتوثيقاً وتنظيماً وحفظاً وبتأ وإتاحة؛ ذلك من خلال الإجابة عن سؤال رئيس، هو:

ما الأدوار التي تلعبها مراكز حفظ التراث غير المادي السودانية في المجتمع المعرفي السوداني؟ بجانب الإجابة عن أسئلة فرعية أخرى، مثل: ما الرؤية المستقبلية لمراكز حفظ التراث غير المادي السودانية لتحقيق أسس مجتمع المعرفة؟ وما أهم ملامح التراث غير المادي في المجتمع المعرفي العربي؟ وما معوقات إنتاج المعرفة في التراث غير المادي العربي؟

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوثائقي، والمنهج التحليلي بشقيه: المسحي، ودراسة الحالة؛ بتطبيقهما وتوظيفهما على الدراسات التي تناولت مجتمع المعرفة عبر مباحثه المختلفة، وتقويم دور مراكز التراث غير المادي السودانية لمعرفة مدى إسهامها في بناء مجتمع المعرفة.

أما مجتمع الدراسة فستمثلته الهيئات الآتية:

- معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم.
- مركز توثيق الحياة السودانية - وزارة الثقافة والإعلام.

- وحدة توثيق الدراسات السودانية - متحف المرأة السودانية - جامعة الأحفاد للبنات (أم درمان).

أما أدوات الدراسة المستخدمة، فهي: المقابلة، والملاحظة؛ بجانب استصحاب خبرة الباحثين التراكمية في مجال المكتبات ومراكز المعلومات أكاديمياً وعملياً؛ فضلاً عن أدبيات الموضوع المتوفرة لدى الباحثين.

أما أهم النتائج فمنها النقص الحاد في الميزانية ولاسيما في وحدة توثيق الحياة السودانية التابع لوزارة الثقافة، وقد تم تخريج باحثين متمكنين من معرفة تراث وطنهم بشكل ينعكس إيجاباً على إنتاجهم الفكري المادي عن التراث غير المادي؛ مما يسهم في نشره والتعريف به. وكذلك إثراء الثقافة العالمية والمشاركة في ثقافة المعرفة وتطويرها، وإطلاع الغير على الثقافة والتراث غير المادي السوداني الثري بمجالاته المختلفة والترويج له عبر الوسائل التقنية المختلفة.

أما أهم التوصيات فهي: حث الجهات المسؤولة عن التراث الثقافي غير المادي على حفظه وصونه واتخاذ التدابير اللازمة. ضرورة التعاون بين المؤسسات والمراكز العلمية المهتمة بالتراث الثقافي غير المادي والتنسيق بينها، والاستفادة من التراث الثقافي غير المادي في بناء مجتمع المعرفة وتمميته، وابتكار نظام تصنيف لعناصر الثقافة المادية في السودان تلتزم به المؤسسات الثقافية؛ بجانب إعداد مكنز للثقافة والمآثورات الشعبية السودانية. وتوظيف المآثورات الشعبية وغرسها في مناهج تعليم الأساس مما يجعل التلميذ مواكباً لما يدور في بيئته ويتفهمه وصولاً إلى معنى الوطنية. وإضفاء ثقافة: *أن التراث غير المادي يشكل مورداً اقتصادياً استراتيجياً مهماً* يضاف إلى الموارد الاقتصادية التقليدية المعروفة والسياحية على وجه الخصوص؛ للإسهام في تحويل المجتمع السوداني إلى مجتمع معرفي قائم على مبادئ مجتمع المعرفة وأسسها.

المقدمة:

يعيش العالم أجمع اليوم في عصر الإنترنت والرقمنة والتقنية والاتصالات وبسبب هذه الأدوات تغيرت المجتمعات؛ فقد عرف من قبل المجتمعات الصناعية وإلى وقت قريب المجتمعات المعلوماتية والآن المجتمعات المعرفية؛ وتبعاً لهذا التصنيف تقترب أو تبتعد

مجتمعاتنا العربية. ولم تحقق معظم الدول العربية نهضة تذكر في هذا الصدد إلا في بعض الدول (سالم محمد سالم، 2010م، ص75)، مثل مصر التي حققت قفزات إيجابية في مجال صناعة المعرفة فقد أنشأت مشروع القرية الذكية، التي تشمل مشروع الحكومة الإلكترونية؛ بجانب إحداث قوانين في مجال المعلوماتية والاتصالات. والإمارات التي أنشأت منطقة حرة للإنترنت (مدينة دبي للإنترنت) وجامعة للإنترنت ومدينة للعلوم والتقنية.

ويمثل التراث بشقيه المادي وغير المادي أحد مكونات مجتمع المعرفة في العصر الحديث ويشكل عنصراً رئيساً من أركان ثقافات الأمم بل واقتصادياتها؛ لذلك توليه الدول والمراكز العلمية والثقافية اهتماماً في جمعه وتدوينه وحفظه وتنظيمه ومن ثم إتاحتها وبثه للاستفادة منه محلياً وإقليمياً ودولياً ليسهم في تغيير المجتمع العالمي إلى مجتمع معرفي في نهاية الأمر.

والسودان أحد هذه المجتمعات وقد مرّ بهذه التغيرات ونحسب أنه اليوم مطالب بمسايرة الركب حتى يلتحق بالمجتمعات المتقدمة ليتفاعل معها أخذاً وعطاءً ويصبح عضواً مشاركاً في المعرفة، بل صانعاً لها في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية حتى يستطيع أن يملك قراره؛ لأن من يملك معلوماته يصنع قراره، على غرار: من يملك قوته يملك قراره.

ونأمل من هذا المنطلق أن يهتم المسؤولون في العالم العربي - ولاسيما السودان - بقطاع المعلومات والبنى التحتية للاتصالات والمعلومات بوضع السياسات الاستراتيجية لقطاع المعلومات وتوفير الميزانيات اللازمة لتنفيذ هذه السياسات، وكذلك توفير القوى البشرية المدربة، والاهتمام بالتعليم العالي الإلكتروني وغير الإلكتروني بالوسائل المختلفة سواء أكان تعليماً عن قرب أو عن بعد أو تعليماً مفتوحاً؛ حتى يتسنى لمتخذي القرارات تغيير المجتمع السوداني إلى مجتمع المعلومة والمعرفة.

أسئلة الدراسة:

- ما أهم ملامح التراث غير المادي في المجتمع المعرفي العربي؟

- ما معوقات إنتاج المعرفة في التراث غير المادي العربي؟
- ما الأدوار التي تلعبها مراكز حفظ التراث غير المادي السودانية في المجتمع المعرفي السوداني؟
- ما الرؤية المستقبلية لمراكز حفظ التراث غير المادي السودانية لتحقيق أسس مجتمع المعرفة؟
- ما الأسس التي يقوم عليها مجتمع المعرفة؟
- ما أهم مراحل تكوين مجتمع المعرفة؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على ملامح التراث غير المادي في مجتمع المعرفة العربي.
- الوقوف على المعوقات التي تؤثر في إنتاج التراث غير المادي العربي.
- معرفة دور مراكز حفظ التراث السودانية وتأثيرها في بناء مجتمع المعرفة السوداني.
- محاولة معرفة التخطيط والرؤية المستقبلية لمراكز حفظ التراث غير المادي السودانية لتحقيق الأسس التي يقوم عليها مجتمع المعرفة.
- معرفة الأسس التي يبني عليها مجتمع المعرفة.
- تحديد المراحل التي يتكون من خلالها مجتمع المعرفة.

أهمية الدراسة:

لم يعد إنتاج المعرفة قاصراً على الجامعات وصناعة التقنية فحسب؛ بل تعداهما إلى أنماط أخرى غيرهما من المؤسسات وهو بهذا الشكل أصبح عملية موزعة اجتماعياً، وبالتالي صارت الجامعات تشكل أحد مصادر إنتاج المعرفة وليست كل مصادر المعرفة؛ فعلى الجامعات التحول من الإنتاج التوثيقي للمعرفة إلى إنتاج المعرفة النشط اجتماعياً لتتوسع قاعدتها ومن ثم تكسب ثقة العامة التي تجلب لها الدعم المادي والاجتماعي؛ ونتيجة لمتطلبات العصر التقني والاتصالات ظهر اقتصاد المعلومات بوصفه منافساً اقتصادياً لقطاعي الغذاء والطاقة؛ وبالتالي هذا المنافس الجديد يحتاج لقوى عاملة تحركه وتدعمه وتؤثر فيه ويتأثر بها؛ فظهر ما يعرف حالياً بمجتمع

المعرفة. وبالطبع يتطلب هذا الواقد استعدادات وكفايات للهيئات القائمة التي ترعاه وتهتم به في جوانبه الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. والهيئات العلمية السودانية ليست ببعيدة عن هذا المجتمع؛ إذ تحاول مع نظيراتها العربية الإسهام في بناء مجتمع معرفي عربي من خلال تجربة سودانية تعكسها هيئات تخصصت في التراث جمعاً وتنظيماً وحفظاً وبتأ وإتاحة؛ فضلاً عن أن البحوث في هذا المجال قليلة ولم تتجاوز مرحلة الجمع والتدوين مع ضخامة الإنتاج في هذا النوع، وكذلك لأهمية بعض المعلومات التي قد لا توجد في المصادر المادية المتاحة مع الحاجة الملحة لها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية وربما الاستراتيجية والعسكرية في بعض الأحيان؛ لذلك جاءت هذه الدراسة لتبين دور المؤسسات السودانية المهتمة بالتراث غير المادي وإظهاره في تكوين مجتمع المعرفة السوداني.

منهج الدراسة:

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوثائقي؛ بجانب المنهج الوصفي التحليلي بشقيه: المسحي، ودراسة الحالة؛ بتطبيقهما وتوظيفهما على الدراسات التي تناولت مجتمع المعرفة عبر مباحثه المختلفة، وتقويم دور مراكز التراث غير المادي السودانية لمعرفة مدى إسهامها في بناء مجتمع المعرفة.

مجتمع الدراسة:

تمثل الهيئات والمراكز التالية مجتمع الدراسة، وهي:

- قسم الفولكلور بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم.
- مركز توثيق الحياة السودانية - وزارة الثقافة والإعلام.
- وحدة توثيق الدراسات السودانية - متحف المرأة السودانية - جامعة الأحفاد للنبات (أم درمان).

أدوات الدراسة:

المقابلة، والملاحظة؛ بجانب استصحاب خبرة الباحثين التراكمية في مجال المكتبات ومراكز المعلومات أكاديمياً وعملياً؛ فضلاً عن أدبيات الموضوع المتوفرة لدى الباحثين.

حدود الدراسة:

1. الحدود الموضوعية: دور مؤسسات التراث غير المادي في مجتمع المعرفة.
2. الحدود المكانية: مؤسسات التراث الثقافى بولاية الخرطوم (الموضحة في مجتمع الدراسة).

تعريف المصطلحات:

ظهرت تعريفات عدة لمصطلح مجتمع المعلومات وكذلك لمصطلح مجتمع المعرفة، من بين هذه التعريفات نختار لمصطلح مجتمع المعلومات Information Society (حشمت قاسم، 2003م، ص13) يقصد به كل الأنشطة والموارد والتدابير والممارسات المرتبطة بالمعلومات من حيث الإنتاج والتنظيم والبت والاستثمار. ويشمل إنتاج المعلومات أنشطة البحث العلمي المختلفة، بالإضافة إلى الجهود التطويرية والابتكارية والإبداعية والتأليفية الموجهة لخدمة الأهداف التعليمية والثقافية. ويعرّف أيضاً بأنه المجتمع الذي يعتمد في تقدمه وتطوره على المعلومات والاتصالات والحواسيب بشكل أساس.

أما مجتمع المعرفة: Knowledge Society (سالم محمد السالم، ص21) فهو المجتمع الذي لديه القدرة على إنتاج المعرفة وصناعتها والتحول نحو المجتمع المعرفى، وإثراء الحركة المعرفية بتوظيف المعلومات لصالح المجتمع وتنفيذ برامج التنمية؛ فضلاً عن القدرة على التعامل مع تقنية المعلومات واستخدامها في المجالات المختلفة واعتبار المعرفة إحدى دعائم الاقتصاد الوطني.

وهو بهذا التعريف يعني أنه مجتمع قائم على إنتاج المعرفة ونشرها وتوظيفها في المجالات كافة، بل حتى على مستوى الحياة الخاصة للأفراد. وعليه فإن مجتمع المعرفة أشمل من مجتمع المعلومات حيث تشكل المعلومات جزءاً من الأول بجانب وصفه أن أفراده يستخدمون قدراتهم وإبداعاتهم ومهاراتهم وملكاتهم؛ بينما تشكل المعلومات بجوانبها المختلفة المجتمع الثانى.

المأثورات الشعبية (احمد علي مرسى، 2007م، ص169): (الفنون والعادات والمعتقدات والمعارف الجمعية المأثورة التي عبر، ويعبر عنها، ومن خلالها الشعب عن

نفسه عن طريق فرد أو مجموعة أفراد، وسواء استخدم الكلمة أو الحركة أو النغمة أو الخط أو اللون أو تشكيل المادة أو آلة بسيطة أو ممارسة جماعية). وقد اختار صاحب هذا التعريف مصطلح (المأثورات الشعبية) من بين مصطلحات عدة، مثل: الفولكلور، تعبيرات الفولكلور، المعارف المأثورة وقد وصف هذا المصطلح بأنه المصطلح العلمي العربي الدقيق الذي يعبر عن المدلول.

التراث الشفهي أو التراث غير المادي (محمد الشحري، 2010): ويقصد به المعتقدات والأساطير وأشكال التعبير اللفظي والمعارف والمهارات التي تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل معتمدة على الذاكرة. ويختلف الباحثون حول تعريف التراث وتسميته (الشفهي) أو (غير المادي)، وقد اختارت اليونسكو التسمية الثانية كونها الأكثر شمولاً؛ فبينما يقتصر التراث الشفهي على المحكيات والقصص والأمثال والأغاني والأهازيج واللهجات،... يتسع مصطلح (التراث غير المادي) ليشمل المحكيات والعادات والتقاليد والألعاب والأزياء والطبخ.. الخ (سعاد جروس، 2007، ص13)؛ لذلك اختار الباحثان مصطلح التراث غير المادي كمصطلح إجرائي بدلاً عن مصطلح التراث الشفهي.

الدراسات السابقة:

1. دراسة: عبدالرحمن عبدالسلام جامل، التي بعنوان: التعليم الإلكتروني كآلية لمجتمع المعرفة (عبد الرحمن عبد السلام جامل):

هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على المنطلقات الفلسفية التي يقوم عليها مجتمع المعرفة والمراحل التي مر بها، وكذلك معرفة المعوقات والمشكلات التي تقف حائلاً دون انتشار التعليم الإلكتروني؛ بجانب معرفة أهم ملامح هذا النوع من التعليم والمتطلبات التي تساعد في تحقيق المجتمع المعرفي وكذلك هدفت الدراسة الخروج برؤية وتصور لتفعيل التعليم الإلكتروني لتعزيز أسس مجتمع المعرفة. استخدم الباحثان المنهج التحليلي. وأشارا إلى أن التعلم الإلكتروني لا بد من تطبيقه في مختلف المراحل الدراسية في العالم العربي بالرغم من تكلفته والجهود الهائلة التي يتطلبها؛ بيد أن

النتائج التي ستمخض عند تطبيقه تحقق النقلة المطلوبة التي ستسهم بشكل كبير في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

2. دراسة: إبراهيم نظمي محسن، التي عنوانها: المكتبات ومراكز المعلومات ودورها في نشر الوعي الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وصولاً إلى بناء مجتمعات المعرفة (إبراهيم نظمي محسن، 2007م).

تهدف هذه الدراسة إلى إيجاد أفضل السبل التي يمكن أن تلعبها المكتبات و مراكز المعلومات في توجيه القراء نحو الوعي الديني والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية عند المجتمعات. استخدم الباحثان المنهج الوثائقي بجانب المنهج التحليلي من خلال استقراء العلاقة بين الدعاية إلى مصادر المعلومات المختلفة، وأثرها على تكوين الفكر الديني والأخلاقي والسياسي الاجتماعي والاقتصادي، وربط هذا كله في الانتماء الوطني، وتطور الشعوب والأمم. وخلصت الدراسة إلى نتائج وتوصيات من أهمها:

1. تلعب المكتبات ومراكز المعلومات دوراً مهماً في التأثير على نشر الوعي الديني والسياسي والاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي.
2. لأساليب الترويج إلى مصادر المعلومات دور في بعث الوعي الديني والسياسي والاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي عند المستفيدين.
3. هناك تأثير مباشر للمكتبات على توجه المستفيدين نحو ثقافات معينة مما يؤدي إلى إعادة تشكيل ثقافة الفرد بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة.
4. تسهيل وصول الباحثين إلى المعلومات من خلال التحرير التام لها.
5. مشاركة المكتبات للمؤسسات الأخرى في بناء نظام إعلامي؛ يرسخ القيم الدينية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية وبعث للانتماء الوطني لدى الأفراد.

6. دراسة: كريستن م. لورد، التي عنوانها: هل نحن مقبلون على ألفية جديدة من المعرفة؟: خمس سنوات على تقرير التنمية البشرية العربية حول بناء مجتمع المعرفة 0 لورد كريستن م.، 2008م)

تناولت هذه الدراسة تقرير برنامج منظمة الأمم المتحدة للتنمية البشرية في العالم العربي في العام 2003؛ بالتحليل والتقييم بعد مرور السنوات الخمس التي تلت المؤتمر؛ ذلك لتحديد أوجه النجاح أو الإخفاقات لتحقيق مجتمع المعرفة وكذا القضايا الأخرى المطلوب إنجازها. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت إلى نتائج، أهمها: حققت الدول العربية تقدماً مهماً على صعيد الأهداف المرسومة في بعض الميادين، كالتعليم؛ إذ تجاوزت درجات بعض التلاميذ في بعض الدول العربية المتوسط العالمي في مادة العلوم للمرة الأولى في تاريخها. كذلك هنالك جامعات جديدة أنشئت حسب المواصفات العالمية، كما تحقق بعض النمو الاقتصادي؛ بجانب ازدياد خبراء التقنية باطراد.

أما الجانب السلبي فقد أبرزت الدراسة أن الرقابة المتزايدة تهدد محاولات تطوير مجتمع المعرفة. وأن نوعية التعليم متخلفة، كما تعاني المؤسسات التعليمية نقصاً في التمويل، وأن الأمية لا تزال تضرب بأطنابها في مختلف أرجاء العالم العربي. وأن بعضاً من الدول العربية لا تمتلك الصناعة فيها المعلومات الكافية ولا البنية التحتية الضرورية للاتصالات. وتوصي الدراسة بضرورة وجود نهج نمو مطرد في العالم العربي، مع ضرورة دعم بعضهم البعض وتفاعلهم مع دول العالم أجمع.

الإطار النظري

التراث غير المادي:

تمهيد:

أصبح مصطلح التراث الثقافي بمدلوله الحديث معروفاً منذ النصف الثاني من القرن العشرين؛ وكانت سياسات الدول قبل هذا التاريخ تقوم على حماية المعالم الأثرية المنقولة أو غير المنقولة بوصفها دالة على عظمة الحضارات العابرة أو حماية الأبنية التاريخية.

وقد بدأت تبرز أهمية الآثار في ستينيات القرن العشرين بوصفها تراثاً أكولوجياً وما تتضمنه من قيمة علمية وفنية وتاريخية وعادات وتقاليد ونشاطات اقتصادية؛ وبذلك ظهر مصطلح التراث الثقافى وكان المقصود به التراث الثقافى غير المادى.

وقد ظهر الاهتمام بالتراث غير المادى منذ بداية القرن العشرين من ناحية الجمع والتدوين؛ وقد اعتمد ذلك بشكل كبير على جهود الأفراد والمنظمات غير الحكومية. ونتيجة للتطور الفكرى والمعرفى وتنامى الاعتراف فى آن واحد بالدور الذى يؤديه التراث الثقافى غير المادى فى المجتمع لناحية المحافظة على الخصوصية الثقافىة فى الاقتصاد الوطنى ولاسيما الاقتصاد القائم على المعرفة والإنتاج الثقافى من جهة أخرى؛ بادرت العديد من الدول فى سبعينيات القرن العشرين لسد هذه الثغرات سواء بشكل منفرد على صعيد القانون أو بصفة جماعية على مستوى القانون الدولى.

وحتى بداية الألفية الثالثة لم تدرك وتهتم الحكومات العربية بأهمية التراث؛ الأمر الذى تنبته له اليونسكو فبدأت بتخصيص جائزة لحماية أشكال التعبير الثقافى، ثم وضعت اتفاقية خاصة بحماية التراث الثقافى صادقت عليها دول كثيرة ودعمتها. وقد دخلت هذه الاتفاقية حيز التنفيذ فى العام 2003، وقد نصت هذه الاتفاقية (عمر حبلب، 2007م، ص212) على دور الدول فى صون التراث الثقافى غير المادى وعلى التدابير الواجب اتخاذها فى هذا المجال ولاسيما من خلال وضع قوائم حصر وطنية للتراث الثقافى غير المادى الموجود على أراضيها، كما نصت الاتفاقية أيضاً على إمكانية تسجيل بعض عناصر التراث الثقافى غير المادى على القائمة الدولية؛ بهدف إبراز هذا التراث والتوعية بأهميته وتشجيع الحوار فى ظل التنوع الثقافى.

وفى نفس العام (2003) الذى وضعت فيه الاتفاقية عقدت اليونسكو مؤتمراً عن التراث فى العالم العربى بعنوان: الملتقى الإقليمى للمنطقة العربية حول صون التراث غير المادى وإعداد قوائم الحصر.

أقسام التراث:

اتفق علماء التراث ودارسوه على أن التراث ينقسم إلى الآتي (يوسف حسن مدني، 2007م، ص218):

1. الأدب الشفهي.
2. الثقافة المادية.
3. فنون الأداء.
4. العادات والمعتقدات والممارسات.

معوقات المحافظة على التراث غير المادي:

- صعوبة نسبة أو تحديد المعارف التراثية الثقافية غير المادية إلى إنسان أو مبدع بعينه؛ مما يصعب من تطبيق قانون الملكية الفكرية.
- وفي حالة نسبة منتج ثقافي غير مادي لفرد أو مجموعة ما فهو مع ذلك يصبح - غالباً ملكاً جماعياً.
- استمرار الحماية لأجل غير مسمى.
- صعوبة التوفيق بين نظام حماية حقوق الملكية الفكرية والمحافظة على الموروث الثقافي.
- مدى اقتراب أو ابتعاد نظام الملكية الفكرية مع قيم المجتمع ومصالحه، أم أنه يفضل حقوق الفرد على حساب مصلحة المجتمع، وهل هو يدعم الهوية الثقافية للمجتمع؟
- تعدد الثقافات السودانية والالتزام ببعض العادات والتقاليد لدى بعض المجتمعات؛ أثر في تقبل الناس لأي وافد جديد؛ بمعنى أن السودانيين وبعض المجتمعات العربية يحبون النمطية ويصعب على الكثير منهم التغلب على ذلك.
- اندلاع الحروب والأزمات من وقت لآخر يؤدي إلى عدم الأمن والاستقرار مما يؤثر سلباً على التراث، وهذا العامل يظهر بوضوح في الحالة السودانية. وترى رضية آدم (رضية آدم، 2007م، ص143) ضرورة مشاركة المجتمع في صنع السلام بتمليكه الحقائق والمعلومات الأساسية وتيسير سبل الوصول إليها حتى يمكننا إيجاد مجتمع

معرفي مستتير واع يشارك في إدارة الأزمات ويتفهم سياسات التقشف والحزم ولا يتمرد عليها، بل يطبقها ويدعو الآخرين لتطبيقها.

مجتمع المعرفة:

دعائم مجتمع المعرفة العربي ومرتكزاته ومؤشراته:

لا يمكن بناء مجتمع معرفي فعال إلا إذا أقيم على دعائم ومرتكزات مثل: توفير مناخ من التعبير الحر الخلاق، وعلى تعليم جودته عالية، وأن تلتزم الدول وتتسم بالعمق في العلوم والبحث العلمي؛ بجانب الصناعة المعرفية المنتجة وثقافة الإبداع والتعلم (لورد كريستين م.، ص10).

متطلبات مجتمع المعرفة:

قبل أن يتحول المجتمع إلى مجتمع معرفي هنالك متطلبات لا بد من توافرها فيه، منها: المعرفة المتخصصة، وأن يكون العمل ضمن منظمات، وضمن فريق عمل مع استخدام التقنية في مجال الاتصالات والمعلومات، كما لا بد للمجتمع أن يتصل بالمجتمعات المحلية والإقليمية والدولية بسبب عالمية المعرفة، كما عليه التعلم مدى الحياة (سالم محمد السالم، ص56).

أما مؤشرات مجتمع المعرفة، فيمكن إجمالها في الآتي (سالم محمد السالم، ص59):

- إحلال التقنية الفكرية محل الأحكام الذهنية؛ يؤدي إلى إضفاء طابع رسمي من الأحكام والتطبيقات الروتينية في المواقف المتغيرة التي تتطلب اتخاذ قرارات مبنية على أسس وقواعد علمية.
- نسبة الصناعة المبنية على التقنية المتقدمة، والصادرات التقنية المتقدمة من بين إجمالي الصادرات، والتحول من الإنتاج إلى الخدمات؛ مما يترتب عليه قضاء معظم الوقت في التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية وتحليل النظم وتصميمها وبرمجة المعلومات وتجهيزها.
- زيادة نسبة مستخدمي الإنترنت والبريد الإلكتروني.
- تقليص نسبة الأمية المعلوماتية في المجتمع.

- الاستثمار في رأس المال البشري من خلال التعليم والتعليم العالي وتوظيف التقنية في عملية التعلم بواسطة التعليم عن بعد والتعليم المفتوح والتعليم المستمر؛ حتى يصبح التعليم ركيزة أساسية وبوابة مجتمع المعلومات والمعرفة.

خصائص مجتمع المعرفة:

من خصائص مجتمع المعرفة أن يعتمد أعضاؤه على الإضافة إلى الرصيد المعرفي، وعلى البحث العلمي واستثماره في التقدم العلمي، كذلك أن يتخذ أفرادها قرارات سليمة باستخدام المعرفة وإنتاجها وتوظيفها توظيفاً يؤدي إلى الوصول إلى التنمية المستدامة؛ بجانب أن يظل الإنسان هو رأس المال في مجتمع المعرفة (سالم محمد السالم، ص55).

ويمكن أن يضاف إلى ما سبق أن من الخصائص أن تمحى الأمية المعلوماتية لأفراد مجتمع المعرفة وأن يتصف أفرادها بالصفات المتوفرة لنظرائهم في مجتمع المعلومات.

مشكلات المجتمع العربي:

تقف بعض العوائق والصعوبات أمام تحقيق مجتمع معرفي عربي، منها (سالم محمد السالم، ص ص61- 62):

- عدم توفر سياسات وطنية للمعلومات والتشريعات الخاصة بهذا المجال.
- ضعف البنية التحتية في مجال المعلومات وتقنياتها.
- نقص القوى البشرية المتخصصة والمؤهلة والمدربة في مجال تقنية المعلومات.
- النقص الشديد في الميزانيات المخصصة للتعليم والبحث العلمي.
- ضعف المحتوى العلمي العربي.
- تفشي ظاهرة الأمية المعلوماتية وارتفاع معدلاتها؛ أدى إلى غياب الوعي المعلوماتي.
- ارتفاع معدلات البطالة.
- النقص الحاد في البيانات والمعلومات الإحصائية الدقيقة الشاملة للدول العربية في قطاع المعلوماتية.
- النقص الحاد في صناعة المعلومات والمعرفة.

- مشكلة أمن المعلومات وسريتها.
- التحديات الثقافية التي من بينها بعض العادات والتقاليد التي تقعد عن النهضة والتقدم.

ويضاف إلى تلك المشكلات الآتي:

أن كثيراً من الأعمال العلمية بل بعض الأعمال الرسمية تقوم على الجهود الفردية التي تفتقر إلى التنسيق؛ مما يعني الغياب الواضح للجهود الرسمية القائمة على الرعاية الحكومية في البلد الواحد وانعدام - تقريباً - الجهود الموحدة بين الدول العربية.

الإطار التطبيقي

- جهود السودان في مجال جمع الفولكلور والمعارف التقليدية وتسجيلها (آسيا محجوب أحمد الهندي، متاح في: <http://faculty.ksu.edu.sa> سبتمبر 2012م):
يرجع تاريخ الاهتمام بجمع الفولكلور والمعارف التقليدية وتسجيلها في السودان بطريقة منهجية إلى النصف الثاني من القرن العشرين. ورغم حداثة الاهتمام بالجمع والتسجيل المنهجي لمادة الفولكلور إلا أن مصطلح الفولكلور كان يرد ضمن كتابات المؤرخين والرحالة من السودانيين والعرب وغيرهم ويأتي كتاب "الطبقات" لمحمد نور بن ضيف الله في مقدمة المصادر التي اهتمت بتسجيل مادة الفولكلور. ففي هذا الكتاب وردت العديد من الروايات الشفهية التي تعد من صميم اهتمامات الباحثين في علم الفولكلور؛ بالإضافة إلى بعض الإشارات الخاصة بعناصر الفولكلور الأخرى من أدب وعادات ومعتقدات وثقافة مادية.

ومن الرحالة العرب الذين اهتموا بتدوين مادة الفولكلور الشيخ محمد بن عمر التونسي في كتابه "تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان" الذي يعد واحداً من أهم المصادر العربية للتراث الشعبي في دارفور في القرن التاسع عشر. وفي النصف الأول من القرن العشرين قدم الشيخ عبدالله عبدالرحمن الضير كتابه "العربية في السودان، 1927" الذي دون فيه العديد من الأمثال والتراكيب اللفظية والعادات والمعتقدات والألعاب الشعبية.

وجاء تدوين الأمثال في مقدمة اهتمامات الشيخ بابكر بدري الذي جمع عدداً ضخماً من الأمثال السودانية نشرت في ثلاثة أجزاء. كذلك ساهم البروفسور عبدالله الطيب في تدوين بعض الأحاجي السودانية.

وفي زمن الاحتلال المبكر قام بعض الإداريين البريطانيين والأنثروبولوجيين ودارسي الآثار بتدوين بعض الظواهر الفولكلورية. ومن الباحثين الذين قاموا بتدوين هذه الظواهر نذكر- على سبيل المثال لا الحصر- كتابات إيان كنسون عن البقارة في كردفان ودراسة آر كل عن الفخار في دارفور وكروفوت عن الغزل والنسيج في السودان؛ بالإضافة إلى العديد من الدراسات التي تم نشرها في مجلة السودان في رسائل ومدونات.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين ازداد اهتمام السودانيون وغيرهم بتسجيل عناصر الفولكلور والمعارف التقليدية. ويعتبر الطيب محمد الطيب من الرواد الأوائل الذين قاموا بتسجيل وتوثيق الفولكلور في تلك الفترة من خلال برنامجه التلفزيوني صور شعبية؛ بالإضافة إلى العديد من المساهمات التي تم نشرها في الكتب والمجلات. ومن السودانيون الذين اهتموا بتدوين الفولكلور في ذلك الوقت الأستاذ حسن نجيلة الذي دون بعض مظاهر الحياة الشعبية من خلال كتابه "ذكرياتي في البادية". والبروفسور عون الشريف قاسم الذي قدم شرحاً وافياً لمفردات العامية في كتابه "قاموس اللهجة العامية في السودان 1972 م). ومن غير السودانيون نذكر مساهمات الدكتور عبدالمجيد عابدين في مجال الأدب الشعبي ومنها كتابه "تاريخ الثقافة العربية في السودان".

بالإضافة إلى هذه الجهود الفردية شهد النصف الثاني من القرن العشرين ظهور بعض المؤسسات الأكاديمية والرسمية التي جعلت أمر تسجيل الفولكلور والمعارف التقليدية أحد أهدافها الأساسية.

ودولياً ظل السودان ومنذ بداية الألفية الثالثة يشارك في كل اجتماعات اللجنة الدولية للفولكلور والمعارف التقليدية منذ تأسيسها في أكتوبر عام 2000 وحتى آخر اجتماع

عقد في عام 2005. وقد تمت هذه المشاركات بتمثيل من وزارة العدل والمجلس الاتحادي للمصنفات الأدبية والفنية؛ بالإضافة إلى بعض الشخصيات من منظمات المجتمع المدني.

أمّا على صعيد القوانين التي تحمي التراث وتقنن له فلا توجد قوانين خاصة بحماية الفولكلور والمعارف التقليدية في السودان وإنما ورد أمر الحماية في قانون حق المؤلف والحقوق المجاورة لسنة 1996؛ الذي تنص بعض فقراته على أن الفولكلور الوطني للمجتمع السوداني ملكاً عاماً للدولة، وعلى أن تعمل الدولة ممثلة في الوزارة (وزارة الثقافة والإعلام سابقاً) على حمايته بكل السبل والوسائل القانونية وتمارس صلاحيات المؤلف بالنسبة للمصنفات الفولكلورية في مواجهة التشويه والتحوير والاستغلال التجاري. وقد أجريت بعض التعديلات والإضافات على ذلك القانون كلها تصب في حماية التراث وصونه.

مؤسسات التراث غير المادي السودانية بولاية الخرطوم:

في البدء لا بد من الإشارة إلى أن الباحثين قد حددا أربع جهات لتكون مسرحاً للتطبيق إلاّ أنهما استبعدا واحدة من تلك الجهات ألا وهي دار الوثائق القومية؛ ذلك أن الدراسة تتناول التراث الثقافي غير المادي بينما تولت دار الوثائق التراث المادي حسب ما ذكر علي صالح كرار (علي صالح كرار، مقابلة، 2012م): (من النقاط التي ينبغي أن نشير إليها بقدر من الإشادة والثناء والمنهجية التي اتبعتها دار الوثائق* ومعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية في التنسيق والتعاون وتقسيم الأدوار؛ تحسباً لتكرار الجهود فانصرف هم الدار وتركزت عينتها في الموروث الوثائقي المدون، بينما اسندت مهمة جمع التراث الشفهي وتوثيقه لمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، على أن تعين دار الوثائق المعهد بتوفير العنصر البشري المؤهل في عمليات التوثيق الشفهي والجمع المحلي لهذا النوع من الموروث أو الإرث).

* دار الوثائق القومية هي الجهة الرسمية المعنية بحفظ الوثائق في السودان عبر الحقب التاريخية المختلفة في السودان وتمثل الذاكرة الجماعية الوطنية.

وعليه فإن مجتمع الدراسة التطبيقي، سيتكون من:

1. معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية.
 2. مركز تسجيل وتوثيق الحياة السودانية.
 3. قسم متحف المرأة السودانية.
1. معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية (متاح في: [http://iaas.uofk.edu: http://index](http://iaas.uofk.edu/index/)، 17.9.2012م).

أصبحت مسألة تطوير برامج دراسات أفريقية هدفاً لجامعة الخرطوم عندما أصبحت مؤسسة تمنح الدرجات العلمية في العام 1956م. وقد أنشئت وحدة أبحاث السودان في عام 1964 م، وكانت تتبع لكلية الآداب. وقد كان تركيزها على الدراسات الإنسانية في السودان، ولغرض إجراء البحوث في السودان، قامت الوحدة بتدريب باحثين سودانيين في اللغات السودانية وفي طرق تسجيل التراث غير المادي والمكتوب وجمعه. وقد تم نشر نتائج أبحاثهم في تقارير ودوريات، وقدمت كذلك في مؤتمرات عالمية برعاية وحدة أبحاث السودان.

وعندما ازداد ارتباط السودان بكل من العالم الأفريقي والعربي، وافق إداريو ومفكرو الجامعة على توسيع نطاق البحوث التي تجريها وحدة أبحاث السودان لتشمل الدول المجاورة في أفريقيا والشرق الأوسط في عام 1972م تم تحويل وحدة أبحاث السودان إلى معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية IAAS.

منذ العام 1972م قام المعهد بتطوير برامج بحوث شاملة داخل منظومة من تخصصات متداخلة. وفي الوقت الراهن يمنح المعهد درجات الماجستير والدبلوم العالي في مجالات الدراسات الأفريقية والآسيوية والفلكور واللغات السودانية والأفريقية. في عام 1981م بدأ المعهد برامج تمنح درجة الدكتوراه في الأقسام الثلاثة.

يوجد بالمعهد (15) محاضراً بدوام كامل، (7) مساعدي تدريس يدرسون لنيل الدرجات العليا. وهناك عدد من الأساتذة المتعاونين داخل وخارج الجامعة يسهمون في التدريس بالمعهد.

كما يوجد عدد من الأساتذة الزائرين الذين يقومون بتدريس مواضيع متخصصة. وجدير بالذكر أن أساتذة المعهد يقومون بالتدريس في عدد من الأقسام داخل الجامعة وخارجها.

الأهداف:

أسس معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية لتحقيق الأهداف الآتية:

1. تطوير الدراسات والبحوث المتعلقة بالسودان وأفريقيا وآسيا وترقيتها وتنسيقها ونشرها.
2. تشجيع مشاريع وترقية البحوث ذات الطبيعة التي تتداخل فيها التخصصات أو المشتركة بين أقسام الجامعة ووحداتها المختلفة.
3. تقديم دراسات عليا تمنح الدبلوم العالي، والماجستير والدكتوراه.
4. تأسيس مركز توثيق في مجال تخصص المعهد.
5. تنظيم سمنارات ومؤتمرات أكاديمية وفي الشؤون الأفريقية والآسيوية.
6. الاحتفاظ بالحق في نشر كافة المعلومات الناتجة عن المشاريع التي تنفذ تحت رعاية المعهد.
7. التعاون مع الأفراد، المؤسسات الهيئات المهمة بمجال تخصص المعهد.
8. تنفيذ كل مامن شأنه تحقيق أهداف المعهد.

أنشطة المعهد:

الفكرة الاستراتيجية لبرنامج سمنار المعهد (سمنار الإثنين):

يعد هذا النشاط من أهم الأنشطة بالمعهد منذ السبعينات برعاية أستاذ الأجيال بروفيسير يوسف فضل حسن. يتناول السمنار القضايا الأفريقية والآسيوية الراهنة التي تحتاج إلى تحليل دقيق وطرح حلول وتوصيات واضحة ومفيدة. ويتناول السمنار أيضاً بتركيز شديد التحديات الداخلية والخارجية في السودان والتحول المتوقعة وتتنوع الموضوعات على الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية.

السمنارات التي قدمت:

السودان: التحول الديمقراطي وآفاق السلام؛ تجربة النظام الفدرالي في الهند؛ نظرة متعددة المداخل لقضايا السودان؛ علاقات الشمال بالجنوب في فترة ما بعد الاستفتاء؛ أثر التحديات السودانية على القارة الأفريقية؛ كيفية بناء ومكاملة نظام الحكم في السودان.

أقسام المعهد:

1. قسم اللغات السودانية والأفريقية:

يركز القسم على البحوث والتدريب العالي في مجال اللغويات السودانية والأفريقية؛ بالإضافة إلى ذلك يقدم القسم دورات مكثمة في اللغات الأفريقية المختارة. يمنح القسم درجات الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه.

الأهداف:

- تزويد الطلاب بأسس نظريات التحليل اللغوي.
- مساعدة الطلاب في الحصول على نظرة عامة لوضع اللغويات العرقية الأفريقية عموماً والسودانية خاصة، وفهم المشكلات الناتجة عن هذا الوضع.
- تعريف الطالب بموارد السودان اللغوية الغنية، وتجهيزهم لاستعمال هذه المصادر لفائدة الأمة.

2. قسم الدراسات الأفريقية والآسيوية:

تقدم شعبة الدراسات الأفريقية والآسيوية برنامج دراسة يقوم على مبدأ تكامل المعرفة ويتعلق بأفريقيا والشرق الأوسط وآسيا، حيث تهتم الدورات الدراسية بالجوانب الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للأقاليم سابقة الذكر. ويعطى الطلاب الخلفية الضرورية لفهم الشؤون الأفريقية والآسيوية المعاصرة من خلال أعمال التدريس والبحث الموجه.

3. قسم الفولكلور:

يقدم القسم مقررات تؤدي إلى منح درجات الدبلوم والماجستير والدكتوراه بعد أن يستوفي المتقدم للدراسة شروط القبول التي حددتها الجامعة ومن أهمها الحصول على درجة البكالوريوس من جامعة الخرطوم أو ما يعادلها.

ويُعد قسم الفولكلور بجامعة الخرطوم الوحيد من نوعه في أفريقيا والوطن العربي وقد تخرج فيه طلاب من أفريقيا وكوريا واليابان والولايات المتحدة؛ بجانب السودانيين بدرجات الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه (شرف الدين الأمين عبد السلام، 2008منص46). وكما يظهر من اسمه فهو يختص بدراسة التراث المادي وغير المادي، وبالطبع هو القسم الذي تتناوله هذه الدراسة.

المنشورات

تنشر الشعبة سلسلة الإرث السوداني التي تستند إلى النصوص التي جمعت ميدانياً وقد بلغت واحداً وثلاثين موضوعاً. وعلى الرغم من أن السلسلة كتبت بالعربية إلا أن بعض موضوعاتها نشرت بالإنجليزية ولغات أخرى. نشرت الشعبة أيضاً مقتنيات في أرشيف الفولكلور والفهارس المتخصصة.

• المكتبة ومركز التوثيق:

تحتوي المكتبة على 17.000 كتاب وأكثر من 320 دورية ذات صلة بتخصص المعهد. وتعمل المكتبة بالتعاون مع مكتبة جامعة الخرطوم ودار الوثائق القومية والمكتبات المختصة داخل السودان وخارجه. يشرف على المكتبة موظفون مؤهلون تأهيلاً عالياً. وملحق بالمكتبة مركز التوثيق الذي يهتم بجمع مواد البحوث وتصنيفها. ويقوم المركز بنشر عدد من البليوجرافيات المتخصصة، كما ينشر مجلة بحوث السودان التي تقوم بتوثيق أنشطة المعهد.

وتحتوي المكتبة على بليوجرافية باللغة العربية والإنجليزية برسائل الدكتوراه والماجستير والدبلوم في أقسام اللغات الأفريقية والسودانية وقسم الفولكلور وقسم الدراسات الأفريقية والآسيوية وقسم اللغات.

وتتيح المكتبة لروادها من الطلاب والباحثين خدمات الإعارة الداخلية وخدمات

التصوير.

الأرشيف:

في بداية الأمر استعانت وحدة أبحاث السودان (الآن معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية) بطلاب المستوى الرابع والخامس بكلية الآداب في التخصصات المختلفة في

الإجازات الصيفية؛ حيث تحرص الكلية على إعطائهم جرعات تدريبية مكثفة عن كيفية جمع المادة التراثية من الحقل؛ بجانب توفير المعدات والأجهزة اللازمة (أجهزة تسجيل، كاميرات تصوير فوتوغرافي). وبعد انتهاء الطلبة من إنجاز المهمة الموكلة لكل منهم، تُسلم المادة للوحدة. وتعد هذه المحاولات بمثابة النواة الأولى لأرشيف الفولكلور لمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية؛ وفيما بعد أصبحت منهجية الجمع الميداني من ضمن المواد الإلزامية التي يدرسها طلاب المعهد ومن متطلبات الدراسة العلمية لطلاب الدراسات العليا.

هذا ويعد أرشيف المعهد ذاكرة السودان للتراث حيث إنه يوثق لحولي 3000 قبيلة من مختلف أنحاء السودان. ويمكن للباحثين الاستفادة من المواد المسجلة عن طريق الاستماع أو المشاهدة فقط، مع مراعاة حفظ الحقوق الفكرية في التوثيق حيث لا تسمح اللوائح بالنسخ أو الإعارة (عباس الحاج، 2012).

أرشيف الموسيقى التقليدية. (TRAMA)

أسس في عام 1994م بتمويل من مؤسسة فورد، ويعمل كوحدة مستقلة داخل المعهد. ويستضيف قسم الفولكلور هذه الوحدة. وقد وضع مقترح الوحدة على يد مختصين من أمريكا والهند والسودان في اجتماع عقد بالخرطوم عام 1993م. وخرج الاجتماع بأن الوحدة يجب أن:

1. تعمل كأرشيف وتوثق للموسيقى التراثية في السودان وتخدم البحث التراثي.
2. تسهل الوصول إلى المواد الموسيقية للمؤسسات والأفراد المهتمين بها وتسهل البحوث في مجال الموسيقى التراثية.
3. تجمع وتوثق الموسيقى التراثية.
4. تنتج الموسيقى لتشجيع الموسيقيين المحليين لتأليف موسيقاهم.
5. تحصل على المواد المنشورة للمكتبة وتقوم بتحضير ونشر البحوث العلمية.
6. تنظيم السمنارات وورش العمل وتسهم في الاجتماعات المحلية والإقليمية والدولية.

7. تتعاون مع المؤسسات الشبيهة في جميع أرجاء العالم.

يبلغ عدد المجموعات السمعية والبصرية حوالي 4000 ساعة مسموعة ومرئية جمعت عن طريق عمل ميداني في الثمانينيات. قامت الوحدة بطباعة ثلاثة كتب و(2) من فهارس النشرات وكتيب واحد.

أنتجت الوحدة (5) أشرطة كاسيت تمثل (5) نماذج للموسيقى التراثية السودانية في شرق السودان، والنيل الأزرق وجبال النوبة والإنشاد الصوفي، و قامت الوحدة بتنظيم عدد من السمنارات وورش العمل. وتعد هذه الوحدة وحدة ديناميكية تهتم بجمع وتوثيق وحفظ الموسيقى والفولكلور والتراث.

ما ذكر سابقاً هو تفصيل موجز عن المعهد ولن يريد مزيداً من التفاصيل عن المعهد عليه زيارة الرابط التالي:

http://iaas.uofk.edu/index.php?option=com_content&view=article&id=69&Itemid=79&lang=en

المعوقات والمشكلات:

- ندرة البحوث وقلتها في مجال الدراسات التراثية غير المادية ينجم عنها عدم التعريف به.
- غياب اهتمام الحكومات؛ إذ يحتاج هذا المجال إلى الدعم والتمويل.
- قلة الجهود الجماعية والاعتماد على الجهود الفردية وانعدام التنسيق بينهم.
- قلة الوعي بالقيم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وعدم الاهتمام اللازم بها في الإعلام والمناهج الدراسية.
- عدم وجود أرشيف وطني معياري وكذا عدم وجود قواعد بيانات خاصة بالتراث غير المادي.
- عدم وجود خطط علمية منسقة مع الجهات ذات الصلة، مثل وزارات الثقافة والشباب والتعليم وغيرها للتعريف بالتراث الثقافي.
- عدم توفير الحماية القانونية والتشريعات الوطنية الخاصة بالأزمة الخاصة بهذا الغرض.

2. مركز تسجيل وتوثيق الحياة السودانية (مركز توثيق الحياة السودانية، 2011) نبذة تاريخية:

بدأ اهتمام الدولة بتوثيق التراث الشعبي في العام 1972م حيث أفردت مصلحة الثقافة قسماً للدراسات والبحوث ليطلع بمهمة جمع الفنون التراثية من أشعار وأحاديث وحكم وسير وأحاج؛ إلى جانب رصد الممارسات الشعبية كالعادات المتوارثة والطقوس والممارسات المرتبطة بالعادات والمعتقدات وتسجيلها؛ بالإضافة إلى الألعاب الشعبية والصناعات التقليدية والفنون الأدائية كالرقص والموسيقى.

قدمت مصلحة الثقافة مشروع المركز القومي للإبداع الشعبي في العام 1973م وهو عبارة عن خطة لقيام مركز قومي يهتم بالفنون الشعبية بغرض جمعها وتصنيفها ودراستها دراسة علمية تعين على ترقيتها وتضعها موضع استثمار ونفع لتجني البلاد من ورائها الخير الكثير.

وعلى الرغم من أهمية المشروع إلا أن مصلحة الثقافة لم تتمكن من تنفيذ الخطة المطروحة. وفي العام 1976م تطور قسم الدراسات والبحوث بمصلحة الثقافة إلى: مركز دراسة الفولكلور والتوثيق الثقافى؛ بهدف الدراسة العلمية للثقافات الشعبية السودانية وتتبع مسار تفاعلاتها أفقياً ورأسياً وبذلك تكون مهام المركز قد تحددت بشكل جلي في جمع التراث الشعبي وتسجيله باتباع المناهج العلمية في مجالات الجمع والتصنيف؛ بالإضافة إلى نشر المادة الشعبية وعرضها للجمهور وتدريب أجيال من الباحثين للتعامل مع مادة التراث الشعبي في كل ولايات السودان. وبقيام الهيئة القومية للثقافة والفنون في العام 1992م - وضمن التحولات التي صاحبت برنامج الإحياء الثقافى - تحول مركز دراسة الفولكلور والتوثيق الثقافى إلى: مركز تسجيل وتوثيق الحياة السودانية. وعلى الرغم من المحاولة التي تضمنها برنامج الإحياء الثقافى لتوسيع دائرة عمل المركز فما زال الهدف الأساسي لعمل المركز، هو توثيق التراث الشعبي ودراسته دراسة علمية تعين على فهمه والاستفادة منه وربطه بقضايا المجتمع؛ وحتى يتحقق هذا الهدف يقوم المركز برصد حركة الفكر والإبداع التي تنتظم الساحة

الثقافية في السودان وتوثيقها بوصف أن هذه المناير توفر مادة أساسية للبحث والتخطيط في مختلف مجالات الحياة السودانية.

أهداف المركز:

1. تسجيل المادة الشعبية وتوثيقها باستخدام وسائل التقنية واتباع المناهج والأساليب العلمية بما يوفر مادة مفيدة لأغراض الدراسة والبحث والتحليل.
2. التصنيف العلمي للمادة الشعبية باستخدام الحاسوب في عملية تخزين المعلومة واسترجاعها؛ مما يسهل عملية الحصول على المادة بأيسر الطرق.
3. نشر المادة الشعبية من خلال الإصدارات العلمية والدوريات المتخصصة ووسائل الاتصال الأخرى.
4. عرض المادة الشعبية للجمهور من خلال إنشاء المتاحف وصالات العرض وإقامة المعارض داخل السودان وخارجه.
5. تدريب الباحثين على أساليب جمع التراث الشعبي وتوثيقه وحفظه.
6. رصد حركة الفكر والإبداع في السودان وتوثيقها في الماضي والحاضر؛ مما يقدم مادة أساسية للبحث والتخطيط في مجالات الحياة السودانية كافة.

اختصاصات المركز:

1. توثيق التراث الشعبي بشقيه المادي وغير المادي.
2. تسجيل العطاء الأدبي والفني المعاصر بالسودان وتوثيقه.
3. تسجيل الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية وتوثيقها.
4. تسجيل الشخصيات التي ساهمت في صنع الحياة الثقافية والاجتماعية في السودان وتوثيقها.
5. تسجيل البيئة الطبيعية والحيوانية والظواهر الطبيعية المنفردة وتوثيقها.
6. تسجيل التراث من المناطق المتأثرة بالتحويلات الإنمائية والمشروعات الاقتصادية وتوثيقها.

7. تسجيل المعالم الحضرية المهمة لمدن السودان وقراه (المعمار، الطبيعة، مواقع النشاط البشري) وتوثيقها.
8. تسجيل المناسبات الدينية والقومية وتوثيقها.
9. إصدار مجلة المركز الدورية التي تهتم بنشر الدراسات والبحوث التي تتم في مجال التراث الشعبي.

أقسام المركز:

1. شعبة البحوث والنشر:

تعنى هذه الشعبة بوضع خطط العمل الميداني من جمع وتحقيق وإجراء دراسات على المادة المجموعة ونشر البحوث، وتضم الأقسام التالية:

أ. قسم الأدب الشعبي:

يهتم هذا القسم بجمع الأدب الشعبي (شعر وحكاية وحكم وأمثال وألغاز) وتسجيله وتحقيقه ودراسته.

ب. قسم العادات والمعتقدات:

يهتم هذا القسم بجمع الدراسات في مجال العادات والممارسات الاجتماعية وتوثيقها وتحقيقها.

ج. قسم الموسيقى والرقص الشعبي:

يعنى هذا القسم بجمع الألحان وتوثيقها، وكذلك الأنماط الموسيقية من مختلف بيئات السودان وتوثيق الأغاني والموسيقى الشعبية وتحديد السمات المميزة للرقص الشعبي على مستوى التشكيلات المكونة للثقافة السودانية.

د. قسم الثقافة المادية:

يعنى بجمع عناصر الثقافة المادية ودراستها وتحليلها وتسجيلها، وكذا الحال بالنسبة للصناعات الشعبية كالمساكن والأثاث والأدوات المنزلية والطقوسية وإعداد الطعام وتخزينه وأدوات العلاج الشعبي ووسائله، والملابس والحلي وتصنيف الشعر والوشم ووسم القطيع والمعدات الزراعية والحربية والآلات الموسيقية والزخارف الشعبية.

2. شعبة التوثيق:

تعنى هذه الشعبة بتوثيق المادة المسجلة والمصورة في أوعيتها الخاصة وفهرستها وحفظها بصورة علمية تيسر التقاط المادة الموجودة بأيسر الطرق.

3. متحف التراث المادي:

يهدف متحف التراث المادي ويهتم بعرض عناصر الثقافة المادية على أسس مدروسة تمكن المشاهد من الجمع بين المتعة النظرية والمعرفية.

4. المكتبة المتخصصة:

توفر هذه المكتبة المراجع والكتب والمجلات المتخصصة للباحثين والدارسين في مجال الثقافة الشعبية.

5. قسم الأرشيف:

يحتفظ القسم بالمواد المسجلة علي: أشرطة الكاسيت - الريل (أسطوانة) حتى السبعينيات من القرن السابق ثم دخل تصوير الفيديو استمر حتى العام 2000م ثم بعد ذلك بدأ التحول إلى (CD) بالإضافة إلى وسائط الحفظ الأخرى، الحاسوب، الديسك والفلاشات. وتحتاج الأشرطة التي تسجل عليها المادة التراثية إلى بيئة حفظ معينة: كالتحكم في درجة الحرارة والرطوبة والضوء؛ بالإضافة إلى المكان المحفوظ فيه هذه المادة ومدى تهيتها لذلك.

الخطة الاستراتيجية للمركز:

1. إنشاء المقر الدائم للمركز بمواصفات تتسع لكل متطلبات العمل من صالات عرض وقاعة محاضرات ومتحف وأرشيف صوتي ومرئي ومكتبة متخصصة.
2. القيام برحلات عمل ميدانية لجمع التراث الشعبي تغطي كل مناطق السودان.
3. إنشاء مراكز للتراث الشعبي بكل ولايات السودان بالتعاون مع وزارات الشؤون الاجتماعية والثقافية بحكومات الولايات.
4. إنشاء متحف مركزي للأعمال التراثية تهتم بتصنيع النماذج الممتازة من الحرف والصناعات الشعبية في كل مناطق السودان بهدف إنتاجها وتوثيقها وتسويقها داخل السودان وخارجه.

5. تأهيل وحدة التسجيل الصوتي والمرئي باستخدام الأجهزة الرقمية وأجهزة التكيف الجاف.
6. توفير مادة التراث الشعبي لاستلهاها في مختلف مجالات الإبداع لمواجهة التحديات ومهددات الغزو.
7. التركيز على التراث بوصفه عنصراً أساسياً في التوجه نحو قضايا الوحدة والسلام والتنمية.
8. إقامة المعارض التراثية داخل السودان وخارجه وتسويق المصنوعات اليدوية جلباً للعملات الصعبة.

علاقة المركز بالمؤسسات المحلية والإقليمية والدولية:

أقام المركز - منذ إنشائه في السبعينيات - العديد من العلاقات مع المؤسسات التي تهتم بتوثيق التراث الشعبي ودراسته داخل السودان وخارجه، ومن أهم المؤسسات التي تعامل معها المركز:

1. قسم الفولكلور بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم؛ وقد تمثلت هذه العلاقة في الأنشطة التالية:

أ. تأهيل العاملين في المركز باستيعابهم في برامج القسم لدرجة الدكتوراه والماجستير والدبلوم.

ب. تنظيم دورات تدريبية قصيرة بالتعاون مع قسم الفولكلور لتدريب القوى العاملة في هذا المجال في كل من المركز والولايات.

ج. الاستعانة بالكادر الأكاديمي بقسم الفولكلور لتقويم المقالات التي تصدر بمجلة (وازا) وهي مجلة متخصصة تعنى بالتراث الشعبي يصدرها مركز تسجيل وتوثيق الحياة السودانية.

د. تقديم الاستشارة العلمية لكل أنشطة المركز المتعلقة بالبحوث والنشر.

2. قسم التراث الثقافي غير المادي بمنظمة اليونسكو وقد تقدم المركز بعدد من المشروعات لهذه المنظمة لغرض تمويلها ومن هذه المشروعات:

- مشروع تطوير الصناعات التقليدية في السودان.

- مشروع روائع الأدب الشفهي.
- مشروع الورش الخلاقة.
- 3. مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون الخليجي، وتتمثل الأنشطة في تبادل المطبوعات واستكتاب الباحثين في مجلة المآثرات الشعبية التي تصدر عن المركز.
- 4. منظمة التراث الثقافى بالجمهورية الإسلامية الإيرانية وقد وقع السودان اتفاقية بشأن التراث الثقافى بين البلدين.
- 5. مركز شرق أفريقيا لدراسة التراث الثقافى واللغات الوطنية (أكروتال) وقد استفاد بعض العاملين بالمركز من الدورات التدريبية القصيرة التي نظمها المركز قبل أن يتوقف نشاطه في الثمانينيات، وهناك بعض الجهود التي ما زالت تبذل حالياً لإحيائه وإعادة نشاطه.

أهم إنجازات المركز:

استطاع المركز ومنذ تأسيسه تحقيق العديد من الإنجازات، تتلخص في الآتي:

1. الجمع الميداني للمادة الفولكلورية:

قام المركز بإعداد خطة لتنفيذ بعض مشروعات العمل الميداني لجمع المادة الفولكلورية وتوثيقها؛ شملت معظم ولايات السودان وتم تنفيذ مسح فولكلوري في كسلا وحلفا الجديدة، والقضارف، وبورتسودان وشمال كردفان، وجنوب كردفان علماً بأن هذه المادة تم توثيقها في أشرطة كاسيت إلا أن سوء الحفظ والتخزين أدى لتلفها وضياع الكثير منها وفي العام (2006م) تم تنفيذ عمل ميداني في مسيد كدباس* وفي العام (2008م) تم مسح فولكلوري في منطقة البطانة (القضارف) وفي العام (2011م) تم رفع مشروع يشمل ولاية غرب دارفور وقد تمت المرحلة الأولى بإرسال

* مسيد: مسجد يشتمل على خلاوى لتحفيظ القرآن، وكدباس قرية تقع شمالي السودان بالقرب من مدينة بربر (الباحثان).

وفد المقدمة لتحديد المناطق المستهدفة من المسح ولم يتم استكمال المشروع نسبة لعدم التمويل.

وتجمع المادة التراثية غير المادية عن طريق الرحلات الميدانية لمناطق مختلفة متمثلة في الشعر والقصة والحكايات والألبسة والأطعمة وغيرها لمعرفة التراث بتلك المناطق ثم يتم توثيقها بالمركز. ويتم ذلك الجمع بالتصوير والتسجيل وتفرغ المادة من الكاتب إلى CD () ومن ثم تحول إلى كتاب (أي يتم تفرغ المادة بهدف الحفظ والإتاحة) (فضل الكريم سعيد، 2012م).

2. الطباعة والنشر:

ينشر المركز أعماله في مجلة علمية محكمة تعنى بالتراث تعرف باسم (وازا)** . وهذه المجلة نصف سنوية ولكنها غير منتظمة الصدور بسبب تذبذب الميزانية التي يخصص جُلها في إقامة الرحلات الميدانية لجمع المواد التراثية. أعد المركز بعض الكتيبات التي تعرف الباحث بالمادة الفولكلورية وطرق جمعها وتوثيقها في مرحلة التأسيس؛ بالإضافة إلى الإصدارات التي تعنى بالتراث الشعبي، مثل: الآلات الموسيقية التقليدية في السودان، ألعاب الصبية والأطفال في السودان، دور الحكاية الشعبية في التعليم، المرشد إلى جمع الأدب الشعبي، شعراء المدائح، (4 أعداد من مجلة الباحث، الخريطة الإثنية، (17) عدداً من مجلة وازا، كما تم إعداد كشاف لمجلة وازا، وتم إعداد كتاب البطانة وهو جاهز للطباعة.

وهناك بعض الإصدارات الأخرى التي هي الآن جاهزة للطبع، مثل: كتلوج الثقافة المادية، وهو عبارة عن: نماذج عن عناصر الثقافة المادية المقتناة بواسطة المركز وهي محاولة لتوثيق قطع الثقافة المادية الموجودة بالمركز عن طريق الرسم والتشريع والتصوير الفوتوغرافي.

** ويعبر اسم المجلة عن آلة موسيقية تراثية (آلة نفخ) مكونة من ثلاث عشرة قطعة مختلفة الأطوال مصنوعة من القرع وهذه الآلة توجد في مناطق النيل الأزرق البرية.

3. المعارض:

شارك المركز في عدد من المعارض داخل السودان وخارجه عاكساً بذلك الأوجه المتعددة للثقافة السودانية وعلى سبيل المثال: فقد شارك المركز في كل من: (مصر - الجزائر - ليبيا - اليمن - سوريا - قطر - مائيزيا - تشاد - عمان - إيران - تركيا) وفي مجال المعارض الداخلية تمت المشاركة في عدد من المؤتمرات والمهرجانات والمناسبات القومية بالبلاد بالإضافة لمشاركة الجامعات والمعاهد العليا في الأسابيع الثقافية السنوية.

7. الرصد والتوثيق الثقافي:

قام المركز بتوثيق فعاليات عدد من المؤتمرات والمهرجانات والندوات الثقافية المتنوعة بالإضافة إلى بعض المعالم الحضارية في مدينة الخرطوم مثل (حديقة الحيوان) ومن المؤتمرات والمهرجانات التي تم توثيقها بواسطة المركز: مؤتمر النظام الأهلي، المهرجانات الثقافية (من الأول إلى الرابع) ومهرجانات الموسيقى الدولية.

5. التدريب:

أقام المركز عدداً من الدورات التدريبية للتعرف على كيفية جمع المادة الشعبية وقد خصصت الدورة الأولى لتدريب الكوادر العاملة في المركز بالإضافة إلى عدد من الكوادر العاملة في الولايات لجمع المادة الشعبية وتوثيقها وحفظها في الحقل، كما خصصت الدورة الثانية للكوادر الصحفية التي تتناول مادة التراث الشعبي في أعمدة الصحف والمجلات السودانية، وخصصت الدورة الثالثة لعدد من الولايات لتدريب كوادرها وتأهيلها في هذا المجال. كذلك أقام المركز دورة متخصصة في مجال علوم الحاسوب وتقنية المعلومات للعاملين في مجال الثقافة في كل من المراكز بالولايات المختلفة.

المشكلات:

1. عدم وجود مقر دائم جعل المركز ينتقل من مكان لآخر مما أدى إلى تلف كثير من المقتنيات الشعبية وفقدان البعض الآخر.

2. عدم وجود المكان المناسب لحفظ المادة المسجلة والمصورة من حيث مواصفات المكان ودرجة الحرارة والرطوبة أضر بالمادة المسجلة على أشربة الريل والكاسيت والفيديو.
3. توقف عمليات الجمع والتوثيق من مصادرها الأصلية بسبب قلة الاعتماد المالي؛ أدى أن تقوم جهات أخرى بدور المركز (فضل الكريم سعيد، 2012م).
4. جمع المادة التراثية الشفافة (غير المادية) يحتاج إلى تهيئة ظروف معينة فالظروف الخاصة بالدراسة الميدانية تتطلب تهيئة الظروف الأمنية (فضل الكريم سعيد).
5. عدم مواكبة الأجهزة المستخدمة في عمليات التسجيل والتوثيق للتقنية التي حدثت في مجال الأجهزة الإلكترونية.
6. عدم وجود وسيلة للنقل والتي تعد من العوامل الأساسية لعمل المركز.
7. عدم ملائمة المكان الحالي لحفظ مقتنيات متحف التراث المادي وعرضها الذي يحتاج إلى صالات عرض واسعة تظهرها وتبين ملامحها.
8. افتقار المركز إلى وسائل العرض المتطورة والتي يتم من خلالها عرض عناصر الثقافة المادية الموجودة بمتحف المركز.
9. تلف بعض المواد التراثية الشفهية؛ يتطلب المعالجة وتسجيل بعضها مرة أخرى إذا أمكن.

الحلول والمقترحات:

1. إنشاء المقر الدائم للمركز بالمواصفات التي تسع كل متطلبات العمل بالمركز.
2. مد المركز بأجهزة تسجيل وتصوير رقمية بالإضافة إلى عدد من أجهزة الحاسوب لحفظ المادة الشعبية والمعلومات الخاصة بها واسترجاعها.
3. نقل المادة المسجلة في أشربة الكاسيت والريل والفيديو في اسطوانات مضغوطة لضمان بقائها لمدة أطول.

4. تدريب الكوادر العاملة في المركز على استخدام وسائل التوثيق الحديثة.
 5. التنسيق مع ديوان الحكم الاتحادي ووزارات الثقافة والشباب والرياضة بولايات السودان المختلفة لإنشاء مراكز ولأئية لجمع التراث الشعبي وتوثيقه ودراسته لتكون عوناً للمركز الاتحادي في أداء رسالته.
 6. الشروع في إنشاء المتحف المركزي بوصفه مشروعاً استثمارياً يهدف إلى إنتاج التراث بغرض تسويقه داخلياً وخارجياً بما يضمن العائد المادي للمؤسسة الثقافية ولأصحاب الحرف والصناعات التقليدية.
 7. إنشاء وحدة إنتاج تجارية يكون هدفها إنتاج مادة تراثية ذات كفاية عالية تتنافس مع مراكز الإنتاج الفني بهدف تسويقه إلى محطات البث الفضائي داخلياً وخارجياً.
- 3. قسم متحف المرأة السودانية (جامعة الأحفاد للبنات):**
- تأسست وحدة توثيق الدراسات النسوية بجامعة الأحفاد للبنات في العام 1989م بوصفها تدرجاً وتطوراً علمياً للدراسات النسوية بالجامعة، وهي تدرك أن التوثيق في السودان يعد ضعيفاً ولاسيما في مجال الدراسات النسوية؛ لذلك نبعت فكرة إنشاء متحف للمرأة السودانية بالجامعة (وقد شرعت في تنفيذه بعد أن أجازته المجلس العلمي بالجامعة) ومن ثم تم تقسيم المشروع إلى مرحلتين:
- المرحلة الأولى: بيت المرأة وهو نواة للمرحلة الثانية.
- المرحلة الثانية: إقامة متحف المرأة كاملاً.
- ومتحف المرأة السودانية متحف تخصصي توثيقي يختص بالتوثيق الملموس والمرئي ويهدف إلى:
1. عكس دور المرأة: الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي، الإنتاجي والسياسي.
 2. المحافظة على التراث الخاص بالمرأة من الاندثار.
 3. عكس التطورات التي طرأت على حياة المرأة قديماً وحديثاً.
 4. عكس الحياة العادية للمرأة السودانية في التاريخ القديم والحديث بجانب الجماليات من حلي وأدوات.

5. توفير المعلومات بصورة مرئية وملموسة للدارسين والباحثين والجهات المهتمة بالدراسات النسوية.

6. توثيق حياة الرائدات السودانيات.

7. السعي لتوفير المعلومات التاريخية لأجيال المستقبل من أطفال وتلاميذ وطلاب مدارس.

أنشطة متحف المرأة السودانية وبرامجها:

أهم الإنجازات:

1. دراسة عن تمثيل المرأة في المتاحف السودانية غطت متاحف العاصمة القومية 1990م.
2. تقرير مسحي عن استجابة الأساتذة والطالبات بجامعة الأحفاد لفكرة متحف المرأة السودانية 1990م.
3. دراسة عن أهمية الدراسات النسوية في السودان ومبررات تبني جامعة الأحفاد للبنات لمشروع متحف المرأة السودانية 1990م.
4. دراسة تمهيدية لفكرة متحف المرأة السودانية بجامعة الأحفاد للبنات.
5. تدريب ثلاثة من أعضاء هيئة التدريس من جامعة الأحفاد في متحف السودان القومي لمدة شهرين 1993م.
6. تكوين جمعية متحف المرأة السودانية بجامعة الأحفاد من طالبات وهيئة أعضاء التدريس والمتعاونين 1994م.
7. بحث مسحي عن استجابة طالبات الجامعات بالعاصمة لفكرة إنشاء متحف خاص بالمرأة السودانية اقترحته وأشرفت عليه وحدة التوثيق وأعدته طالبات من جامعة الأحفاد للبنات 1995م.
8. افتتاح المرحلة الأولى من متحف المرأة السودانية (بيت المرأة) مارس 1996م.
9. ورشة عمل ليوم واحد تحت عنوان متحف المرأة السودانية في 23 أكتوبر 1996م بقاعة الشارقة بالخرطوم أقامتها وحدة توثيق الدراسات النسوية بجامعة الأحفاد للبنات بالتعاون مع مؤسسة فرديش آيبرت الألمانية.

10. تحقيق بروتكول تعاون مع متحف السودان القومي ومعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية شعبة الآثار بجامعة الخرطوم ومتحف التراث الشعبي.
11. ورشة عمل تدريبية بمتحف السودان القومي في المدة 7- 10 أبريل 1997م أقامتها وحدة توثيق الدراسات النسوية بجامعة الأحفاد للبنات بالتعاون مع مؤسسة فردريش آيبرت الألمانية.
12. إقامة معرض عن متحف المرأة السودانية في المدة من 5- 12 أكتوبر 1998م؛ وذلك بالنادي الألماني بالخرطوم بالتعاون مع مؤسسة فردريش آيبرت الألمانية.
13. إقامة معرض لمتحف المرأة السودانية في الفترة من 28 سبتمبر حتى 12 أكتوبر 1999م؛ ذلك في إطار الاحتفالات بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس وحدة توثيق الدراسات النسوية.

طرق جمع المواد التراثية بالمتحف (أميمة مصطفى، 2012م):

تجمع مواد المتحف عن طريق شراء بعض المواد مثل زي المرأة المتمثل في القرمصيص والفركة وأدوات الزينة المختلفة، والأواني مثل، (صحن الباشري). ونسبة الشراء بصفة عامة ضعيفة جداً بالمتحف لأن الجامعة لا تخصص ميزانية معينة لشراء مثل هذه المواد.

أما الإهداء فغالباً ما يتم عن طريق الأفراد والمواد المهواة هي: أعمال الإبرة من بعض السيدات اللاتي يطلبن - في بعض الأحيان - كتابة أسمائهن عليها عند عرضها. وأيضاً من المواد المهواة الأواني القديمة مثل، صواني النحاس، وكذلك صور الرائدات في المجالات المختلفة. وفي الرحلات الإرشادية التي تقوم بها الطالبات ضمن البرامج الإلزامية للكليات، يُهدي لهم بعض المواد التراثية؛ فقد أهدت إحدى النساء في منطقة من مناطق السودان محفظة قديمة لإحدى الطالبات وطلبت منها وضعها في المتحف.

وهناك طرق أخرى لجمع المواد التراثية الخاصة بالمرأة مثل، رحلات الإرشاد الريفي للطالبات اللاتي يصطحبن معهن استبانة صممت بطريقة علمية بمساعدة أفراد من التخصص المطلوب دراسته لجمع المعلومات عن عادات مناطق مختلفة في السودان وتقاليدها. وأيضاً عن طريق أعضاء جمعية المرأة وهم طلاب من مختلف مناطق السودان

حيث يقوم هؤلاء الطلاب بجمع المواد التراثية الخاصة بالمرأة من مناطقهم السكنية وهذه المواد قد تضم الملابس والأواني والصور والأطعمة وكذلك بعض الأشياء الخاصة بطقوس الزواج (الجرتق).

تنظيم المواد التراثية وتسجيلها (أميمة مصطفى، 2012م):

يوجد بالمتحف العديد من التسجيلات التي توثق للرائدات ويستفاد منها في الدراسات والبحوث وتوجد هذه التسجيلات حالياً في أشرطة الكاسيت العادية والآن بصدد تحويلها إلى أقراص مدمجة (CD) (للمحافظة عليها وإتاحتها بصورة أكبر للمستفيدين، وهذه الأشرطة مصنفة حسب المجالات الموضوعية المتخصصة كالتعليم والصحة وغيرها.

وتنظم المواد بمتحف المرأة السودانية بجامعة الأحفاد وفقاً للآتي:

1. مجموعة تعكس أعمال الإبرة مثل القطبة والكرشية والفل.
 2. مجموعة الأعمال اليدوية مثل الطبق والمندولة والبرش.
 3. مجموعة أدوات المطبخ.
 4. مجموعة أدوات الزينة.
 5. مجموعة الأزياء مثل، توب الزراق وتوب السرتي والرحط.
 6. مجموعة المأكولات الشعبية مثل، المرس والكول.
- مجموعة الرائدات في السودان (وهي عبارة عن توثيق لسيرة ذاتية لرائدات في مجالات مختلفة مثل التعليم والصحة والسياسة... الخ).

إتاحة المواد التراثية بالمتحف (أميمة مصطفى):

كل المجموعات الموجودة بالمتحف متاحة لكل المستفيدين داخل السودان من مختلف الجهات والمؤسسات والمدارس والجامعات، وأيضا للعرب وللأجانب من خارج السودان. مجموعات المتحف ثابتة لا يُشارك بها في أية جهة من الجهات التراثية أو المحافل أو المناسبات ويسمح فقط بدراستها وتصويرها.

المشكلات التي تواجه المتحف (أميمة مصطفى):

يواجه المتحف العديد من المشكلات منها:

1. عدم الوعي العام بأهمية الموروثات الشعبية بصفة عامة.
2. جمع المواد التراثية بالمتحف موسمية مرتبطة بالرحلات الإرشادية للطلاب فضلاً عن الميزانية المشتركة.
3. ضيق المكان يؤثر بشكل كبير في طريقة العرض وبذلك تتأثر المعروضات.
4. عدم اتباع نظام ثابت عالمي أو إقليمي يوضح كيفية تنظيم هذه المواد.
5. تدريب العاملين بالمتحف وتأهيلهم.
6. تعدد المواد التراثية بالمتحف يتطلب طرقاً عديدة للحفاظ؛ مما يصعب حفظها، فالملابس تحتاج لطرق حفظ تختلف عن مواد الزينة وهكذا.

الخطوات المقترحة:

- كتابة مقترح مشروع متحف المرأة السودانية بالطريقة العلمية بعد الاستعانة والتشاور مع ذوي الاختصاص والبحث عن مصادر التمويل اللازمة له.
- توسيع عمل المتحف بإنشاء قسم للأرشيف بالتوثيق الحي المباشر.
- جمع الوثائق والبحوث الخاصة بالمرأة في جميع المجالات وحفظها.
- وضع خطة متكاملة لجمع مقتنيات المتحفية وتوثيقها وصيانتها.
- التدريب المرحل داخلياً وإقليمياً وعالمياً.
- الانضمام إلى اتحاد المتاحف الدولي (ICOM).

وسائل التطبيق:

- تكوين لجنة متابعة تحت إشراف وحدة توثيق الدراسات النسوية تتبثق عنها لجنة إدارية للمتحف.
- الاتصال بالمؤسسات النظرية ذات الصلة بالمتاحف.
- إعداد ميزانية من أجل قيام متحف المرأة السودانية.
- الاستفادة من رحلات الإرشاد الريفي التي تقيمها جامعة الأحفاد سنوياً وإشراك طالبات الجامعة في جمع مقتنيات المتحف من ولايات السودان المختلفة.

خاتمة: النتائج والتوصيات:

يشير مجتمع المعرفة إلى أن هناك تكويناً عقلياً مشتركاً بين أفراد المجتمع يحقق نوعاً من الوجدان العام والشامل ينتج عنه في النهاية العادات والتقاليد والثقافات والأمزجة والميول التي تميز مجتمعاً عن آخر.

وتحقيق مجتمع المعرفة لأمة ما مرهون بمدى وعيها بمكوناته العقلية والثقافية والوجدانية واستغلالها لمصلحة ذلك المجتمع، مستصحة في ذلك تنوع الشعوب والمجتمعات في العالم، مؤثرة ومتأثرة بهذا التنوع والتميز لتحقيق التكامل بين شعوب العالم عبر شبكة من العلاقات.

ويُعد السودان من الدول الرائدة في الاهتمام بالتراث كما تبين من هذه الدراسة، لكننا نطمح ونطمح أن يولي المسؤولون هذا الأمر مزيداً من العناية والاهتمام بتذليل الصعوبات والمشكلات والعوائق التي تواجه الباحثين والمسؤولين في المراكز والمؤسسات العلمية والأكاديمية والاقتصادية والاجتماعية في مجال التراث بعامه والتراث غير المادي بخاصة؛ حتى يحقق آمالهم وتطلعاتهم في تكوين المجتمع المعرفي السوداني وبنائه وتطويره.

بعد قيام الباحثين بدراسة المراكز التراثية عينة الدراسة والوقوف على جوانبها المختلفة، خرجا بالنتائج الآتية:

- النقص الحاد في الميزانية ولاسيما في وحدة توثيق الحياة السودانية التابع لوزارة الثقافة.
- تم تدريب باحثين وإعدادهم علمياً ومنهجياً وتقنياً للتعامل مع مكونات التراث غير المادي.
- تم تخريج باحثين متمكنين من معرفة تراث وطنهم بشكل ينعكس إيجاباً على إنتاجهم الفكري المادي عن التراث غير المادي؛ مما يساهم في نشره والتعريف به.
- تخريج طلاب من أفريقيا وكوريا واليابان والولايات المتحدة؛ بجانب السودانيين بدرجات الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه من بعض المعاهد والمراكز السودانية، ويؤدي هؤلاء الخريجون خدمات جليلة لمراكز التراث في الدول الخليجية والغربية والآسيوية.
- إسهام هذه المراكز في الوعي الثقافي المحلي.

- تثري هذه المراكز الثقافة العالمية، والمشاركة في ثقافة المعرفة وتطويرها. (إعادة صياغة)
- اطلاع الغير على الثقافة والتراث غير المادي السوداني الثري بمجالاته المختلفة والترويج له عبر الوسائل التقنية المختلفة.
- للمأثورات الشعبية دور في تنمية الوعي بالحس الوطني وربط الجماعات وتذويب الفوارق.

وأما التوصيات فهي:

- تذليل الصعوبات والمشكلات - الواردة في هذه الدراسة وغيرها - التي تعترض جمع التراث المادي وتدوينه وصونه وتنظيمه ونشره.
- حث الجهات المسؤولة عن التراث الثقافى غير المادي على حفظه وصونه واتخاذ التدابير اللازمة.
- ضرورة التعاون بين المؤسسات والمراكز العلمية المهتمة بالتراث الثقافى غير المادي والتنسيق بينها.
- تخصيص جزء من الميزانية العامة للدولة للنهوض بموضوع التراث.
- الاعتراف بأهمية التراث الثقافى غير المادي الموجود في بعض الجهات الرسمية والأكاديمية ونقله إلى وسائط رقمية.
- الاعتراف بأهمية المعارف الشعبية التقليدية بوصفها مصدراً للثراء الاقتصادي والثقافى، ومدى إسهامها في التنمية المستدامة؛ ذلك بحمايتها وتقنينها وتسجيلها ونشرها.
- الاستفادة من التراث الثقافى غير المادي في بناء مجتمع المعرفة وتنميته.
- مشاركة المجتمع في صنع السلام بتمليكه الحقائق والمعلومات الأساسية.
- ضرورة استخدام التقنيات الحديثة في المجال؛ يسهم في توعية واحترام المواطن لتراثه الثقافى قد يشكل عاملاً مهماً لبناء مجتمعه المعرفى؛ فضلاً عن تدريب العاملين وتنظيم ورش العمل داخل السودان وخارجه والتعاون مع المؤسسات الإقليمية والدولية.
- ابتكار نظام تصنيف لعناصر الثقافة المادية في السودان تلتزم به المؤسسات الثقافية؛ بجانب إعداد مكنز للثقافة والمأثورات الشعبية السودانية.
- ندعو المسؤولين بإقامة معارض وأسابيع ومناشط ثقافية بهدف توظيف التراث غير المادي في شكل منتجات في الجامعات والمراكز الثقافية.

- توظيف المآثورات الشعبية وغرسها في مناهج تعليم الأساس يجعل التلميذ مواكباً لما يدور في بيئته ويفهمه وصولاً إلى معنى الوطنية.
- التوعية الإعلامية بأهمية التراث الثقافى غير المادى ومدى أهميته في تغيير المجتمعات.
- إجازة تشريع قانونى يكفل الحماية لكل عناصر الفولكلور والمعارف التقليدية وينظم طرق استغلالها.
- إضفاء ثقافة: أن التراث غير المادى يشكل مورداً اقتصادياً استراتيجياً مهماً يضاف إلى الموارد الاقتصادية التقليدية المعروفة والسياحية على وجه الخصوص؛ للإسهام في تحويل المجتمع السودانى إلى مجتمع معرفى قائم على مبادئ مجتمع المعرفة وأسسها.
- كما يأمل الباحثان تبني التوصيات الواردة في هذه الدراسة وغيرها من توصيات تهدف إلى تحقيق أهداف هذه الدراسة في إقامة مجتمع معرفى سودانى يسهم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

المراجع:

1. آسيا محجوب أحمد الهندي. الحفاظ على المعارف التقليدية والفولكلور في السودان. - متاح في: <http://faculty.ksu.edu.sa/naserz/DocLib/05%20%20Soudan.pdf><http://faculty.ksu.edu.sa/naserz/DocLib/05%20%20Soudan.pdf>
- <pdf>. - تاريخ الإتاحة: <2012/09/16>.

2. إبراهيم نظمي محسن. المكتبات ومراكز المعلومات ودورها في نشر الوعي الدينى والأخلاقى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى وصولاً إلى بناء مجتمعات المعرفة / إبراهيم نظمي محسن، رائد سليمان. - cybrarians journal. - 14ع (سبتمبر 2007). - <متاح في: http://www.journal.cybrarians.info/index.php?option=com_content&view=article&id=419:2009-08-02-07-59-18&catid=137:2009-05-20-09-51-17

3. أحمد بدر. مجتمع المعلومات بين التكنولوجيا المتطورة والقيم الإنسانية. - في: أبو بكر محمود الهوش. التقنية الحديثة في المعلومات والمكتبات: نحو استراتيجية عربية لمستقبل مجتمع المعلومات. - ط2. - القاهرة: دار الفجر، 2003.
4. أحمد علي مرسى. حفظ التراث غير المادي وحمايته: الآثار الشعبية نموذجاً. - ص169. - في: الملتقى الإقليمي للمنظمة العربية حول صون التراث غير المادي وإعداد قوائم الحصر (2007: أبوظبي). التراث غير المادي: كيفية الحفاظ عليه وإعداد قوائم الحصر. ط1. - أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 1429هـ، 2008.
5. أميمة مصطفى. متحف المرأة السودانية بجامعة الأحفاد للبنات وأفق المستقبل (ورقة عمل). - في: مؤتمر المتاحف السودانية (2004: الخرطوم). - الخرطوم: لد. ن.ا، 2004م.
6. جامعة الأحفاد للبنات. وحدة توثيق الدراسات النسوية. متحف المرأة السودانية: وحدة توثيق الدراسات النسوية. - أمدرمان: جامعة الأحفاد، للبنات. - (نشرة تعريفية).
7. حشمت قاسم. تنظيم المعلومات المبنية على الحاسوب وشبكات المعلومات في الوطن العربي (ورقة عمل مقدمة إلى: ندوة استراتيجية التوثيق والمعلومات في الوطن العربي: 1993: تونس). - في: أبو بكر محمود الهوش. التقنية الحديثة في المعلومات والمكتبات: نحو استراتيجية عربية لمستقبل مجتمع المعلومات. - ط2. - القاهرة: دار الفجر، 2003.
8. رضية آدم محمد. مؤسسات المعلومات ودورها في توطين السلام. - دراسات في المكتبات والمعلومات بالسودان: كتاب دوري نصف سنوي. - ع1 (يونيو 2007).
9. سالم محمد السالم. صناعة المعلومات في المملكة العربية السعودية / سالم محمد السالم. - ط2. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1431هـ / 2010م.
10. سعاد جروس. حين نللم أشلاء تراثنا الشفهي: مشروع تدعمه "اليونسكو" بتشجيع فرانكوفوني. - صحيفة الشرق الأوسط. - (الأربعاء 09 ذو الحجة 1428 هـ 19 ديسمبر 2007). - ع10613.

11. السودان. مركز تسجيل وتوثيق الحياة السودانية. مركز تسجيل وتوثيق الحياة السودانية. - الخرطوم: وزارة الثقافة، 2011. - (نشرة تعريفية).
12. شرف الدين الأمين عبدالسلام. دراسات في الثقافة والفولكلور / تأليف شرف الدين الأمين عبدالسلام؛ تحرير صلاح عمر الصادق، محمد المهدي بشري. - الخرطوم: درا جامعة الخرطوم، 2008.
13. عبدالرحمن عبدالسلام جامل. التعليم الإلكتروني كآلية لمجتمع المعرفة: (دراسة تحليلية) / عبدالرحمن عبدالسلام جامل، محمد عبدالرازق إبراهيم ويح. - متاح في: <http://faculty.ksu.edu.sa/aljarf/Documents> / تاريخ الإتاحة: <2012/04/12>.
14. عمر حليب. دور التسجيل وقواعد البيانات في الحفاظ على المعارف التقليدية والفولكلور. - ص 212. - في: الملتقى الإقليمي للمنطقة العربية حول صون التراث غير المادي وإعداد قوائم الحصر (2007: أبوظبي). التراث غير المادي: كيفية الحفاظ عليه وإعداد قوائم الحصر. - في: الملتقى الإقليمي للمنطقة العربية حول صون التراث غير المادي وإعداد قوائم الحصر (2007: أبوظبي). التراث غير المادي: كيفية الحفاظ عليه وإعداد قوائم الحصر. ط 1. - أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 1429هـ، 2008.
15. لورد، كريستن م. هل نحن مقبلون على ألفية جديدة من المعرفة؟: خمس سنوات على تقرير التنمية البشرية العربية حول بناء مجتمع المعرفة. - [واشنطن]: مركز الصبان لسياسة الشرق الأوسط في مؤسسة بروكنغز، 2008.
16. محمد الشحري. التراث الشفوي ذاكرتنا المستقبلية. - نزوى (مجلة). - ع23 (2010/7/16). - متاح في: <http://www.nizwa.com.article.php?id=3477> - تاريخ الإتاحة: <2012/09/11>.

17. جامعة الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم - متاح في: [http:// iaas.uofk.edu/index.php?option =com_content & view =article&id =69&Itemid =79&lang =en](http://iaas.uofk.edu/index.php?option=com_content&view=article&id=69&Itemid=79&lang=en) - تاريخ الإلتاحة: <2012/09/17>.

18. يوسف حسن مدني. توثيق التراث غير المادي: تجربة السودان. - ص218. - في: الملتقى الإقليمي للمنطقة العربية حول صون التراث غير المادي وإعداد قوائم الحصر (2007: أبوظبي). التراث غير المادي: كيفية الحفاظ عليه وإعداد قوائم الحصر. - ط1. - أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 1429هـ، 2008م. المقابلات الشخصية:

- آدم مراد آدم (نائب مدير مركز توثيق الحياة السودانية). - الخرطوم (2012 /4/1م).
 - أميمة مصطفى (منسق متحف المرأة السودانية بجامعة الاحفاد. وحدة توثيق الدراسات النسوية). - أم درمان: جامعة الاحفاد (الخميس 2012 / 4 / 13).
 - عباس الحاج (مسؤول الأرشيف بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية). - الخرطوم. - (الثلاثاء 2012/4/9).
 - علي صالح كرار الأمين (العام السابق لدار الوثائق القومية، وأستاذ مشارك بجامعة النيلين - الخرطوم). - الخرطوم (الإثنين 2012/7/16).
 - فضل الكريم سعيد (مدير مركز توثيق الحياة السودانية). - الخرطوم: وزارة الثقافة (الأحد 2012/4/1م).

ملحق: صور بعض المواد التراثية بمتحف المرأة السودانية



Attachments_2012_09_19.zip



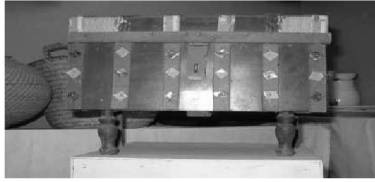
Attachments_2012_09_19(1).zip

الصور الكاملة:

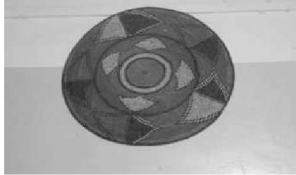
النماذج أعمال يدوية



السحارة (تستخدم للتخزين والحفظ، وهي شبيهة بالخزنة)



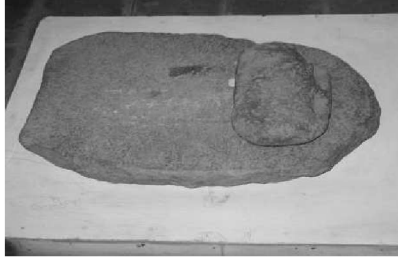
طبق: مصنوع من السعف ويستخدم لتغطية الأطعمة



المشليعب: يستخدم لحفظ الأطعمة بعيداً من الحيوانات والحشرات ويربط في سقف المنزل



المرحاكة: مصنوعة من الحجارة وتستخدم لطحن البذور



ثوب السرتي: ثوب نسائي تلف به المرأة جسمها



تطريز أبليكة



سوميته الجرتق



الجرثق



أنواع من الأطعمة



أواني القهوة (التركية) السودانية



القرمصيص



نماذج من الصور الفوتوغرافية لزائري متحف المرأة السودانية

زائرون من أفريقيا لجناح الرائدات



طالبة من مدارس الموهوبين



زائرون عرب



استخدام تصنيف ديوي بالكتب أثناء النشر بالتطبيق على المكتبات الجامعية بولاية الخرطوم

د. أحمد حاج حامد محمد

أ. مساعد / قسم المكتبات والمعلومات

كلية التربية - جامعة الجزيرة

مستخلص الدراسة

هدفت الدراسة للكشف عن استخدام رموز نظام ديوي بالكتب أثناء النشر بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم. ومدى تطابق أرقام ديوي أثناء النشر مع سياسة الأقسام الفنية بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم. والكشف عن أمكانية مساعدة أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب للمصنفين بالمكتبات الجامعية. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي بشقية المسح ودراسة الحالة. وتوصلت لنتائج أهمها أن أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر لا تتوافق دائماً مع سياسة التصنيف بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم. و الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر يضعف مهارة المصنف. غير أنها تساعد المبتدئين بالمكتبات الجامعية، وفي فهم موضوعات الكتب باللغات الأجنبية. وأوصت الدراسة بضرورة تبادل خبرات المصنفين بالمكتبات الجامعية السودانية، و على عمادات المكتبات الجامعية بولاية الخرطوم عقد دورات مستمرة للمصنفين تتعلق بإجادة اللغة الانجليزية والفرنسية لفهم موضوعات الكتب الأجنبية.

المقدمة:

يعتبر نظام ديوي العشري من أكثر أنظمة التصنيف استخداماً لتنظيم مجموعات المكتبات الورقية والإلكترونية. وهو النظام الذي أثبت وجوده من بين أنظمة التصنيف الحديثة، لما يتمتع به من مميزات منها وجود الكشاف النسبي الذي يعرض شكل العلاقات في الموضوع الواحد، وكذلك البدائل والخيارات (Options) التي

تتيح للمصنف استخدام أكثر من طريقة لتصنيف المواد، وكذلك وجود الجداول الرئيسية والجداول المساعدة، والمرونة التي يتمتع بها النظام. ومعلوم أن نظام ديوي لم يكن حبيساً للجغرافيا واللغة بمعنى أنه لم يكن حبيساً داخل الولايات المتحدة الأمريكية كمنطقة، ولا تقيد باللغة الإنجليزية التي كتب بها، بل ترجم للعديد من لغات العالم بما فيها اللغة العربية. والترجمة تقرن دائماً بالتعديل، ومن أشهر التعديلات هي التعديلات العربية التي تم فيها نقل طبعة ديوي الإنجليزية الأصلية لطبعات ديوي العربية المعدلة والتي مكنت الكثير من المصنفين العرب القيام بأعمالهم الفنية بسهولة ويسر.

أصبحت الكتب التي تصدر حديثاً تحمل في صفحات عناوينها أرقام تصنيف ديوي العشري كجزء من عملية الفهرسة أثناء النشر، وذلك نتيجة للاهتمام بحقوق المؤلفين وحصر وضبط الانتاج الفكري عن طريق المكتبات الوطنية التي تقوم بعمليات التصنيف أثناء النشر. والملاحظ أن معظم الكتب تحمل أرقام تصنيف ديوي أثناء النشر، وهذا يؤكد أن تصنيف ديوي يستخدم على نطاق واسع. ولكن كما هو معروف في المكتبات الجامعية أن هنالك سياسة تصنيف تتماشى مع طبيعة المكتبة وأهدافها وطبيعة المستفيدين منها بل والمجموعات التي ترد لها. لذا نجد في بعض الأحيان أن تطبيق نظام ديوي يختلف في بعض الجزئيات التي تطوع الموضوعات لتخضع لسياسة وأهداف الجامعة والمكتبة، وذلك لخدمة المستفيدين لذا تحاول الدراسة الكشف عن أهمية التصنيف أثناء النشر بالنسبة للمصنفين وسياسة المكتبة. والمكتبات الجامعية الحكومية بولاية الخرطوم تتميز بضخامة مجموعاتها وبسياساتها المرسومة في عملية التزويد والإعداد الفني الذي يعتبر التصنيف أساسه وركنه الركين. لذلك تم التركيز على خمس مكتبات جامعية كعينة للدراسة وإجراءات الدراسة الميدانية توضح ذلك بصورة مفصلة.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس وهو.

هل تعتمد المكتبات الجامعية بولاية الخرطوم أرقام ديوي الموجودة بالكتب أثناء النشر في تصنيف مجموعاتها؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة للآتي:

1. الكشف عن واقع اعتماد أرقام تصنيف ديوي الموجودة بالكتب أثناء النشر بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم.
2. الكشف عن مدى تطابق أرقام ديوي الموجودة بالكتب أثناء النشر مع سياسة الأقسام الفنية بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم.
3. الكشف عن مدى مساعدة أرقام التصنيف الجاهزة للكتب للمصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم.

منهج الدراسة:

أتبعت الدراسة المنهج الوصفي بشقيه المسح ودراسة الحالة، حيث قام الباحث بمسح المكتبات التي تستخدم تصنيف ديوي العشري.

فرضيات الدراسة:

بنيت الدراسة على فرضيات وهي:

1. الاعتماد المستمر على التصنيف بالكتب أثناء النشر يضاعف مهارة المصنف ويؤثر على ترتيب مجموعات المكتبة الجامعية
2. هنالك إيجابيات للتصنيف المعتمد بالكتب أثناء النشر تساعد المكتبة في أعمالها الفنية.
3. لا يتم التعويل كثيراً على أرقام ديوي بالكتب أثناء النشر بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم.

أدوات الدراسة:

- الملاحظة: لاحظ الباحث أرقام تصنيف ديوي بالكتب أثناء النشر.
- المقابلة: القائمين بالتصنيف أثناء النشر بالمكتبة الوطنية السودانية.

- الاستبانة: وزعت على المصنفين فقط وليس كل المتخصصين.

عينة الدراسة:

المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم، والمعروف أن أعدادهم قليلة جداً بالمكتبات الجامعية لذا قام الباحث بدراستهم في خمس مكتبات جامعية بولاية الخرطوم. شملت 25 مصنف. كما ركزت الدراسة على المكتبات الجامعية التي تستخدم طبعات ديوي (20،21،22).

حدود الدراسة:

موضوعية: تصنيف ديوي العشري بالكتب أثناء النشر

مكانية: المكتبات الجامعية ولاية الخرطوم.

زمانية: 2015م

الدراسات السابقة:

دراسة صلاح عبد القادر محمد. التصنيف ومشكلات تصنيف الكتاب العربي؛

2002.

هدفت الدراسة لاستخدام خطة ديوي العشري لتصنيف الكتاب العربي ومشكلاته، وتوصلت لنتائج أهمها أن معظم المكتبات تفصل الكتب العربية عن الأجنبية في تسلسل منفصل وأن تعديل الخطة بواسطة المكتبيين العرب لم يعد الحل الملائم لتبني نظام تصنيف عربي. ومن أهم توصيات الدراسة تشجيع الدراسات المعايير والبحث في الكتاب العربي.

دراسة أميمة كمال الدين حسن. أثر تعديلات تصنيف ديوي العشري في تنظيم مجموعات المكتبات الجامعية؛، 2004م.

هدفت الدراسة للكشف عن الاختلافات الواردة في الطباعات العربية وإمكانية إيجاد معايير ثابتة يمكن أن يستند عليها عند الترجمة والتعديل ومعرفة أثر التعديلات في تنظيم المجموعات في المكتبات الجامعية السودانية. أتبعته الدراسة المنهج الوثائقي والمنهج المقارن وتوصلت لنتائج أهمها أن هناك اختلافات بين طبعة وأخرى وأوصت بأن تتبنى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مسئولية وضع معايير ثابتة للتعديل.

موقف الدراسة من الدراسات السابقة:

تناولت كل الدراسات السابقة تصنيف ديوي العشري من ناحية التطبيق وانعكاسات التعديلات العربية على تصنيف المجموعات بالمكتبة. أما الدراسة الحالية فقد ركزت على أرقام ديوي أثناء النشر واستخدامها في تصنيف مجموعات المكتبات الجامعية بولاية الخرطوم. وإبراز سلبيات وإيجابيات استخدام أرقام ديوي بالكتب أثناء النشر بالكتب.

الإطار النظري للدراسة:

التصنيف Classification:

يعرف التصنيف بصورة عامة بأنه اكتشاف موضوع كل كتاب وتمثيل هذا الموضوع برمز من رموز التصنيف الذي تستخدمه المكتبة. وهو الوسيلة التي يستطيع العقل أن يحدد أي موضوع ويميزه عن موضوع آخر. والتصنيف في اللغة هو تمييز الأشياء بعضها عن بعض أي ترتيب الأشياء وتجميعها بحسب درجات تباينها. بمعنى آخر جمع الأشياء المتشابهة مع بعض وفصل الأشياء غير المتشابهة عن بعض. ولفظ التصنيف في علم المكتبات يعني ترتيب المواد ذات الموضوع الواحد ترتيباً منهجياً يتقدم فيها العام على الخاص (وزارة الثقافة السورية، 2011م: 7- 8). ويشتمل التصنيف على عمليات أساسية وامتتالية وهي:

عملية عقلية فقط: يتم فيها اختيار نظام التصنيف (إطار التصنيف) مثل أن يشتمل التصنيف على الأنشطة في الدولة ثم الجهات والهيئات داخل الأنشطة فيكون هناك نظام أو إطار للتعليم ونظام للزراعة ونظام للخارجية وهكذا. فيتم اختيار الترتيب المناسب.

عملية عقلية ومادية معاً: ترتب الوثائق الأرشيفية المحددة على أساس إطار التصنيف المشار إليه.

عملية مادية خالصة: تكتب فيها الرموز وتوضح الوثائق وتصنف على الرفوف في المخازن بدار الوثائق (ميلاد، 2008: 76- 77).

التصنيف والعمليات الفنية:

يطلق على العمليات الفنية مصطلح الخدمات غير المباشرة لأنها لا تتعامل مع المستخدمين مباشرة وهي التصنيف، الفهرسة، التزويد، التكشيف وغيرها من العمليات (همشري، 2006: 81).

يمكن تقسيم العمليات الفنية لأوعية المعلومات لنوعين أساسيين لا يكتمل أحدهما بدون الآخر وهما:

1- الإعداد الفني: يشتمل على الجمع و الحصر الاقتناء والاختيار الفهرسة والتصنيف التكشيف- الاستخلاص الضبط الببليوجرافى الحفظ والصيانة (عبد الحميد، 2010:).

2- خدمات الباحثين

ويعتبر التصنيف أساس الخدمات الفنية الناجحة، والمكتبة بحاجة ماسة إلى تصنيف مجموعاتها تصنيفاً فنياً حتى يتيسر على القراء والباحثين الحصول على مصادر المعلومات بسرعة وسهولة. ويؤدي التصنيف وظائف عديدة في المكتبات ومراكز المعلومات أهمها (عليان، 2011: 193)

1. أنه الأساس في عملية تنظيم مواد المكتبة ومقتنياتها بقصد الاستخدام.
2. يساعد الباحثين للوصول إلى ما يحتاجونه بسهولة ويسر.
3. تجميع كتب الموضوع الواحد في مكان واحد.
4. يساعد في جرد مجموعات المكتبة.
5. معرفة مواطن القوة والضعف في مجموعات المكتبة.

يرى الباحث أن وظائف التصنيف المعروفة هي وظائف محسوسة ترتبط بإدارة مجموعات المكتبة من النواحي الفنية والتنظيمية، ولكن هنالك وظائف معنوية غير ملموسة مثل التعلم المكتسب من خلال الممارسة وإعمال العقل أثناء عملية تحديد موضوعات أوعية المعلومات بشكل دقيق، وكذلك الثقة التي تتوفر لدى القائمين بأعمال التصنيف من خلال الموسوعية المعرفية التي يتمتع بها المصنفين بالمكتبات.

ويقود هذا بالطبع إلى الاستقرار الوظيفي وتفادي المشكلات الإدارية بالمؤسسة الأم (جامعة، مؤسسة).

التصنيف وتقديرات موضوعات المواد (كتب، دوريات، مواد أخرى):

تعتبر خطوة تحديد موضوع المادة المكتبية من أهم وأصعب خطوات التصنيف العملي، وعدم قدرة المصنف على تحديد موضوع المادة بشكل دقيق يؤدي إلى أخطاء كثيرة. ويستطيع المصنف أن يحدد موضوع المادة من خلال المؤلف، أو قائمة المحتويات، مقدمة الكتاب، الكشاف، قائمة المصادر، المتخصصون في الموضوع، محتوى المادة. وتحديد الموضوع يقتضي معرفة الصلات الجانبية للموضوع، كما تقتضي التحديد الدقيق للموضوع، فعلى المصنف تحديد القسم الرئيسي الذي يمثل الموضوع في نظام التصنيف مثال:

موضوع: الفول السوداني

زراعة الفول السوداني ↔ زراعة.

القيمة الغذائية للفول السوداني ↔ غذاء.

الدور الاقتصادي للفول السوداني ↔ اقتصاد.

صناعة الحلوى من الفول السوداني ↔ صناعة.

عليه ينبغي أن يتمتع المصنف ببعض الصفات الضرورية التي تؤهله للقيام بعمله مثل أن يمتلك المصنف الثقافة العامة، وأن تكون له خبرة في استخدام أدوات التصنيف (Tools) المستخدمة، وأن يتمتع بمهارات لغوية كبيرة، وأن يتصف بالصبر والدقة وحسن التصرف. بالإضافة لإتقان مهارة استخدام الحاسب الآلي.

ومن أهم الأدوات التي يستخدمها المصنف والتي يجب الرجوع إليها على سبيل المثال الخطة الكاملة لنظام التصنيف المتبع بالمكتبة (النسخة الأصلية والمعدلة). الموسوعات العربية والأجنبية. المعاجم اللغوية مثل لسان العرب و الـ Dictionaries. المعاجم العربية والعالمية للبلدان. البليوجرافيات والوطنية والعامة وغيرها من الأدوات التي تعين المصنف في أداء مهامه الفنية (عبد المعطي، 2000: 89)

كما يجب على المصنف أن يضع في اعتباره احتمالات النمو في المستقبل بالنسبة لمجموعات المكتبة، وعلى سبيل فإن المكتبات الجامعية الناشئة في بعض الدول العربية سوف تتضخم مجموعاتها في المستقبل ولذلك فقد يقرر المصنف إتباع التصنيف الضيق منذ البداية تحسباً لمثل هذا التضخم في المجموعات (عبد الهادي، 1995: 256)

يرى الباحث أن الموجه المهم بالنسبة للمصنف أن يطلع على معظم أنظمة التصنيف الحصرية والتحليلية التركيبية، والموجه هنا يرتبط بالمصنف قبل الخدمة وأثناء الخدمة فإذا كانت المكتبة تستخدم نظام ديوي العشري فعليه أن يلم بتصنيف مكتبة الكونجرس (LCC)، وال(UDC) على الأقل لأن ديوي أسهم في تصنيف مكتبة الكونجرس والتصنيف العشري العالمي أستند على تصنيفه، والدراسة بأنظمة التصنيف الأخرى الغير مستخدمة بالمكتبة تساعد المصنف في معالجة بعض الموضوعات التي قد لا تكون موجودة بشكل واضح في الخطة المتبعة، من واقع أن أنظمة التصنيف قد سعت لحصر وتحليل موضوعات المعرفة البشرية.

القواعد العامة للتصنيف:-

1) تصنيف المادة (كتاب... الخ) وفقاً للموضوع أولاً ثم حسب الشكل الذي عولج به فيما عدا القسم العام والأدب، فالشكل موجود وسائد فيهما وهنا تبرز أهمية الموضوع عند التصنيف مثال موسوعة الرياضيات تصنف وفقاً للموضوع (الرياضيات) ثم الشكل: موسوعة الرياضيات - 510

معجم موسوعات - 03

فالرقم النهائي هو = 510.3 وليس 510.03 وذلك كما هو متبع في خطة التصنيف الطبعة 21.

و إذا كتبت الموسوعة بلغة معينة فإنها تصنف من الجداول تحت الرقم 03 مثال أعمال موسوعية كتبت بالإسبانية والبرتغالية: General encyclopedic in Spanish and Portuguese فإنها تأخذ الرقم 036 وعلى هذا قس بقية موسوعات اللغات.

- (2) يصنف (يوضع) الكتاب في المكان الذي يحقق أكبر قدر من الفائدة للمستفيدين من المكتبة.
- (3) يوضع الكتاب في القسم الموضوعي الأكثر تخصصاً فكتاب عن البكتريا الممرضة يصنف مع كتب البكتريا الممرضة وليس البكتريا عامة.
- (4) عندما يتناول الكتاب موضوعين متساويين في القيمة فإنه يوضع مع الموضوع المعالج أولاً أو الذي يأتي أولاً وتسمى قاعدة (First of two) (Dewey,1996: xxxvi) مثال تاريخ الولايات المتحدة واليابان فيأتي رقم الولايات المتحدة (973-) قبل اليابان (952-) لأنه أتى أولاً ولكن ورد في الطبعة العشرين بالنسبة للكتاب الذي يعالج موضوعين متساويين فإنه يصنف تحت الموضوع الذي يرد أولاً في خطة التصنيف (Dewey.1989: pxxi) ليس في الترتيب، على هذا يأتي رقم اليابان (952-) قبل الولايات المتحدة (973-).
- (5) إذا تناول الكتاب ثلاثة موضوعات فإنه يوضع في القسم العام مثال إذا كان موضوع الكتاب (الضوء- الصوت - الحرارة) في الفيزياء وهو الموضوع العام.
- (6) إذا تناول الكتاب موضوع أثر أحدهما على الآخر فإنه يصنف بناء على الموضوع الذي وقع عليه التأثير مثال: علم النفس التربوي يصنف تربوية.
- (7) يصنف الكتاب في المكان الذي يكون فيه ذا فائدة دائمة وليس في المكان ذو الفائدة المؤقتة (أتميم، 1998: 56- 57).
- (8) عندما يتناول الكتاب موضوعاً لا مكان له في خطة التصنيف فإنه يوضع تحت أقرب الموضوعات إليه. مثل كتاب يتناول علم Esoteric (الأيزوتيريك) فإنه قد يوضع مع علم النفس لأنه العلم الذي يتناول الغذاء الجسدي والنفسي والعلاقات والتربية السليمة والتركيز الذهني واكتساب الشخصية والهدوء الباطني (www.esotric-lebanon.org). وقد يوضع في مكان آخر حسب وجهة نظر المصنف وسياسة المكتبة المتبعة في تصنيف المواد.

المكتبات الجامعية:

للمكتبة الجامعية رسالة مهمتها خدمة التعلم الجامعي والبحث العلمي وهدفها مساندة المناهج والمقررات الدراسية، وتنمية القدرة على الحصول على المعلومات (التعليم الذاتي)، ومن ثم يجب أن تتوافر فيها مجموعة من أوعية المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية، والتي تختار بأسلوب علمي وتنظم بطريقة فنية سليمة بواسطة مجموعة من ذوي التخصص المؤهلين تأهيلاً عالياً. وتتأثر المكتبة الجامعية بمجموعة من العوامل والمتغيرات هي:

1. إدارة الجامعة: وهي الهيئة الأم التي تعمل في إطارها المكتبة وتتأثر المكتبة بأهدافها.

2. مجتمع المستفيدين: يجب التعرف على مجتمع المستفيدين من المكتبة الجامعية بحيث توجه إجراءاتها بشكل أساسي لخدمة مجموعة من الطلاب والباحثين وأعضاء هيئة التدريس وموظفي الجامعة.

3. موظفو المكتبة: وهي الفئة التي لها تأثيرها المباشر على المكتبة الجامعية حيث يناط بهم إنجاز كافة العمليات الفنية وغير الفنية وتقديم الخدمات (دياب، دت: 69- 70).

وتعرف المكتبة الجامعية بأنها مكتبة أو نظام من المكتبات تنشئه وتدعمه وتديره الجامعة لمقابلة احتياجات الطلبة وأعضاء هيئة التدريس ، كما تساند برامج التدريس والأبحاث والخدمات فضلاً عن خدمة المجتمع الجامعي الذي توجد فيه (أبوعزة، 1993: 26) كما تعرف بأنها نظام مكتبي يمول ويدار بواسطة الجامعة لتقديم خدمات معلوماتية للطلبة وأعضاء هيئة التدريس بالكليات والأقسام وأيضاً تنشأ لخدمة البحث العلمي (Reitz, 2004: 743). وهناك من يرى أن المكتبة الجامعية تخدم عنصرين أساسيين هما العنصر الأول هم أعضاء هيئة التدريس على مختلف مسمياتهم. العنصر الثاني هم طلاب البكالوريوس والدراسات العليا(نور، 2011: 240).

أهداف المكتبة الجامعية:

من أهم أهداف المكتبة الجامعية:

1. خدمة المناهج التعليمية فطبيعة التعليم الجامعي يجعل من المكتبة الجامعية مرتكزاً أساسياً في خدمة مناهج الدراسة لذا، فإن الاهتمام بتوفير واختيار أوعية المعلومات أمر ضروري.
2. مساعدة الطلاب في تحضير أبحاثهم.
3. مساعدة الأساتذة في إعداد بحوثهم ومحاضراتهم التي يقدمونها للطلابهم والتوصل بآخر ما توصل إليه الباحث في مجال تخصصه.
4. مساعدة الباحثين بتوفير مصادر المعرفة (حسب الرسول، 1995: 1995)
5. العمل كمركز لحفظ وتوزيع البحوث التي يقوم بها المجتمع الأكاديمي والإعلام. ومساعدة الطلاب والباحثين والأساتذة في تحضير أبحاثهم وكتابة رسائلهم

وظائف المكتبة الجامعية:

من أهم وظائف المكتبة الجامعية (87: 1979, webester):

- 1- تزويد المكتبة بالمواد بالمجموعات (مواد مطبوعة وغير مطبوعة)
 - 2- الإعداد الفني للمجموعات.
 - 3- وضع تعليمات لاستخدام المواد المكتبية.
 - 4- تسهيل استعمال المكتبة وتلبية ما يحتاجه روادها من خدمات مكتبية وببليوجرافية وإعلامية بسرعة وكفاية (الشريف، 1994: 80- 81)
- يرى الباحث أن تدريب المتخصصين بالمكتبة يعتبر أحد وظائف المكتبة الجامعية، والتدريب كما هو معروف يقتضي التأهيل المسبق. وأعضاء قسم الإجراءات الفنية هم المتخصصون في مجال المكتبات والمعلومات بدرجة بكالوريوس على الأقل لذا وجب على المكتبة الجامعية القيام بوظيفتها الأساسية وهي تأهيل كوادر قسم الإجراءات الفنية بما فيهم القائمين بأعمال تصنيف مجموعات المكتبة.
- إن من الأولويات التي تعني بها إدارة المكتبات عامة والمكتبة الجامعية بصفة خاصة هي إعداد أوعية المعلومات باختلاف أشكالها وتنظيمها وصيانتها وذلك بغرض

تيسير استخدامها للمستفيدين، وهذه العمليات تتطلب متخصصين علي قدر وافر من العلم والمعرفة والخبرة خاصة إذا كانت هذه المكتبات ترتبط بهيئات تعليمية ومؤسسات أكاديمية كالجوامع (آل عروان، 2003: 157 - 223).

تصنيف ديوي العشري:

تصنيف ديوي هو أحد أشهر أنظمة التصنيف العالمية المعاصرة ومن أهم هذه التصنيفات	
Dewey Decimal classification (DDC)	تصنيف ديوي العشري
Universal Decimal classification (UDC)	التصنيف العشري العالمي
Expansive classification of Cutter(EC)	التصنيف الواسع لكتر
Subject classification of Brown (SC)	التصنيف الموضوعي لبراون
Library of Congress classification (LC)	تصنيف مكتبة الكونجرس
Bibliographic classification of Bliss (BC)	التصنيف الببليوجرافي لبليس
Colon classification Ranganathan(CC)	تصنيف الكولون رانجاناثان

ويعتبر نظام ديوي العشري في التصنيف من أقدم التصنيفات وأكثرها شيوعاً بعد أن حظيت بالنجاح بسبب البساطة والمرونة. ولم يدعي ديوي بأنه مؤسس الأرقام العشرية للتصنيف ولكن أقر بأن هنالك من سبقه في هذا المضمار. بيد أننا لا ننكر أن ديوي هو مؤسس علاقات الموضوع الواحد في ما سمي بالكشاف النسبي، علاوة للبناء الهرمي الذي تميز به نظامه⁽¹⁾ (Taylor,2006:1)

وبالرغم من أن النظام يحمل ضمن اسمه لفظ (العشري) نجد أن البعض يطلق عليه (تصنيف ديوي) أو (نظام ديوي) وذلك من أجل الاختصار والسهولة فقط. ونظام ديوي هو الأكثر شيوعاً واستخداماً في المكتبات في العالم حيث تستخدمه أكثر من (135) دولة في العالم وترجم لأكثر من (30) لغة (Dewey,1996:xxxix) بما فيها اللغة العربية، كذلك تستخدمه معظم الببليوجرافيات الوطنية في العالم. فقد قال عنه جويل داوونج (Joel Downing) أنه النظام الذي لا تغيب عنه الشمس) وحاول ديوي أن يضع نظاماً تتوافق فيه البساطة والسهولة عند التطبيق وأن يلقي قبولاً عالمياً

فتستخدمه معظم المكتبات أو كما قال قبل وفاته: (أن الحاجة إلى نظام التصنيف تقتضي معرفة أين يوضع الكتاب وأين تجده مرة ثانية إذا بحث عنه في اليوم الثاني أو بعد قرن من الزمان) (الأخرس، 1981:59).

يحافظ على حداثة بصفة مستمرة إذ أن لهذا النظام جماعة استشارية تعرف بـ (EPC) (Decimal classification Editorial policy committee) تتكون من اختصاصيين ومهنيين من داخل الولايات المتحدة وخارجها، تجتمع مرتين في السنة للنظر في الأمور المتصلة بتطوير النظام وتنميته. أما التحرير الفعلي المستمر للجداول والقوائم والكشاف والدليل الإرشادي يتم في شعبة تصنيف ديوي بقسم خدمات التجهيز في مكتبة الكونجرس.

وتتولى مؤسسة (Forest Press) نشر النظام والتي أصبحت في عام 1988م شعبة من الـ (OCLC) (Dewey,1996:xi) On line Computer library Center مركز مكتبات الكمبيوتر على الخط المباشر ليصبح اسم الناشر (OCLC Forest Press) الذي أصدر خطة ديوي بشكلها الإلكتروني لأول مرة عام 1993م.

صدرت الطبعة الأولى لتصنيف ديوي في عام 1876م، وكانت تقع في 44 صفحة بعنوان *A classification and Subject Index for Cataloguing and Arranging the Books and Pamphlets of a library*، أما الطبعة الثانية تضمنت هذه الطبعة أمر في غاية الأهمية عندما أعلن ديوي أن أرقام التصنيف الألف الأولى للنظام لن تتغير فيما بعد ومعنى ذلك أن الهيكل العام الرئيسي للخطة قد يثبت منذ ذلك التاريخ. ثم توالى الطباعات بعد ذلك وقد حملت الطبعة 20 ملامح جديدة لأنها تكونت من 4 مجلدات. المجلد الأول يحتوي على الجداول المساعدة التي تبين أوجه الموضوعات (Facts)، والمجلد الثاني والثالث تضم موضوعات المعرفة البشرية بتقسيماتها وأفرعها، أما المجلد الرابع فهو عبارة عن الكشاف النسبي (Relative Index)، كما ضمت الطبعة 20 ملخص تقسيم موضوعات المعرفة (Summary)،

بالإضافة للدليل الإرشادي وقد صاحبت هذه الملامح كل الطباعات التي صدرت بعد الطبعة 20.

يعود الأصل في تسمية النظام بالعشري (Decimal) إلى استخدام ديوي للفاصلة العشرية ويرى البعض بأن ذلك يرجع إلى أن ديوي قسم المعرفة الإنسانية إلى قطاعات Disciplines أو بالأحرى إلى عشرة أصول رئيسية (Ten main classes) وهي:

المعارف العامة (العموميات)	Generalities	000
philosophy and psychology والفلسفة وعلم النفس		100
الديانات	Religion	200
العلوم الاجتماعية	Social Sciences	300
اللغات	Languages	400
Natural Sciences and Mathematics والرياضيات العلوم البحتة		500
(Applied Sciences) Technology العلوم التطبيقية (التكنولوجيا)		600
الفنون الجميلة	The Arts	700
الأدب	Literature and rhetoric	800
الجغرافيا، الرحلات، التراجم والتاريخ	Geography and History	900

ثم قسم ديوي كل أصل (Main Class) من هذه الأصول العشرة إلى عشرة أقسام فرعية أخرى تسمى الأقسام وهي مائة قسم، وقسمت هذه الأقسام الفرعية الرئيسية العشر إلى عشرة أقسام فرعية أخرى من (9- 0) تسمى الأفرع (الشعب) (Section) وهي ألف شعبة أو فرع وتمثل الدرجة الثالثة من التقسيمات العشرية، وقسمت هذه الأفرع أيضاً إلى عشرة أقسام فرعية أخرى، واستمر ديوي في هذا التقسيم العشري من (9- 0) ويمكن إثبات المعادلة التالية لهذه التقسيمات.

$$10 \text{ أصول} \times 10 \text{ فروع رئيسية} = 100 \text{ فرع رئيسي.}$$

$$100 \text{ فرع رئيسي} \times 10 \text{ فروع رئيسية} = 1000 \text{ فرع جزئي.}$$

والتقسيمات الألف الأولى ثابتة لا تتغير والرقم الأول (First Digit) من التقسيمات الرئيسية يمثل الاصل (main class) أو الأعمال العامة والرقم الثاني (Second digit) يمثل القسم والثالث يمثل الفرع (Dewey, 1996:xi)

بالرغم من النقد الذي وجهه لنظام ديوي إلا أنه يتميز بمميزات لا تتوفر في كثير من أنظمة التصنيف (العايدي، 2004: 24- 25) مثل:

1. الشمولية في استيعاب جميع الموضوعات وأفرع الموضوعات.
2. العشرية في تقسيم المعرفة: فقد قسم ديوي المعرفة لعشرة أقسام وأستمر في التقسيم.
3. الثلاثية في تكوين الأقسام الرئيسية: بحيث لا يقل الرقم المعطى عن ثلاث أرقام وإذا زادت توضع علامة عشرية بعد الرقم الثالث.
4. المرونة: أي إضافة أي موضوع جديد إلى الخطة وذلك من خلال التقسيمات العشرية التي تسمح بإضافة موضوعات جديدة إلى ما لا نهاية أو الإلغاء، وإعادة التسكين.
5. استخدامه للأرقام العربية وهو ما يعرف بالترقيم النقي.
6. الهرمية في تفريع المعرفة البشرية من العام للخاص فكلما تم إضافة رقم للجانب الأيمن أصبح لدينا موضوع جديد أكثر تخصصاً من الموضوع المتفرع منه. مثال:

Espionage by United State in Dar Fur Region

320

Political Science

327

International relation

327.1

Foreign policy&....

327.12

Espionage

327.1273

Espionage by United State

327.12730627 *Espionage by United State in Dar Fur Region*

يرى الباحث من خلال المثال أن الهرمية تتجلى في أن الموضوع اللاحق والذي يعتبر بأنه ضيق ومفصل يحمل صفات الموضوع السابق من الناحية الرقمية (الرمزية) ومن الناحية الموضوعية مع وجود الصفات الموضوعية والرقمية في كل أفرع الموضوع الأصل فالرقم (32) هو الأصل وصفاته تتسحب على كل الجزئيات الفرعية. وكذلك

الرقم (7) في 327 ينسحب على بقية الأفرع أدناه والرقم (1) بعد العلامة العشرية ينسحب على كل الأفرع أدناه وهكذا تتجسد الهرمية.

كما يرى الباحث بأن النقد الموجه بخصوص طول أرقام التصنيف عند ديوي، يمكن الرد عليه بأنه نتاج طبيعي لتعدد أوجه الموضوع الواحد وعلاقاته المنطقية فمثلاً المثال السابق عن الجاسوسية الأمريكية في إقليم دارفور فهو يتكون من أوجه أربعة جغرافية وهي الولايات المتحدة الأمريكية - والسودان - وإقليم دارفور ناهيك عن الموضوع وأفرعه.

أرقام ديوي أثناء النشر بالمكتبة الوطنية السودانية:

يتبع التصنيف أثناء النشر للفهرسة أثناء النشر والتي تتم في المكتبات الوطنية أو المؤسسات التي تقوم مقام المكتبات الوطنية في الدولة ففي جمهورية مصر العربية تتم في دار الكتب المصرية في قسم الفهرسة أثناء النشر " CIP " : هو فهرسة وتصنيف وعمل رؤوس موضوعات للوعاء أو الكتاب قبل تداوله بين الأفراد والمكتبات وبذلك يتم تقنين وتوحيد وضع الوعاء في المكتبات وعلى الأرفف وبذلك تسهل العملية المكتبية (<http://www.darelkotob.gov.eg>)

التصنيف أثناء النشر يتبع لقسم ال ISBN بالمكتبة الوطنية حيث يتم تصنيف الكتاب أثناء النشر ويتم تصنيف الكتب وفقاً لتصنيف ديوي العشري، وتستخدم الطبعة (22) الإنجليزية الأصلية والعربية المعدلة، ويتم التصنيف بواسطة مجموعة من المتخصصين بالمكتبة الوطنية ويتم التشاور فيما بينهم لإعطاء رقم التصنيف المناسب لموضوع الكتاب (عبد القادر، 2016: مقابلة).

والفهرسة والتصنيف أثناء النشر كانت بداياتها في يوليو 2004 م بعد الاشتراك في الوكالة الدولية لترقيم الدولي الموحد، ويتم إعطاء رقم التصنيف للكتاب أثناء النشر للكتاب المعني بموجب مكاتبات رسمية تتعلق برقم الإيداع والإذن بالنشر، وهذه الخطابات والمكاتبات يتم فيها عرض لعنوان الكتاب أو العمل ومؤلف الكتاب وعدد من الفقرات التي تعبر عن الجانب الموضوعي. بعد ذلك تتم بيانات التصنيف والفهرسة الموضوعية للمؤلف (باشكار، 2016 - 01 - 26: مقابلة)

وبالإضافة للطبعة 22 يتم استخدام الطبعة الإنجليزية (11) التي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تستخدم في تصنيف الموضوعات التالية:

- الفلسفة الإسلامية.
- الدين الإسلامي.
- اللغة العربية.
- الأدب العربي.
- التاريخ العربي والإسلامي.

بالإضافة لموسوعة التصنيف العشري لمحمد عوض العايدي كخطة مساندة وهي تطابق الطبعة 21 (لائحة المكتبة الوطنية، 2004: 3).

إجراءات الدراسة الميدانية

تكونت عينة الدراسة من مجموعة المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم ومثلت العينة من خمس مكتبات جامعية، والمعروف أن المصنفين أعدادهم محدودة وهم قلة في المكتبات لذا تكونت عينة الدراسة من (25) مصنف يمثلون خمس مكتبات جامعية بولاية الخرطوم، والمكتبات الجامعية تتبع لجامعات حكومية، وتتميز بمجموعاتها الضخمة وبالتزويد المستمر. وتم تصميم استبانة وزعت علي المصنفين الذين لا تقل خبرتهم عن خمس سنوات في مجال تصنيف المجموعات. وتم تحليل الاستبانة بنظام الـ (SPSS)، كما تم استخدام قياس الـ (T.test) للمتغيرين. وقياس الـ (ANOVA) لثلاثة متغيرات. وتم حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية وبيان درجة الحرية وقيمة (ت) و(ف). وبالإضافة للاستبانة قام الباحث باستخدام المقابلة المباشرة التي تمت مع أعضاء قسم الـ ISBN بالمكتبة الوطنية السودانية الذين تقع عليهم أعباء تصنيف الكتب أثناء النشر المستخدم فيه نظام ديوي العشري.

قسمت الدراسة الميدانية لقسمين أشتمل القسم الأول منها على اختبار فرضيات الدراسة، حيث تم اختبارها وحسابها في ثلاثة جداول، وضح فيها المتغير، ومجموعة المقارنة، والعدد، والمتوسط، والانحراف المعياري، ودرجة الحرية، وقيم (ت و ف) وبينت فيها الدلالات وتفسيرها وعرض النتائج. أما القسم الثاني عرضت فيه محاور الدراسة على ضوء فرضياتها، حيث أشتمل القسم على ثلاثة محاور عرضت فيها

النسب المئوية، والتكرارات والمجاميع وأهمية القسم الثاني من الدراسة الميدانية تكمن مناقشة نتائج الدراسة على ضوء فرضياتها.

أولاً: اختبار فرضيات الدراسة

جدول رقم (1) يوضح اختبار الفرض الأول: الأثار السلبية للاعتماد على أرقام تصنيف ديوي الجاهزة على المصنف والمكتبة وفقاً لمتغير المؤهل.

النتيجة	التفسير	الدالة الاحتمالية	قيمة(ف)	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط	العدد	مجموعة المقارنة	المتغير
لا توجد فروق	غيردالة	0.83	0.75	24	0.51	2.62	8	بكالوريوس	دوافع الدراسة
					0.52	2.50	10	ماجستير	
					0.53	2.57	7	دكتوراه	

الجدول (1) يوضح أن متوسط ممن يرون الاعتماد على أرقام تصنيف ديوي الجاهزة له آثار سلبية على المصنف والمكتبة من حملة البكالوريوس بلغ (2.62) بينما متوسط المؤهلين بدرجة الماجستير بلغ (2.50). وحملة الدكتوراه بلغ (2.57) وبلغت قيمة (ف) (0.75) بدلالة بلغت (0.83) وهي أكبر من قيمة (ف) الجدلية المطلوبة عند مستوى الدلالة الإحصائية (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المؤهلين بالمكتبات الجامعية بالدرجات الثلاث. وبالتالي يتفقون على أن هنالك آثار سلبية تنعكس على شخصية المصنف والمكتبة نتيجة للاعتماد على أرقام تصنيف ديوي المجهزة بالكتب أثناء النشر.

جدول رقم (2) يوضح اختبار الفرض الثاني: إيجابيات التصنيف أثناء النشر وفقاً لمتغير النوع

النتيجة	التفسير	الدالة الاحتمالية	قيمة(ت)	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط	العدد	مجموعة المقارنة	المتغير
لا توجد فروق	غيردالة	0.57	0.83	24	0.50	2.6	16	ذكر	دوافع الدراسة
					0.52	2.4	9	أنثى	

الجدول (2) يوضح أن متوسط الذكور الذين ممن يرون أن هنالك إيجابيات

للتصنيف أثناء النشر بلغ (2.6). بينما متوسط الإناث بلغ (2.4). وبلغت قيمة (ت) 0.83

بدلالة بلغت 0.57 وهي أكبر من قيمة (ت) الجدلية المطلوبة عند مستوى الدلالة الإحصائية (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث فيما يتعلق بإيجابيات أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر.

جدول رقم (3) اختبار الفرض الثالث: مدى الاعتماد على أرقام تصنيف ديوي أثناء النشر وفقاً لمتغير الخبرة:

النتيجة	التفسير	الدالة الاحتمالية	قيمة(ت)	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط	العدد	مجموعة المقارنة	المتغير
لا توجد فروق	غيردالة	0.30	0.53	24	0.50	1.83	6	5 - 10 سنوات	دوافع الدراسة
					0.52	1.60	19	11 سنة فأكثر	

الجدول (3) يوضح أن متوسط آراء من تراوحت خبرتهم من 5 إلى 10 سنوات فيما يتعلق بالاعتماد على أرقام التصنيف الجاهزة بالمكتبة بلغ (1.83). بينما بلغ متوسط من بلغت خبرتهم 11 سنة فأكثر بلغ (1.60). وبلغت قيمة (ت) 0.53 بدلالة بلغت 0.30 وهي أكبر من قيمة (ت) الجدلية المطلوبة عند مستوى الدلالة (0.05)، مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير الخبرة فيما يتعلق بالاعتماد على أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر في تصنيف مجموعات المكتبة.

ثانياً: عرض نتائج الدراسة ومناقشتها على ضوء الفرضيات: المحور الأول البيانات

الشخصية:

جدول رقم (4) متغير النوع

النوع	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	16	64%
أنثى	9	36%
المجموع	25	100%

الجدول (4) يوضح أن نسبة الذكور من أفراد العينة بلغت (64%)، بينما نسبة الإناث بلغت (36%). يتضح من الجدول أن نسبة الذكور عالية جداً مقارنة بنسبة الإناث. يرى الباحث أن طبيعة العمل في التصنيف الذي يعتبر أحد مكونات الإجراءات الفنية بالمكتبات الجامعية يعتمد على جوانب إدارية تتعلق بضرورة التواجد المستمر بالقسم لمتابعة المجموعات التي ترد للمكتبة بشكل دوري خاصة في المكتبات الجامعية التي تتميز بالمجموعات الضخمة التي تبنى بواسطة التزويد المستمر. والذكور ظروفهم الاجتماعية ومكوناتهم قادرين على العمل بصورة مستمرة في القسم الفني. وهذا لا ينفي مقدرة الإناث على التواجد وتحمل العمل ولكن ظروف الإناث وطبيعتهم تجعلهن أقل تواجداً في قسم التصنيف. ويمكن أن تؤدي المرأة عملها كمصنف بصورة أفضل من الرجل بحكم الانضباط في العمل، ولكن تظل فرصة تواجدها كمصنف بناء على الدراسة أقل لظروف تتعلق بالأمومة وغيرها من الأسباب والمبررات الاجتماعية.

جدول رقم (5) متغير الخبرة

سنوات الخبرة	التكرار	النسبة المئوية
5 - 10 سنوات	6	24%
11 سنة فأكثر	19	76%
المجموع	25	100%

الجدول (5) يوضح أن من بلغت خبرتهم (11 سنة فأكثر) من أفراد العينة المبحوثة نسبتهم (76%). بينما من تراوحت خبرتهم من (5 - 10) سنوات بلغت (24%).

يرى الباحث وفقاً لنتائج الجدول (5) ان ارتفاع معدل الخبرة بنسبة بلغت (76%) للمصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم يعزى لطبيعة التصنيف فهو عمل يتطلب الخبرة والممارسة بجانب الجهد الذهني والتفكير العميق. والنتيجة التي يوضحها الجدول تعتبر مؤشر إيجابي يصب في مصلحة أهداف المكتبة الجامعية بصورة مباشرة فالمكتبة الجامعية تهدف لتنظيم المجموعات بصورة دقيقة تمكن المستفيد من الوصول للمعلومة بصورة أسرع، والوصول للمعلومة تتطلب تجميع كتب الموضوع الواحد في مكان واحد بغض النظر عن تطبيق نظام التصنيف المتبع بصورة صحيحة. عليه عامل الخبرة يعتبر ضروري لمتابعة أين يوضع الكتاب حسب سياسة المكتبة المتبعة. كما تفيد الخبرة في تصنيف المجموعات في إعطاء رقم التصنيف لبعض الموضوعات دون الرجوع لخطة التصنيف المتبعة وهذا يساهم في سرعة العمل وزيادة الإنتاجية. وتصل المهارات المكتسبة من الخبرة لدى المصنفين بالمكتبات الجامعية لاستدراك أرقام التصنيف الخطأ وإعادة تصنيفها مرة (Re class) أخرى بصورة صحيحة.

جدول رقم (6) متغير المؤهل

النسبة المئوية	التكرار	المؤهل
32%	8	بكالوريوس
40%	10	ماجستير
28%	7	دكتوراه
100%	25	المجموع

الجدول (6) يوضح أن نسبة الحاصلين على درجة الماجستير من عينة الدراسة (40%)، بينما بلغت نسبة الحاصلين على درجة البكالوريوس (32%). والحاصلين على درجة الدكتوراه (28%). يتضح من الجدول أن الحاصلين على درجة الماجستير من المصنفين أفراد العينة نسبتهم عالية مقارنة بالحاصلين على درجة البكالوريوس والدكتوراه.

يرى الباحث أن التدرج النسبي لمتغير المؤهل للمصنفين أفراد العينة يعتبر تدرج معقول بدرجة كبيرة جداً. وهذه النسب تدل على مؤشرين أحدهما ذاتي يرتبط بشخصية المصنف وتطلعاته، فهناك بعض المصنفين يسعون لتطوير أنفسهم عن طريق

التأهيل الأكاديمي فحامل البكالوريوس يسعى للحصول على درجة الماجستير والحاصل على درجة الماجستير يتطلع للحصول على درجة الدكتوراه في التخصص، أما المؤشر الثاني فهو مؤشر يرتبط بسياسة المكتبة والجامعة وسعيهما لتطوير العمل بالمكتبة وذلك بتأهيل منسوبيها، وتأهيل المصنف يعتبر جانب مهم في دعم العمل وتشجيع الإبداع العلمي. ففي بعض المكتبات الجامعات بولاية الخرطوم استطاع البعض من خلال التأهيل المبني على أساس مؤسسي (سياسة الجامعة في التأهيل والتدريب) أن ينتجوا خطط تصنيف مبنية على أساس تصنيف ديوي العشري لتصنيف مجموعات تعتبر (مراكز تميز) تتفرد بها المكتبة ومن ثم الجامعة مثل خطة تصنيف المجموعات الإفريقية بمكتبات جامعة إفريقيا العالمية وغيرها من الإسهامات التي أضافها المصنفون للعمل المكتبي. والنسب في الجدول (6) تشير بصورة عامة لاهتمام المصنفين والمكتبات والجامعات بتأهيل وتدريب المصنفين.

المحور الثاني: التعويل على أرقام ديوي أثناء النشر بالمكتبات الجامعية السودانية

جدول رقم (7) يوضح الاعتماد على أرقام تصنيف ديوي الجاهزة أثناء النشر

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
أوافق	0	0%
إلى حد ما	11	44%
لا أوافق	14	56%
المجموع	25	100%

الجدول (7) يوضح أن (56%) من المصنفين بالمكتبات الجامعية - ولاية الخرطوم لا يعتمدون على أرقام تصنيف ديوي المعدة أثناء النشر. و (44%) منهم يوافقون إلى حد ما. يتضح من الجدول أن هنالك نسبة كبيرة من المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم لا يعتمدون على أرقام تصنيف ديوي الجاهزة أثناء النشر.

يرى الباحث من خلال نتائج الجدول (7) أن المصنفين بالمكتبات الجامعية - ولاية الخرطوم لا يعولون كثيراً على استخدام أرقام ديوي الجاهزة بالكتب أثناء النشر في عملية تصنيف المجموعات. كما يمكن القول بأنهم لا يعتمدون على أرقام التصنيف

الجاهزة بصورة قطعية إذا أخذنا في الاعتبار أن لا أحد يوافق بالاعتماد على أرقام التصنيف المجهزة أثناء النشر بالكتب. كما يرى الباحث أن من يعتمدون على أرقام التصنيف إلى حد ما الذين بلغت نسبتهم (44%) يدخلون في دائرة من يطلعون على أرقام تصنيف الكتب الجاهزة للتمحيص والتدقيق. مما لا يعني أن هنالك اعتماد كلي على أرقام تصنيف ديوي العشري أثناء النشر لتصنيف مجموعات المكتبة. وهذه النتيجة تدعم الفرض الثالث المبني على أنه لا يتم التعويل كثيراً على أرقام ديوي أثناء النشر بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم. والذي تم اختباره في الجدول رقم (3).

جدول رقم (8) يوضح توجه سياسة التزويد باختيار كتب بها أرقام تصنيف جاهزة.

الاجابة	التكرار	النسبة المئوية
أوافق	0	0%
إلى حد ما	1	4%
لا أوافق	24	96%
المجموع	25	100%

الجدول (8) يوضح أن (96%) لا يوافقون بأن سياسة التزويد بالمكتبة توجه باختيار كتب بها أرقام تصنيف ديوي الجاهزة أثناء النشر. و(4%) فقط يوافقون إلى حد ما. يتضح من الجدول أن معظم المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم يرون أن سياسة التزويد لا توجه بشراء كتب بها أرقام تصنيف ديوي المعدة أثناء النشر.

يرى الباحث أن نتيجة الجدول (8) تدل على أن سياسة التزويد بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم تبني على أساس معيار الفائدة الموضوعية للكتاب والتي تخدم المستفيد وليس على أي معيار آخر، لأن أرقام التصنيف الجاهزة ترتبط بالكتب الصادرة حديثاً والتي يسعى مؤلفوها لحفظ حقوق النشر من لجان المصنفات الأدبية عبر المكتبات الوطنية للحصول على الترقيم الدولي الموحد للكتاب (ISBN)، ويتم إجراء تصنيف الكتب أثناء النشر حسب المعيار الموضوعي بصورة عامة. وعندما تقتني المكتبات الجامعية تلك الكتب عن طريق عملية التزويد يتم تصنيفها وفقاً لأهداف

وسياسة المكتبة التي تصنيف حسب فائدة المستفيدين من المكتبة. والجدول (8) يدعم الفرض الثالث.

جدول رقم (9) يوضح مدى التشاور بالقسم الفني لاتخاذ قرار حول رقم التصنيف الجاهز

الاجابة	التكرار	النسبة المئوية
أوافق	10	40%
إلى حد ما	13	52%
لا أوافق	2	8%
المجموع	25	100%

الجدول (9) يوضح أن (52%) من المصنفين بالمكتبات الجامعية - ولاية الخرطوم يوافقون على أنه يوجد تشاور إلى حد ما لإعطاء رقم التصنيف. و(40%) يوافقون. بينما (8%) فقط لا يوافقون.

يرى الباحث من نتائج الجدول (9) أن معظم الأقسام الفنية بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم تتبع مبدأ التشاور في شكل ورشة مصغرة لتقرير موضوع الكتاب. والتشاور إلى حد ما يعتبر ظاهرة إيجابية في عملية تصنيف الكتب. بمعنى أن التشاور لا يتم في كل موضوعات الكتب ولكن في موضوعات الكتب التي يصعب تحديدها بشكل دقيق، وهذا مؤشر إيجابي يشير إلى أن المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم لهم إلمام كافٍ بموضوعات المعرفة المختلفة مما أكسبهم مهارة التحديد الدقيق لموضوعات الكتب وتمثيل تلك الموضوعات بأرقام من نظام ديوي العشري. والجدول يدعم الفرض الثالث من منظور أن هنالك تشاور يتم بين المصنفين بالمكتبة حول رقم التصنيف الجاهز ومراجعة مدى صحته. لذا يمكن القول بعدم وجود اعتماد تام على أرقام التصنيف الجاهزة بل تخضع للمراجعة.

جدول رقم (10) يوضح مدى موافقة أرقام تصنيف ديوي الجاهزة لسياسة التصنيف بالمكتبة

النسبة المئوية	التكرار	العبرة
0%	0	أوافق
44%	11	إلى حد ما
56%	14	لا أوافق
100%	25	المجموع

الجدول (10) يوضح أن (56%) من المصنفين لا يوافقون على مطابقة أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب أثناء النشر لسياسة المكتبة، بينما (44%) يوافقون إلى حد ما.

يتضح من الجدول (10) أن أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب لا تتوافق مع سياسة التصنيف بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم. ومن يرون أن أرقام التصنيف تتماشى مع سياسة المكتبة إلى حد ما هي نسبة أقل من الوسط ويعزي الباحث هذه النسبة بأن هنالك بعض الكتب التي تصادف أرقام تصنيفها الجاهزة تتطابق مع سياسة المكتبة ولكن لا يمكن الحكم عليها بصورة قطعية بل يخضع رقم التصنيف الجاهز أثناء النشر للمراجعة، فإذا ثبت أن رقم تصنيف ما مطابق لمجموعات معينة حينها يستخدم. ووضحت نتائج الجدول (10) بشكل عام أن أغلبية المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم لا يوافقون بأن أرقام التصنيف الجاهزة تتوافق مع سياسة المكتبة في التصنيف وبناءً على ذلك يرى الباحث أن هنالك موضوعات معرفة لا يختلف فيها مصنفين بالنسبة لسياسة التصنيف مثل الطب (610)، وعلم النفس (150)، ولكن تختلف سياسات التصنيف بالمكتبات الجامعية باختلاف وجهات النظر المحكومة بالمجموعات المصنفة مسبقاً وهذا ما يعرف بسياسة المكتبة في تصنيف المجموعات بشكل عام. ولكن الأمر يختلف لموضوع الطب، والرياضيات إذا ارتبط القانون بموضوع الطب (الطب الشرعي)، وكذلك إذا ارتبطت التربية بموضوع

علم النفس (علم النفس التريوي). وبالرغم من أن هنالك قواعد تحكم تصنيف الموضوعات فيما يتعلق التأثير والتقديم والتأخير في الموضوعات. إلا أن سياسة المكتبة الجامعية في التصنيف التي تتخذ من المستفيد محور لتصنيف موضوعات الكتب حسب فائدة المستفيدين. عليه يمكن أن لا تتوافق أرقام تصنيف ديوي العشري الجاهزة مع سياسة التصنيف في المكتبات الجامعية وهذا ما تؤكد نتائج الجدول العاشر والذي يدعم الفرضية الثالثة.

المحور الثالث: إيجابيات أرقام تصنيف الكتب أثناء النشر بالمكتبات الجامعية ولاية الخرطوم

جدول رقم (11) أرقام تصنيف ديوي الجاهزة بالكتب تساعد المبتدئين في تصنيف الكتب

النسبة المئوية	التكرار	العبارة
72%	18	أوافق
12%	3	إلى حد ما
16%	4	لا أوافق
100%	25	المجموع

يتضح من الجدول (11) أن معظم المصنفين بالمكتبات الجامعية ولاية الخرطوم يرون أن أرقام التصنيف أثناء النشر تساعد المبتدئين في عملية تصنيف الكتب بالمكتبات الجامعية. ويرى الباحث أن هذه النتيجة تتوافق مع النظريات التي أوردتها خبراء المكتبات والتصنيف بأنه يمكن للمصنف المبتدئ ان يستخدم الوسائل التي تعينه في اكتساب الخبرة والتي منها الكشاف النسبي، واستشارة أرقام التصنيف الجاهزة التي تساعد المصنف على معرفة الرقم الصحيح لموضوع الكتاب من خلال التوفيق بين رقم التصنيف الجاهز بالكتاب واستشارة نظام تصنيف ديوي والسياسة المتبعة لتصنيف موضوعات الكتب بالمكتبة الجامعية المعينة. و الجدول يحقق الفرضية الثانية بشكل عام.

جدول رقم (12) أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب تساعد في معرفة موضوعات الكتب باللغات الأجنبية

النسبة المئوية	التكرار	العبرة
68%	17	أوافق
28%	7	إلى حد ما
4%	1	لا أوافق
100%	25	المجموع

الجدول (12) يوضح أن (68%) من المصنفين يوافقون على أن أرقام التصنيف الجاهزة تساعد في معرفة موضوعات الكتب باللغات الأجنبية. و(28%) يوافقون إلى حد ما، بينما (4%) فقط لا يوافقون.

يتضح من الجدول (12) أن هنالك نسبة كبيرة جداً من المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم يؤكدون على أن أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر تساعد في معرفة موضوعات الكتب المكتوبة باللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية، والسواحيلية. وغيرها من اللغات غير العربية.

يرى الباحث من خلال نتائج الجدول (12) أن التصنيف يبنى على موضوعات الكتب وليس أي جانب آخر ولغة الكتاب أو أي وعاء تحمل في طياتها موضوع الكتاب أو الوعاء. عليه يجب على المصنف أن يمتلك الحد الأدنى من الإلمام باللغات العالمية، وإذا لم يستطع المصنف معرفة موضوع كتاب معين نسبة لمشكلة تتعلق بلغة الوعاء فعليه استخدام الوسائل التي تعينه في فهم اللغة لتحديد الموضوع ولغة الوعاء هي وسيلة للوصول لادراك موضوع الكتاب. والمقصود بالوسائل هي ما يمكن استشارته لفهم لغة الكتاب، وتشمل تلك الوسائل المصادر الداخلية للوعاء مثل عناوين الأبواب والفصول التي تحويها صفحة المحتويات وهي مستوى متقدم يلجأ إليه المصنفون الذين لهم إلمام بلغة الوعاء المعني بالتصنيف المكتوب بلغة أجنبية، وكذلك مقدمة الكتاب وتخصص المؤلف وغيرها من المصادر الداخلية، وهنالك مصادر خارجية مثل المعاجم

الأجنبية (Dictionaries) والموسوعات (Encyclopedias)، كما يمكن استشارة المتخصصين في اللغة المعنية بالموضوع. والشاهد من نتائج الجدول (12) أن رقم التصنيف المعد في الكتب الأجنبية أثناء النشر يساعد في فهم موضوعاتها مثل ليلة حلم منتصف الصيف (Amid summer night dream) عندما نجد رقم تصنيفها يبدأ بـ (822) فهذا يعني للمصنف أن الرقم يقع في الأدب الإنجليزي 820 بل وفي المسرح الإنجليزي ويستطيع بعد ذلك أن يستشير نظام التصنيف لمعرفة رقم التصنيف الدقيق للموضوع وهو مسرحية لويليام شيكسبير (Shakespeare, W). ونتائج الجدول (12) تحقق الفرضية الثانية.

جدول رقم (13) يوضح دور أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب في التحقق من رقم التصنيف.

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
أوافق	17	68%
إلى حد ما	8	32%
لا أوافق	0	0
المجموع	25	100%

الجدول (13) يوضح أن (68%) من المصنفين عينة الدراسة يوافقون على أن أرقام التصنيف الجاهزة تساعد على التحقق من رقم التصنيف. و(32%) يوافقون إلى حد ما. يتضح من الجدول (13) أن المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم يؤكدون على أن أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر تساعد في التحقق من أرقام التصنيف.

يرى الباحث أن مسألة التحقق من رقم التصنيف ترتبط بطبيعة موضوعات كتب بعينها. والتحقق من أرقام تصنيف الموضوعات أمر يتوافق مع تصنيف ديوي العشري ومع نظرياته التي تدعو لوضع الكتاب في مكانه الصحيح لكي يجده المستفيد ولو بعد قرن من تصنيفه. كما أن التحقق من أرقام التصنيف يرتبط بالمؤسسة الوطنية التي

تمثلها المكتبات الوطنية التي تصنف الكتب من منظور موضوعي لا يرتبط بمعيار فائدة المستفيدين من المكتبات الجامعية، والملاحظ أن المكتبات الوطنية والتي منها المكتبة الوطنية السودانية تقوم بأعمال تصنيف الكتب أثناء النشر وهي الموكل لها إعداد الكتب فنياً قبل دخولها للمكتبات الأخرى بما فيها المكتبات الجامعية وفقاً لإجراءات معينة تتعلق بالكتاب، والمؤلف، وحقوق التأليف ولجان المصنفات الأدبية. والشاهد أن المكتبة الوطنية لا تلزم المصنفين بالمكتبات الجامعية باستخدام أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر وإنما رقم التصنيف رمز موضوعي عام يمكن استشارته للاستفادة منه للتحقق من رقم التصنيف كما يمكن استخدامه إذا وافق سياسة المكتبة (باشكار، 2016: مقابلة). والجدول (13) يحقق الفرض الثاني المبني على أن هنالك فوائد وإيجابيات لأرقام التصنيف أثناء النشر تتعلق بالمصنف وسياسة المكتبة أثناء عملية التصنيف.

جدول رقم (14) أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب تعين في الموضوعات الصعبة والمعقدة.

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
أوافق	18	72%
إلى حد ما	6	24%
لا أوافق	1	4%
المجموع	25	100%

الجدول (14) يوضح أن (72%) من العينة المبحوثة يوافقون على أن أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب تساعد في حالة الموضوعات الصعبة والمعقدة. و(24%) يوافقون إلى حد ما، بينما (4%) فقط لا يوافقون.

يتضح من الجدول (14) أن معظم المصنفين بالمكتبات الجامعية يؤكدون بأن أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب تساعد في حالة الموضوعات المعقدة للكتب. يرى الباحث أن إسهام التصنيف أثناء النشر في مسألة تصنيف الموضوعات المعقدة يؤكد إيجابيات التصنيف أثناء النشر لأن تصنيف الموضوعات البسيطة لا تمثل عقبة

أما المصنفين والموضوع البسيط هو بؤرة Focus واحدة في وجه Facet واحد داخل قسم أساسي واحد. والوجه هو مجموع البؤرات الناتجة عن تطبيق خاصية واحدة في قسم أساسي واحد مثل خاصية اللغة في قسم الأدب يشمل كل اللغات واللغة العربية بؤرة في وجه الأدب. أما الموضوع المعقد فهو موضوع يشتمل على أكثر من جانب واحد من أكثر من قسم رئيسي واحد، وبالتالي يحتاج إلى معرفة ودراية واسعة بكل الجوانب والأقسام المتعلقة بالموضوع. عليه فعندما تتوفر أرقام تصنيف جاهزة بالكتب أثناء النشر بالنسبة لموضوعات الكتب المعقدة فإن فرصة إعطاء الرقم الصحيح تكون أكبر فضلاً عن توفير زمن يمكن للمصنف أن يضيعه في استشارة المصادر الداخلية والخارجية للكتاب. والجدول (14) يحقق الفرضية الثانية.

المحور الثالث: سليات أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر:

جدول رقم (15) يوضح الاعتماد الدائم على أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب وتشتمت موضوعات الكتب.

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
أوافق	18	72%
إلى حد ما	7	28%
لا أوافق	0	0%
المجموع	25	100%

الجدول (15) يوضح أن (72%) من العينة المبحوثة يوافقون على أن الاعتماد الدائم على أرقام التصنيف أثناء النشر يشتمت موضوعات الكتب بالمكتبة، و(28%) يوافقون إلى حد ما.

نتائج الجدول (15) توضح أن الاعتماد الدائم على أرقام التصنيف أثناء النشر تشتمت موضوعات الكتب. ويرى الباحث أن تشتمت موضوعات الكتب بالمكتبة هو إعطاء أرقام تصنيف مختلفة لكتاب أو مجموعة كتب لها موضوع واحد وهذا لا يعني سوء التصنيف بالمكتبة ولكن هنالك موضوعات تتشابه وتتداخل فيما بينها يصعب

على بعض المصنفين تحديد أرقام لها بصورة دقيقة، والمثال على ذلك موضوعات الكتب التي تتناول الفرق الإسلامية لا يمكن تمييزها بشكل دقيق مع موضوعات الكتب التي تتناول الفكر الإسلامي مع أن الفرق الإسلامية تصنف مع العقيدة الإسلامية في كثير من المكتبات الجامعية. كما أن موضوع الفكر الإسلامي لا توجد حدود ومؤشرات واضحة أنه يختلف مع موضوع الفلسفة الإسلامية. ويرى الباحث من خلال ذلك أن سياسة المكتبة في التصنيف تعتبر ضرورية لحسم الجدل الفكري المبرر عند تصنيف الموضوعات. ولكن عندما يعتمد المصنف على أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب والتي تصنف الفكر الإسلامي على أنه فلسفة إسلامية أو تصنف الفرق الإسلامية مع فكر إسلامي فهذا شأن يخص سياسة المصنفين بالمكتبة أو المكتبات الوطنية، أما المكتبة الجامعية فسياستها تبنى على خدمة المستفيد ويعتبر تجميع كل كتب الموضوع الواحد في مكان واحد هي غاية التصنيف بغض النظر عن تطابق التصنيف العملي وسياسة المكتبة مع نظام تصنيف ديوي العشري ونظرياته في التصنيف. عليه يمكن الحكم على أن الاعتماد الدائم على أرقام التصنيف بأنه يعرض المكتبة لتشتت موضوعات الكتب على أرففها وبالتالي تختل نظرية التصنيف وتطبيقاته العملية. والجدول (15) يحقق الجزء الأخير من الفرضية الأولى وهي أن الاعتماد الدائم على أرقام تصنيف ديوي العشري أثناء النشر يؤثر على ترتيب مجموعات المكتبة الجامعية. والتأثير هنا تأثير سلبي.

رقم (16) يوضح الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب يضعف مهارة المصنف.

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
أوافق	19	76%
إلى حد ما	6	24%
لا أوافق	0	0%
المجموع	25	100%

الجدول (16) يوضح أن (76%) من المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم يوافقون على أن الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة يضعف مهارة المصنف. بينما (24%) يوافقون إلى حد ما.

توضح نتائج الجدول (16) أن الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة يضعف مهارة المصنف. ويرى الباحث من خلال نتائج الجدول ان ابتعاد المصنف عن خطة التصنيف يؤثر في خبرته، والمعروف أن خطة ديوي هي خطة موسوعية بنيت على أساس فلسفي وحصري وبها إمكانيات تركيب الأرقام بصورة منطقيه. كما تحتوي على جداول مساعدة (Tables) تمثل أوجه موضوعات المعرفة (Facets) المختلفة تستخدم وفق تعليمات تحتاج لتدقيق في تطبيق قواعد التصنيف. كل هذه الحثيات تحتاج لتمرس وتطبيق مستمر يكسب المصنف في بعض الأحيان مهارة يستطيع من خلالها وضع أطر جديدة لتصنيف مجموعات المكتبة الخاصة وفي كثير من الأحيان تصبح الأطر المستخلصة من تطبيق تصنيف ديوي المستمر قواعد وخطة مبدئية جديدة. مما سبق يمكن القول أن الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر يبعد المصنف من التعمق في خطة ديوي والغوص في دهاليزها المنطقية التي تستند على الفكر والمنطق، فعندما يعتمد المصنف على خطة التصنيف بالمكتبة يستطيع تطوير أسلوبه المهني، بل ويستطيع ملاحقة مستجدات المعرفة من خلال طبقات ديوي الحديثة و يمكن أن يتتبا ببعض التعديلات التي سوف تطرأ على الطبقات القادمة من خلال ممارسته التي تكشف له بعض العلاقات الغير منطقية وبعض الفجوات المعرفية التي لم تغطيها الطبعة المستخدمة. خلاصة القول أن الاعتماد على أرقام تصنيف ديوي الجاهزة أثناء النشر تجعل المصنف بمنأى عن خطة التصنيف المتبعة وتصبح خطة التصنيف عبارة عن وسيلة غير مستخدمة توضع بالمكتبة كرمز لحراك موضوعي مفقود. والجدول

(16) يحقق الفرضية الأولى المبنية على أن الاعتماد المستمر على التصنيف أثناء النشر يضعف مهارة المصنف.

جدول رقم (17) الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب يقلل من احترافية المصنف.

النسبة المئوية	التكرار	العبارة
80%	20	أوافق
20%	5	إلى حد ما
0%	0	لا أوافق
100%	25	المجموع

الجدول (17) يوضح أن (80%) من المصنفين بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم يوافقون على أن الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب يقلل من احترافية المصنف. و (20%) فقط يوافقون إلى حد ما.

توضح نتائج الجدول (17) أن الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة يقلل من احترافية المصنف. ويرى الباحث أن مهنة المكتبات هي مهنة وحدة التطبيق التي تستند على قواعد وأسس مهنية تعين المتخصصين على الاستخدام الواعي الذي يعكس المهنية والاحترافية الجيدة. ومهنة التصنيف هي وحدة تخصصية في مهنة المكتبات وتشكل نواة العمل التطبيقي للمكتبات الجامعية وللإحترافية شروط يراها الباحث بأنها تبدأ بالتأهيل والتدريب والتعلم الذاتي المستمر بالإضافة للموسوعية المعرفية والفكرية للمصنف وشخصيته، ومهارته، وإدراكه بكل جوانب المعرفة البشرية التطبيقية منها والنظري. والاعتماد على خطة التصنيف يكسب المهنية التي تسمو بصاحبها إلى الاحتراف، ففي زماننا هذا انتشرت المكتبات بمؤسسات الدولة والشركات والهيئات والشركات الخاصة. فنجد أن هنالك هيئات حكومية وغير

حكومية تنادي بتنظيم وتصنيف أوعية مكباتها بمقابل ويعقد احترا في فيتم اختيار مجموعة من المصنفين بالمكبات الجامعية لتصنيف تلك المجموعات، وذلك ليس بمصادفة لان الجامعات هي جهات علمية استشارية والمكتبة الجامعية هي مختبر للتدريب والمهنية. عليه يمكن القول بأن الاعتماد على خطة التصنيف يكسب المصنف المهارة التي تؤهله للاعتراف المهني داخل المكتبة الجامعية وخارجها. أما إذا تم اعتماد المصنف بشكل مستمر على أرقام التصنيف الجاهزة فإنه معرض لفقدان الاحترافية والمهنية في المكبات الجامعية. بل يعتبر الاعتماد الدائم والمستمر على أرقام التصنيف الجاهزة عمل يخالف أخلاقيات المهنة بمعنى أن المصنف لا يريد أن يكلف نفسه عناء البحث في غمار خطة التصنيف. والجدول (17) يحقق ويدعم الفرضية الأولى.

ملخص لنتائج الدراسة:

توصلت الدراسة للعديد من النتائج هي:

1. المصنفين بالمكبات الجامعية بولاية الخرطوم على درجة كبيرة من الخبرة، والإلمام بتصنيف الكتب والتعامل مع نظام ديوي العشري.
2. المكتبة الوطنية السودانية لا تلزم المكبات الجامعية باستخدام تصنيفها المجهز بالكتب أثناء النشر.
3. لا يتم استخدام أرقام تصنيف ديوي الجاهزة أثناء النشر ولا توجه المكبات الجامعية بشراء كتب بها أرقام تصنيف جاهزة.
4. أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر لا تتوافق دائماً مع سياسة التصنيف بالمكبات الجامعية بولاية الخرطوم.
5. أرقام التصنيف الجاهزة تساعد المبتدئين بالمكبات الجامعية وفهم موضوعات الكتب باللغات الأجنبية.

6. أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر تسهم في التحقق من أرقام تصنيف الكتب بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم.
7. الاعتماد الدائم على أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب يشتمل موضوعات الكتب بالمكتبات الجامعية بولاية الخرطوم.
8. الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة أثناء النشر يضعف مهارة المصنف.
9. الاعتماد المستمر على أرقام التصنيف الجاهزة بالكتب يقلل من احترافية المصنف.

توصيات الدراسة:

من أهم توصيات الدراسة:

1. ضرورة وضع سند أدبي مكتوب للموضوعات التي لا يوجد لها مكان في خطة تصنيف ديوي واعتماد ذلك السند بوجه عام لتجنب تضارب أرقام التصنيف.
2. على المصنفين بالمكتبات الجامعية اتخاذ أرقام التصنيف أثناء النشر كمؤشر لمعرفة الموضوعات المعقدة.
3. على عمادات المكتبات الجامعية بولاية الخرطوم عقد دورات مستمرة للمصنفين تتعلق بإتقان اللغة الإنجليزية والفرنسية لفهم موضوعات الكتب الأجنبية.
4. ضرورة تبادل خبرات المصنفين بالمكتبات الجامعية السودانية وذلك عن طريق الانتداب المستمر.
5. على المكتبات الجامعية العمل على نظام التنقل للمصنفين بين المكتبات الفرعية.
6. على عمادات المكتبات الجامعية توفير معينات العمل والوسائل المختلفة التي تساعد في عملية التصنيف.

قائمة مصادر ومراجع الدراسة:

- 1- آل عروان، هند بنت عبد الرحمن آل عروان. الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003م

- 2- الأخرس، محمود، التصنيف وأنظمته. المجلة العربية للمعلومات، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، مج2، ع2، 1981.
- 3- إتييم، محمود أحمد. التصنيف بين النظرية والتطبيق. ط3.- الرياض: مكتبة الملك فهد، 1998م.
- 4- بشكار، يس عبد الله . رئيس قسم الـ ISBN (مقابلة مباشرة) الأحد 10/يناير/2016م.
- 5- بدر، أحمد أنور و عبد الهادي، محمد فتحي. التصنيف: فلسفته وتاريخه، نظريته ونظمه وتطبيقاته العملية.- الرياض: دار المريخ، 1995.
- 6- حسب الرسول، سيد. تخصص المكتبات والمعلومات: مدخل منهجي.- الرياض: دار المريخ، 1995.
- 7- الجمهورية العربية السورية وزارة الثقافة.- دمشق: مديرية المراكز الثقافية، 2011م
- 8- الشافعي، حامد دياب. إدارة المكتبات الجامعية: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية.- القاهرة: دار غريب، د.ت.
- 9- الشريف، عبد الله محمد، مدخل إلى علم المكتبات والمعلومات. ط3، القاهرة: عصمى للنشر والتوزيع، 1994.
- 10- العايدي، محمد عوض. تصنيف ديوي العشري القياسي. مج1.- القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 2004 م
- 11- أبوعزة، عبد الحميد. تسويق خدمات المعلومات.- المجلة العربية للمعلومات.- مج 4، ع2، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة. 1993.

- 12- عبد القادر، محمد. قسم الـ ISBN (مقابلة شخصية)، الأحد 10/يناير/2016م
- 13- عبد المعطي، ياسر يوسف. تصنيف مصادر المعلومات:أسسه وتطبيقاته التقنية الحديثة. - الكويت: مكتبة الفلاح، 2000م
- 14- عليان، ربحي مصطفى. مبادئ علم المكتبات والمعلومات. - عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2011م.
- 15- كمال الدين، أميمة حسن كمال الدين. أثر تعديلات تصنيف ديوي العشري في تنظيم مجموعات المكتبات الجامعية- الخرطوم: جامعة النيلين، 2004م
- 16- محمد، عبد الحميد صلاح. ثورة المعلومات. - القاهرة: هبة النيل للنشر والتوزيع، 2010م.
- 17- ميلاد، سلوى. الأرشيف ماهيته وأدارته ط2. - الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، 2008م.
- 18- نور، قاسم عثمان. موسوعة مكتبات السودان: دراسة تاريخية احصائية تقويمية. - الخرطوم: المجلس القومي للثقافة والفنون، 2011م.
- 19- همشري، عمر أحمد. المكتبة ومهارات استخدامها عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2009م.
- 20- Mitchell, J. Dewy Decimal Classification and Index.- 22th ed.- New Doblin: forest press 1989
- 21 _____ .Dewey Decimal Classification and relative Index.- 21st ed.-New York : Forest Press.1996
- 22- Comaromi, John and others. Dewey Decimal Classification and Relative Index.- 20th ed.-New York:Forest Press, 1996.
- 23- Reitz, John M. Dictionary for library and Information Science.- London:librarians Ultimated,2004

24- Taylor, Arlene. Introduction to Cataloging and classification.- 10th ed.- : Libraries Unlimited, 2006.

25- Webster, Duane. The college university library in: Boaz, Martha.- Colorado: Libraries Unlimited, 1979

26- <http://www.darelkotob.gov.eg>

27- www.esotric-lebanon.org

دور التمويل الأصغر في محاربة الفقر في المناطق الريفية ضمن أطر المالية الإسلامية

د عبدالروؤف محمد حسين هوش

كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية

جامعة دنقلا - السودان

ملخص:

يعتبر الفقر مشكلة ريفية بالدرجة الأولى، وأغلبية فقراء العالم يعيشون في المناطق الريفية على امتداد عقود كثيرة من الزمن، وأن 70٪ من الفقراء الذين يعيشون على أقل من 1.25 دولار أمريكي يومياً، أي ما يقرب من مليار نسمة، يعيشون في المناطق الريفية. كما تشير إحصائيات أخرى إلى أن ثلاثة من كل أربعة فقراء في البلدان النامية يعيشون في مناطق ريفية، وتحاول هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على مشكلة الفقر في المناطق الريفية بالبلدان الإسلامية والقضايا المتصلة بها، ودور التمويل الأصغر ضمن إطار المالية الإسلامية في الحد من ظاهرة الفقر في هذه المناطق، مع بيان أهم معوقات التمويل الريفي وسبل تجاوزها، مشيرين في ذلك إلى تجارب دولية ناجحة في هذا الإطار.

الكلمات المفتاحية: الفقر، التمويل الأصغر، المناطق الريفية، التمويل الأصغر الإسلامي.

مقدمة:

يمثل الفقر ظاهرة اقتصادية واجتماعية ملازمة للعديد من الاقتصاديات والمجتمعات، التي لم تستطع التخلص منها على الرغم من قدمها والتطورات الكبيرة التي عرفتها الإنسانية في شتى مناحي الحياة، وتعيش الغالبية العظمى من فقراء العالم في مناطق ريفية، إذ بين التقرير الذي أصدره الصندوق الدولي للتنمية الزراعية عام 2011 أنه ما زال الفقر مشكلة ريفية بالدرجة الأولى، وستظل أغلبية فقراء العالم

تعيش في المناطق الريفية على امتداد عقود كثيرة قادمة، وأن 70 في المائة من الفقراء الذين يعيشون على أقل من 1.25 دولار أمريكي يومياً، أي ما يقرب من مليار نسمة، يعيشون في المناطق الريفية. كما تشير إحصائيات أخرى إلى أن ثلاثة من كل أربعة فقراء في البلدان النامية يعيشون في مناطق ريفية. (IFAD 2001).

هذا ويواجه الفقراء والشركات الصغيرة في المناطق الريفية لاسيما في الدول الإسلامية العديد من الحواجز المعيقة للقدرة على الحصول على الخدمات المالية، ومنها: البعد عن الخدمات المالية، وعدم القدرة على تقديم وثائق رسمية عند اللزوم، والتكلفة الباهظة جداً والافتقار إلى الضمانات المصرفية التقليدية... الخ، وقد نتج عن ذلك افتقار المشاريع الريفية لإمكانات الحصول على الخدمات المالية الرسمية، والندرة في المعطيات المالية الملائمة والمؤسسات التمويلية السليمة والمستدامة القائمة على أسس الشريعة الإسلامية لتقديم هذه الخدمات، ويتفاقم هذا الوضع على وجه الخصوص بسبب اشتداد وتعدد المخاطر في المشاريع الريفية لاسيما الزراعة دون وجود آليات ملائمة لإدارة هذه المخاطر والحد منها.

وفي ظل هذه الظروف وفي ظل ما يتميز به عالم الريف الواسع والمتنوع يمكن للتمويل الأصغر في ظل أطر المالية الإسلامية توفير الفرص الجديدة لملايين الفقراء في المناطق الريفية للخلاص من براثن الفقر، من خلال اعتماد السياسات الصحيحة المراعية للكفاءة الاقتصادية ومقتضيات الشريعة الإسلامية السمحة، وتشجيع الاستثمارات المساندة على الصعيد المحلي والوطني والعالمي، إذ أن أهمية التمويل الأصغر في التخفيف من حدة الفقر في المناطق الريفية وفي تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية تعني ضرورة بقائه أولوية عالية بالنسبة للحكومات والجهات المانحة خاصة في الدول الإسلامية، وكذا بالنسبة للأسر الريفية أيضاً، ففي البلدان التي عملت فيها مؤسسات الائتمانات الصغيرة وائتمانات التجزئة منذ مدة طويلة، استطاعت أن تحقق اندماجاً كبيراً لهذا القطاع واتجاهاً ملحوظاً نحو تقديم خدمات أكثر تكاملاً، حيث تستبدل منتجات القرض الواحد وخدمات المصارف الزراعية للاثتمان فقط بخيارات

المدخرات والارتباط بشركات متخصصة للتمويل والتأجير ورأسمال المضاربة... الخ، إضافةً إلى منظمات كفوءة ومناسبة للمنظمات غير الحكومية وجماعات العون الذاتي كي تيسر توسعها في المناطق الريفية.

أولاً: الفقر في المناطق الريفية في العالم العربي:

1. تعريف الفقر:

هناك مفاهيم عديدة للفقر في الأدبيات الاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بموضوع الفقر. وإن كان أغلبها يركز في تعريفها لمفهوم الفقر على مستوى الدخل أو الإنفاق اللازم للحصول على الحد الأدنى من الاحتياجات الأساسية اللازمة للعيش، كالغذاء والسكن والملبس، ومن ثم فإن الشخص الذي يقل مستوى دخله أو إنفاقه عن الحد الأدنى من أساسيات المعيشة يُعد فقيراً، وعليه وضعت كل دولة لنفسها حداً أطلقت عليه "حد الفقر الوطني" وتم تحديده بالعملة المحلية، فإذا ما وقع الفرد تحت هذا الخط عُدد فقيراً. مجلة الزراعة والوطن العربي(2011).

وقد ساهمت مؤسسات دولية عديدة في دراسة ظاهرة الفقر وتحديد أبعادها ووضع مفاهيم واسعة لتعريفها. نذكر من بينها ما يلي:

- عرف البنك الدولي في تقريره الشهير عن التنمية في العالم لعام 2001/2000 والذي كان موضوعها الأساسي الفقر، مفهوم الفقر على أنه عدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة. ولأغراض المقارنة بين دول العالم ووضع البنك الدولي حدين للفقر هما: دولار واحد للحد الأدنى ودولاران للحد الأعلى، وفقاً للقوة الشرائية المعادلة لعام 1985، وفي عام 2008 تحدد خط الفقر بدولار وربع يومياً.
- عرفت الأمم المتحدة في البيان الصادر عن مؤتمر القمة العالمي الذي عقدته عن التنمية الاجتماعية في كوبنهاجن عام 1995 الفقر بأنه: الافتقار إلى الدخل المادي وموارد الإنتاج الكافية لضمان إشباع الحاجة الأساسية والضرورية لمواجهة متطلبات الحياة، وتجنب الجوع وسوء التغذية، والحرمان.

- ويعرف وفقاً للمنظمة الدولية لحقوق الإنسان بأنه: وضع إنساني قوامه الحرمان المستمر أو المزمّن من الموارد، والإمكانات، والخيارات، والأمن، والقدرة على التمتع بمستوى معيشي لائق وكذلك من الحقوق المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأخرى. أماني قنديل (2001).
- واستناداً إلى هذه التعاريف يمكن تلخيص مفاهيم الفقر في الأبعاد التالية:
- الحرمان المادي في الحصول على الحد الأدنى من الاحتياجات الإنسانية والذي تتجلى أبرز مظاهره في انخفاض استهلاك الغذاء كمّاً ونوعاً، وتدني الحالة الصحية والمستوى التعليمي،
- الحرمان غير المادي، كافتقار الإنسان للعيش بحرية وكرامة، وعدم توفر الأمن والسلام وحرمانه من حقوقه السياسية والمدنية.

2. تصنيفات الفقر:

- تتعدد تصنيفات الفقر بتعدد المعايير المعتمدة في التصنيف، إلا أن أبرزها يمكن الإشارة إليه في الأنواع التالية: مجلة الزراعة والوطن العربي (2011).
- **الفقر المطلق:** يعد الفرد فقيراً مطلقاً إذا لم يملك الدخل الكافي الذي يمكنه من نيل الحد الأدنى من الغذاء والملبس والسكن وخدمات التعليم والصحة ووسائل المشاركة الاجتماعية. ويتفاوت خط الفقر المطلق بين المجتمعات بسبب التباين الثقافي والاجتماعي ودرجة التطور الاقتصادي والتقني، كما تتفاوت بين بلد وآخر وبين الأقاليم داخل البلد الواحد.
 - **الفقر النسبي:** يعد الفرد فقيراً نسبياً إذا قل معدل دخله عن قيمة محددة في سلم الدخل، وهناك اختلاف على تحديد هذه القيمة إذ أعدها البعض كنسبة من متوسط الدخل القومي أو كنسبة من متوسط دخل أفقر 40% من الأسر في المجتمع. ويختلف خط الفقر النسبي عن خط الفقر المطلق بأنه يتغير مع المتغيرات في تكاليف المعيشة. ومستوى الدخل القومي في كل مكان وزمان.

▪ *الفقر الريفي*: ارتبط مفهوم الفقر عبر التاريخ بالمناطق الريفية لذلك يصنفه البعض بأنه ظاهرة ريفية. ويشكل فقراء الريف الغالبية من فقراء العالم ويعتمدون في توفير سبل عيشهم على الزراعة والصيد وما يتصل بها من خدمات وصناعات صغيرة، ومن أبرز الأسباب التي أدت إلى ارتفاع معدلات الفقر في المناطق الريفية افتقار فقراء الريف للأصول الإنتاجية كالأراضي الزراعية ذات النوعية الجيدة وإمدادات مياه الري المستدامة والمستقرة وتعرض مناطقهم للجفاف والتصحر والكوارث الطبيعية، فضلاً عن عدم توفير البنية التحتية الأساسية التي تمكنهم من الوصول إلى الأسواق وافتقارهم إلى مصادر الائتمان والخدمات المالية.

وفي الوطن العربي ارتبط الفقر الريفي تاريخاً بالتمايز الطبقي والاجتماعي بين أهل الريف إذ تقوم الغالبية العظمى من فقراء وصغار المزارعين بزراعة مساحات صغيرة من الأرض، وتلجأ لتأجير جزء من قوة عملها للغير من أجل مقابلة احتياجاتها المعيشية.

▪ *الفقر الحضري*: ينتشر الفقر الحضري بين سكان الأحياء الصغيرة في المدن والتي تتميز بالازدحام والأحوال الصحية السيئة والمياه الملوثة، ويسكن فقراء الحضر عادة في أحياء أقيمت عشوائياً حول المدن وغير مصرح بالسكن فيها مما يعرضهم باستمرار إلى الإخلاء الإجباري وخطر الفيضانات والانهيارات الأرضية والتلوث الكيميائي. ومعظم فقراء الحضر هم مهاجرين من الريف بحثاً عن فرص عمل أعلى أجراً أو هرباً من موجات الجفاف والتصحر أو لشعورهم بعدم الأمان نتيجة الحروب والنزاعات الأهلية. ويعمل معظم فقراء الحضر عادة في أنشطة هامشية غير منظمة لا تمكنهم من امتلاك الموارد المالية الكافية لتحسين أوضاعهم المعيشية، وقد أثبتت معظم الدراسات أن تنفيذ الاستراتيجيات الهادفة إلى تخفيض حدة الفقر في المناطق الريفية تؤدي تلقائياً إلى تشجيع فقراء الحضر إلى الهجرة المعاكسة للريف. والجدول التالي يبين نسبة الفقراء في عدد من الدول العربية، وكذا نسبة فقراء الأرياف من إجمالي الفقراء الذين يعيشون دون خط الفقر الوطني.

جدول 1: نسبة فقراء الأرياف من إجمالي الفقراء الذين يعيشون دون خط الفقر الوطني في الدول العربية

من إجمالي الفقراء (%)	فقراء الريف		إجمالي الفقراء (ريف + حضر)		
	(%) من إجمالي السكان الريفيين	العدد بالمليون نسمة	(%) من إجمالي السكان	العدد بالمليون نسمة	البلد
27	12	0.16	14.2	0.6	الأردن
33	6	0.2	6.0	0.6	تونس
53	30	3.7	23.0	7.0	الجزائر
67	87	17.6	85.0	26.4	السودان
77	45	3.4	27.0	4.4	سوريا
67	55	0.6	32.0	0.9	فلسطين
25	12	0.05	6.1	0.2	لبنان
60	29	10.8	26.5	18.0	مصر
64	27	3.6	19.0	5.7	المغرب
83	41	5.7	38.0	6.9	اليمن
66.3	44.6	52.1	35.1	78.6	الإجمالي

المصدر: رائد فايز حتر، (بدون تاريخ)، الفقر الريفي في الوطن العربي ودور المنظمة العربية للتنمية الزراعية في الحد من آثاره.

من خلال هذا الجدول يمكن تصنيف الدول العربية طبقاً لكثافة الفقر الريفي إلى ثلاث مستويات هي:

- المستوى الأول: يضم مجموعة الدول التي تقل بها نسبة فقراء الريف إلى مجموع الفقراء عن 33.3% وهي: جيبوتي والأردن ولبنان وتونس.

- المستوى الثاني: يضم مجموعة الدول التي تتراوح بها نسبة فقراء الريف إلى مجموع الفقراء بين 33.3% - 66.6% وهى: الجزائر ومصر والمغرب.
 - المستوى الثالث: يضم مجموعة الدول التي يزيد بها نسبة فقراء الريف / مجموع الفقراء عن 66.6% وهى: الصومال والسودان وسوريا واليمن وفلسطين.
- ثانياً: مفهوم التمويل الأصغر:

1. تعريف التمويل الأصغر:

- **التعريف الأول:** التمويل الأصغر "Micro Finance" هو تقديم وتوفير الخدمات المالية للفقراء القادرين على تنظيم المشروعات (مشروعات العمل الحر)، كالإقراض والإيداع والادخار التي تتكيف مع احتياجاتهم؛ جوديث ولورنس (1998).
 - **التعريف الثاني:** يعرف التمويل الأصغر بأنه التسليف والادخار وتقديم الخدمات المالية الأخرى مثل التحويلات، التأمين، قروض الاستهلاك، قروض الزواج، المساعدات الفنية، بطاقات الائتمان، خدمات الدفع.. الخ؛ العوض (2008).
 - **التعريف الثالث:** يعرف التمويل الأصغر على أنه مجموعة الخدمات المقترحة أو المقدمة للأفراد الذين ليس لهم القدرة على الحصول على تلك الخدمات من المؤسسات المالية التقليدية؛ (Sébastien 2006).
 - **التعريف الرابع:** يعرف التمويل الأصغر على أنه: منهجية إقراض توظف بدائل للضمانات لتقديم واسترداد قروض قصيرة الأجل لرأس المال العامل لأصحاب المشاريع الصغيرة؛ المجموعة الاستشارية (2003).
- ما يُلاحظ من هذه التعاريف أن برامج التمويل الأصغر تركز على عنصرين أساسيين هما:

- ضرورة تقديم مجموعة متنوعة من الخدمات المالية وليس خدمات الإقراض فقط ؛
- تقديم تلك الخدمات المالية المتنوعة إلى شريحة الفقراء القادرين على خلق

المشروعات المدرة للدخل.

وما يمكن قوله مما سبق هو أن مفهوم التمويل الأصغر يقصد به تلك البرامج التي تركز على تقديم مجموعة متنوعة من الخدمات المالية وليس خدمات الإقراض فقط للأفراد الذين ليس لهم القدرة على الحصول على تلك الخدمات من المؤسسات المالية الرسمية، القادرين في نفس الوقت على بدء مشروعات استثمارية مدرة للدخل، بمعنى أنه يأتي لمعالجة مشكلة الفقر والبطالة، إضافة إلى معالجة مشكلة الإقصاء الاقتصادي والاجتماعي الذي يعانيه الكثير من الأفراد ذوي المردودية المتدنية والمخاطرة المرتفعة من وجهة نظر المؤسسات المالية الرسمية.

2. خصائص التمويل الأصغر:

تتميز برامج المؤسسات العاملة في ميدان التمويل الأصغر بالخصائص التالية (جوديث و لورنس (1998)

- تقديم القروض الصغيرة والقصيرة الأجل لأغراض رأس المال العامل؛
- التقييم البسيط والسهل لاستثمارات المقترضين؛
- استخدام بدائل مستحدثة كالضمانات الجماعية وأسلوب الادخار الإلزامي بدلا من استخدام الضمانات العينية؛
- إمكانية حصول المقترض على قروض جديدة يتوقف على مدى وفائه بالتزاماته في تسديد القروض السابقة؛
- الدفع المبسط والسريع لأقساط القروض كأسلوب الدفع الأسبوعي أو الشهري، أو أسلوب الدفع اليومي في بعض برامج التمويل الأصغر؛
- ارتفاع معدلات التحصيل لأقساط القروض مقارنة بمعدلات تحصيل القروض على مستوى بعض المؤسسات المالية التقليدية؛
- استخدام أدوات الادخار الطوعي كأسلوب يزيد من قدرة المقترض على تلبية احتياجاته الخاصة الظرفية؛
- فرض أسعار فائدة مرتفعة لتغطية التكاليف المرتفعة التي تتطوي عليها

معاملات التمويل الأصغر؛

- اتباع مناهج بديلة إزاء الضمانات العينية؛
- ملائمة موقع وتوقيت السداد؛
- خدمات مالية ملائمة من حيث السرعة والتوقيت والقيمة.

3. أهمية التمويل الأصغر:

مع الاتجاه المتزايد في العديد من الدول لاسيما النامية منها نحو المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر باعتبارها قطاعاً هاماً لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، أصبح التمويل الأصغر آلية أساسية من أهم الآليات المبتكرة لتحقيق أهداف التنمية المنشودة والتخفيف من حدة الفقر وآثاره في المجتمعات التي ظلت تعاني من هذه المشكلة وما تلقىه من شرارات على مختلف نواحي حياة أفراد المجتمع، وذلك من خلال استهداف الفقراء وتوسيع الفرص أمام الشرائح الأكثر حاجة للتمويل لاسيما فقراء المناطق الريفية الذين يمثلون أغلبية الفقراء في العالم والعمل على تحويل شقائهم وبؤسهم إلى سعادة ورخاء. ونتيجة لذلك أصبح التمويل الأصغر أكثر أهمية من أي وقت مضى لمكافحة الفقر الريفي لاسيما في البلدان العربية والإسلامية، وللتنوع بشكل فعال في استراتيجيات تحسين فرص الحصول على التمويل في أجزاء أخرى من العالم.

ويعتبر إعلان هيئة الأمم المتحدة سنة 2005 السنة الدولية للتمويل الأصغر بمثابة الاعتراف الدولي بأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه برامج التمويل الأصغر المنفذة من قبل الجهات المؤسساتية المختلفة، سواءً من حيث أهمية الخدمات المالية المتاحة للجميع في إطار بناء أنظمة مالية مفتوحة للجميع، أو من حيث أهمية المشروعات الصغيرة والبالغة الصغر المحدثّة في ظل هذه البرامج ودورها في توفير فرض العمل ورفع مستويات المعيشة في إطار التنمية المستدامة المتكاملة. المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب (2008).

ثالثاً: أساسيات نظام التمويل الإسلامي ومدى انطباقها على تطوير قطاع التمويل الأصغر:

1. مبادئ التمويل الإسلامي:

خلال السنوات الأخيرة انبثق التمويل الإسلامي من كونه سوقاً للنخبة إلى صناعة مزدهرة سريعة النمو في كافة أنحاء العالم، فقد تم إنشاء أكثر من 500 مؤسسة ملتزمة بالشريعة خلال السنوات الثلاثين الماضية وهي منتشرة في 75 بلداً وبحجم سوقي يبلغ 13 تريليون دولار أمريكي وبنمو سنوي يقدر بنحو 15% ويستقطب القطاع اهتماماً متزايداً من بلدان إسلامية وغير إسلامية علي حد سواء، ويشير مصطلح التمويل الإسلامي، وعلى نحو أدق "التمويل المتوافق مع الشريعة الإسلامية"، إلى الخدمات المالية التي تتم وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية. عبد الرحمن (2007). وتقوم الممارسات المالية الإسلامية الأساسية على مبدأ إسلامي أساسي وهو أن المال ليس في حد ذاته أصل من الأصول المنتجة (ليس مصدراً للكسب في حد ذاته). وليس هذا فحسب بل إن المبادئ الأساسية لنظام التمويل الإسلامي تشدد على العوامل الأخلاقية والأدبية والاجتماعية والدينية لتشجيع وتعزيز المساواة والعدل لما فيه صالح المجتمع بأسره، فضلاً عن المبادئ التي تشجع تقاسم المخاطر والحقوق والواجبات الفردية وحقوق الملكية وقدرسية العقود، راحول وأميلا (بدون تاريخ)، وعلى العموم يمكن بيان المبادئ الأساسية لنظام التمويل الإسلامي في ما يلي: محمد مصطفى (2010)

- **تحريم الفائدة (الربا):** وهو المبدأ المركزي للنظام الإسلامي، فتعتبر الفائدة التقليدية على القروض أو المدخرات، كعائد ثابت دون المشاركة في أية مخاطر شيء محرم؛
- **تقاسم المخاطر:** لأن الفائدة محرمة، فأصحاب الأموال يصبحون مستثمرين بدلاً من دائنين، وبذلك يتقاسم مقدم رأس المال وصاحب المشروع مخاطر الاستثمار بدلاً من تقاسم الربح فقط؛
- **المال كرأس مال "احتمالي":** يُعامل المال كرأس مال "احتمالي"، والذي يعني أن يصبح المال رأس مال فعلي فقط عندما يُتداول مع غيره من الموارد للنشاط

الإنتاجي، ويعترف الإسلام بالقيمة الزمنية للنقود، ولكن فقط عندما تكون بمثابة رأس مال فعلي، وليس عندما تكون رأس مال "احتمالي"؛

- تحريم سلوك المضاربة: لا يُشجع النظام المالي الإسلامي الاحتكار، ويحرم المعاملات التي تتطوي على أقصى درجات عدم التأكد والمقامرة والمخاطر؛
- قدسية العقود: يتمسك الإسلام بالالتزامات التعاقدية ووضوح وشفافية المعلومات، ففي عقود البيع مثلاً، يجب أن يكون المنتج أو الخدمة التي تُباع أو تُشتري واضحة لكلا الطرفين، وتهدف هذه الميزة إلى الحد من مخاطر المعلومات غير المتماثلة والمخاطر المعنوية؛
- تمويل الأنشطة المتوافقة مع الشريعة: فمحرم على المسلمين الربح من الأنشطة التي تعد غير أخلاقية، فعلى سبيل المثال الاستثمار في الأعمال المتعلقة بالخمير، والمقامرة، والمواد الإباحية، وأسلحة الدمار الشامل جميعها أنشطة محرمة؛
- لا يجوز "البيع على المكشوف": لا يُسمح للمسلمين ببيع ما لا يملكون - لذا فلا يُسمح بالبيع على المكشوف
- يُشارك التمويل الإسلامي على نطاق واسع مجالات مثل "الاستثمار الأخلاقي" والمسؤولية الاجتماعية للمؤسسات" وكلٍ منهما يكتسب شعبية متنامية في جميع أنحاء العالم، حيث يدرك المستثمرون كم من المهم مراعاة كيفية استخدام ثرواتهم، ومصادر عائداتهم.

وبالنظر إلى هذه المبادئ ومقارنتها بمتطلبات التمويل الأصغر، حيث يواجه أصحاب المشاريع الصغيرة وصغار المزارعين والحرفيين في ظل نظام مصرفي تقليدي مصاعب كبيرة عند بحثهم عن الموارد المالية التي يحتاجونها لتنمية وتطوير أنشطتهم، إذ أن أدوات الإقراض ليست مكيفة لتلائم أوضاع صغار المقترضين، وعادة ما لا يكون التمويل المؤسسي متاحاً لأصحاب المشروعات الفقراء، كما أن أغلب الفقراء يفتقرون لأي أصول مادية يمكن تقديمها كضمانات عينية عند الاقتراض وغيرها من المصاعب الأخرى. وفي ظل ذلك يتضح أن كثيراً من عناصر ومتطلبات نظام التمويل

الأصغر تتسق مع الأهداف العامة للنظام المصرفي الإسلامي، فكلما النظامين يدعو إلى تشجيع إقامة المشروعات وتقاسم المخاطر، ويعتقد بأن الفقراء يجب أن يشاركوا في هذه الأنشطة، ويعتبر تقديم القروض بدون ضمانات في بعض الحالات مثلاً على كيفية اشتراك النظام المصرفي الإسلامي ونظام التمويل الأصغر في أهداف مشتركة، بل إن شروط وأحكام التمويل الأصغر الإسلامي هي الأكثر ملاءمة وسهولة في الوصول إليها خاصة بالنسبة للسكان الأكثر ضعفاً وحرماناً لكونها تستند على تقاسم المخاطر والأرباح والمعدلات الثابتة للدفعات المسبقة والشفافية بهدف ضمان الرعاية، وهكذا فإن النظام المصرفي الإسلامي وبرامج التمويل الأصغر يمكن أن يكمل بعضهما البعض ويتكاملا في علاقة وطيدة، وهذه العلاقة لا توفر منافع للفقراء أصحاب المشروعات الصغيرة الذين يستبعدون من أسواق الائتمان فحسب، وإنما يمكن للاستثمار في مؤسسات الأعمال الصغرى أن يتيح أيضاً للمستثمرين في البنوك الإسلامية فرصة لتتويج استثماراتهم وتحقيق عوائد جيدة ويظهر ذلك جلياً في بعض الممارسات المشتركة بينهما، حيث يسعى المصرفيون الإسلاميون إلى تمويل النشاط التجاري الذي سيؤدي إلى تمكين الفقراء من أسباب القوة الاقتصادية بدلاً من الاكتفاء بمجرد إقراض هؤلاء الفقراء لأغراض الاستهلاك.

وبذلك يشكل التمويل الأصغر فرصة جيدة أمام التمويل الإسلامي حتى يعكس الأخير جوهر منظومة قيمه ومكنون رسالته. ويمكن أن يساعد الامتثال لأصول الشريعة الإسلامية وقواعدها، في الوقت نفسه، مؤسسات التمويل الأصغر على الوصول إلى عدد كبير من المسلمين الذين يفضلون أشكال الأنشطة المالية الممتثلة لأحكام الشريعة الإسلامية. وتتمثل إحدى الإمكانيات في التنسيق بين المانحين، لأن المؤسسات المالية الإسلامية ترى أن تخفيف حدة الفقر تعتبر عاملاً مركزياً في صميم المسؤوليات الاجتماعية المؤسسية. كما تتمثل وسيلة أخرى للتعاون في إقامة شراكات تعاونية مع المصرفيين الإسلاميين حيث يمكن أن يتم في إطارها تقديم الخبرة والمشورة بشأن كيفية هيكلة المنتجات والخدمات الإسلامية. ولعله سيكون في وسع المصرفيين

الإسلاميين أن يعملوا في المستقبل على توريق حواظ التمويل الأصغر الممثل لقواعد الشريعة الإسلامية حيث بدأنا نرى بداية تطبيق ذلك على التمويل الأصغر التقليدي. إذن فإن التمويل الأصغر يمثل الخطوة المهمة التالية أمام صناعة التمويل الإسلامي لخدمة الشرائح السكانية العريضة من المسلمين، ولاسيما أن كثيراً من هذه الشرائح يندرج في عداد الفقراء، ويشدد التمويل الإسلامي على أهمية تمويل النشاط الاقتصادي الحقيقي والملموس (على عكس المضاربات المالية والمنتجات الأخرى البعيدة عن الواقع المباشر المعاش)، ولعل الرؤية الأخلاقية الأساسية، تتمثل في تعبئة المدخرات لاستخدامها في نشاط اقتصادي حقيقي يجلب النفع العام ويحقق الفائدة المرجوة للجميع، وتدعو الشريعة السمحة إلى تشجيع الادخار والاستثمار بدلاً من الإفراط في تحمل الديون الاستهلاكية.

وينسجم التركيز على الأصول الحقيقية انسجاماً تاماً مع أهداف التمويل الأصغر، حيث يفضل العاملون في البنوك الإسلامية تمويل الأصول المنتجة مثل المعدات أو غيرها من السلع الرأسمالية، إذ أنه عندما تكون للأصل الأساسي قيمة معمرة ويكون النشاط قابلاً للحياة، فإن الدخل الجاري لمالك النشاط التجاري لن يكون مدعاة للقلق أو مصدرًا كبيراً لإثارة المخاوف.

ومن التجارب الناجحة في هذا الإطار على مستوى العالم الإسلامي نذكر التجربة الماليزية التي يعيش 37% من سكانها تحت خط الفقر، إلا أنها استطاعت خلال ثلاثة عقود (1970-2000م) تخفيض معدل الفقر من 52.4% إلى 5.5%؛ وحققت التجربة الماليزية نتائج مهمة في هذا الصدد، وقد عرفت دول عربية وإسلامية أخرى مستويات متفاوتة من النجاح في الحد من مشكلة الفقر منها مصر، سوريا، فلسطين، بنجلاديش وغيرها. رشيد ناجي الحسن (2012).

2. أهداف التمويل الأصغر في إطار المالية الإسلامية:

يهدف التمويل الأصغر في إطار المالية الإسلامية كنموذج تمويلي يجمع بين مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة ومبدأ الرشادة الاقتصادية بفضل أدواته وأشكاله

المختلفة، وخاصة تلك الأدوات التي تقوم على تقاسم الريج والخسارة، إلى تحقيق الأهداف التالية محمد خالد (بدون تاريخ):

- *استهداف المزيد من الفقراء:* وذلك من خلال تمكين مؤسسات التمويل الأصغر من التركيز على الأفراد الأشد فقراً مقارنة بالأفراد الذين يستهدفهم التمويل الأصغر التقليدي. ولذا يتأهل كثير من الأفراد الفقراء – الذين لا يتحملون الاستدانة أو الأفراد الذين تستبعدهم المجموعة (في حال منهجية إقراض المجموعة)، أو مؤسسة التمويل الأصغر لعدم تمكنهم من توفير الضامن، وغير ذلك – للاستفادة في ضوء هذا النموذج إذا ما توفرت لديهم الموارد البشرية والإرادة والعزيمة اللازمة للتعلم والعمل بجد؛
- *تقليل إمكانية التعرض لمشكلات فرط المديونية:* يتطلب هذا النموذج المزيد من التحري الشامل عن العملاء، وخصوصاً لأن النماذج المتوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية لا تستخدم أية نوع من أنواع الضمانات باستثناء حالات الإهمال. علاوة على ذلك، يتعين على مؤسسات التمويل الأصغر التأكد من أيلولة أموالها إلى النشاط الاقتصادي وتنمية الأعمال. وفي واقع الأمر، تكون مؤسسات التمويل الأصغر هي من يشتري هذه الأصول في معظم الحالات. وبسبب هذه التركيبة، لن يكون ممكناً لمؤسسة التمويل الأصغر تحقيق الأرباح والازدهار، في حين يعاني عملاؤها؛
- *المزيد من التركيز على الأنشطة الاقتصادية المنتجة التي تساهم في زيادة الدخل القومي الإجمالي:* يهدف هذا النموذج التمويلي إلى التركيز على الأنشطة الاقتصادية المنتجة بدلاً من الأنشطة التجارية. حيث تساهم هذه الأنشطة في زيادة الدخل القومي الإجمالي للبلاد؛
- *خلق المزيد من فرص العمل:* هناك شبه إجماع على أن الائتمان الأصغر التقليدي ليس أداة جيدة لخلق فرص العمل لأنه عادة ما يركز المقرضون – الذين يتحاشون المخاطر – تركيزاً أكثر على الأفراد الذين يمتلكون أعمالاً

تجارية ويتطلعون إلى توسيع نطاقها. لذا من الممكن أن يغير هذا النموذج هذه المعادلة ويصبح التركيز أكثر على الأفراد الذين لديهم رأس مال بشري ومهارات أو يمكنهم اكتساب هذه المهارات التي تؤدي إلى خلق فرص عمل وأعمال تجارية لهم؛

▪ إقامة مؤسسات مالية محلية دائمة، يمكنها اجتذاب الإيداعات المحلية ومن ثم إعادة تدويرها على هيئة قروض مع تقديم خدمات مالية أخرى؛
العوض(2008).

▪ مصادر تمويل تجلب مشكلات أقل: على الرغم من أن قطاع التمويل الأصغر التقليدي استغرق سنوات لجذب مصادر التمويل التجارية، من المتوقع ألا يكون هذا هو الحال في ظل هذا النموذج. هذا ليس لأن التمويل الأصغر التقليدي قد مهد السبيل وحقق نجاحاً، لكن الأكثر أهمية لأن الإسلام يسعى إلى تخفيف وطأة الفقر وتوزيع الثروة في الاقتصاد. ومن المعتقد أن هذا لم يحدث حتى الآن لفشل مؤسسات التمويل الأصغر في إظهار نموذج واعد مربح وناجح يقنع هذه البنوك بتقبل المخاطر وتمويل محفظة مؤسسات التمويل الأصغر على أساس المشاركة أو المضاربة. لكن في حال تطوير هذا النموذج وتنفيذه، من المتوقع ألا تحجم البنوك الإسلامية وحتى رجال الأعمال المعنيين بالصيرفة الإسلامية عن تقديم التمويل اللازم.

▪ توفير الخدمات المتكاملة للأرياف والعمل على زيادة الوعي لديهم بأهمية الخدمات المصرفية والتي تعمل على تسهيل أنشطتهم الاقتصادية وتحسين مستواهم المعيشي، وذلك من خلال توفير التمويلات اللازمة لبدء الأنشطة الخاصة أو تمويل شراء المعدات والآليات والمدخلات الإنتاجية التي تعمل على زيادة مستوى الجودة والإنتاجية لأنشطتهم سواء كانت زراعية أو غير زراعية".

▪ تزويد فقراء المناطق الريفية بالأموال والتمويل والخدمات المالية التي يحتاجون إليها لزيادة مكاسبهم وبناء مستقبل أكثر ازدهاراً؛

3. مزايا التمويل الإسلامي الأصغر:

- يعتبر التمويل الأصغر من أهم بدائل التمويل وذلك نظراً لمزاياه المتعددة في مختلف الجوانب، ويمكن أن نذكر أهم هذه المزايا فيما يلي حسين عبد المطلب (2006):
- بديل يقوم على أسس الشريعة الإسلامية، وبذلك فهو يتيح الفرصة لكل المتعاملين الذين يبتعدون عن أوجه التمويل التي تقوم على الربا؛
 - يساهم في توفير رؤوس الأموال وتدعيم القدرة التمويلية اللازمة للاستثمارات الضرورية لإنتاج السلع والخدمات لصغار المنتجين؛
 - يوفر مجموعة متنوعة من الخدمات المالية للفقراء وذوي الدخل المنخفضة المستبعدين في كثير من الأحيان من الأنظمة المالية الرسمية بمختلف أشكالها المؤسساتية؛
 - يعمل على تمكين الفقراء على زيادة دخلهم الأسري، وتحقيق أمنهم الاقتصادي والحد من ضعفهم المالي، وذلك من خلال تمكينهم من مباشرة مشروعات مصغرة وصغيرة مدرة للدخل؛
 - التمويل الأصغر أداة قوية لمحاربة الفقر والبطالة من خلال بناء أنظمة مالية تقدم الخدمات للفقراء والعاطلين عن العمل؛
 - القيام بالاستثمار المباشر في مشروعات إنمائية أو المشاركة فيها، أو القيام بتمويلها، وذلك بهدف إقامة مشروعات إنمائية جديدة، أو لتجديد وإحلال مشروعات قائمة فعلاً، مما يساهم في توسيع الطاقة الإنتاجية في مختلف القطاعات، ويؤدي إلى دفع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدولة؛
 - المساهمة في تحقيق العدالة في توزيع الثروة، وذلك من خلال توفير التمويل اللازم لصغار المنتجين وأصحاب الخبرات والمشروعات الذين لا يملكون رؤوس الأموال الكافية لتنفيذ هذه المشروعات؛

- توفير بدائل متعددة أمام أصحاب رؤوس الأموال لاختيار مجال استثمار مدخراتهم، إلى جانب اختيار نظام توزيع الأرباح الذي يتلاءم مع ظروف كل منهم؛
- تحقيق التنمية المتوازنة والشاملة في المجتمع وذلك بتتويج مجالات الاستثمار وشمولها لقطاعات إنتاجية عديدة، إلى جانب انتشار المشروعات الاستثمارية في أنحاء الدولة وهو ما يعنى إتباع نظام اللامركزية في التنمية؛
- الاعتماد على الموارد المحلية في إنشاء وتوفير فرص العمل.

4. أشكال التمويل الأصغر الإسلامي الأكثر شيوعاً:

- يأخذ التمويل الأصغر الإسلامي عدة أشكال أكثرها شيوعاً ما يلي:
- بيع المرابحة: وهو العقد الملتزم بالشريعة ذو العرض الأوسع نطاقاً المستخدم لتمويل السلع اللازمة كرأس مال عامل، فبناء على طلب لمنتج معين من قبل العميل.
- عقود تقاسم الأرباح والخسائر: وأكثر ما يشجع عليها علماء الشريعة الإسلامية هي المشاركة والمضاربة؛
- الاستصناع: وهو عقد تبادل بين بائع ومشتري لبيع اصل ما، ويمكن للبائعين إما تصنيع المنتجات بأنفسهم أو شراءها من طرف ثالث؛
- القرض الحسن: هو قرض بدون فوائد يستغل لسد الفجوات التمويلية قصيرة الأجل ويسدد المبلغ الأصلي للقرض بدون فوائد أو ربح إجمالي أو حصة في النشاط التجاري، وهو النوع الوحيد للقروض في التمويل الإسلامي؛ إقبال عثمان مفرح (مارس 2013)؛
- الإجارة: تشكل الإجارة هيكلاً آخر شائع الاستخدام، وهي تشير إلى التأجير. إذ يقوم البنك بشراء الأصل ثم تأجيره للمتعاملين معه بموجب نظام الدفع بالتقسيط؛ عبد الرحمن (2007).

- **الزكاة:** تعتبر الزكاة كذلك من مصادر الموارد الجديدة التي تعمل على إشباع الحاجات الآتية للفقراء وإنفاق الفائض في إقامة مشروعات تدر عائدا تملك بالكامل للفقراء، وقد يتحقق ذلك من خلال: (إنشاء جماعات زكوية تبعاً للمصاريف والتأمين الزكوي للدين، استثمار أموال الزكاة، إنشاء مراكز تأهيل وتدريب الفقراء، إنشاء صناديق أو مؤسسات زكوية للإقراض، الاستثمار الجماعي لأموال الزكاة... الخ). العياشي فداد (بدون تاريخ).
- **الوقف:** وذلك من خلال استثمار أموال الوقف، النظارة والإدارة، تجميع الأوقاف في وقف واحد، إنشاء الصناديق الوقفية، استخدام صكوك الوقف، إنشاء وتفعيل صناديق تشيير ممتلكات الأوقاف... الخ. إقبال عثمان مفرح (مارس 2013).

5. معوقات التمويل الإسلامي الأصغر:

- يواجه الفقراء والشركات الصغيرة، ولاسيما في المناطق الريفية أو في القطاع غير الرسمي، العديد من الحواجز المعيقة للقدرة على الحصول على الخدمات المالية، ومنها:
- بالنسبة لمزودي الخدمات المالية، يُعدّ قطاع الريف محفوفاً بالمخاطر بوجه خاص، ويرجع ذلك إلى:
 - انخفاض العوائد على رأس المال المستثمر؛
 - تدني هوامش الأرباح (غالباً ما تكون متدنية جداً)؛
 - ارتفاع التكاليف التشغيلية في المناطق المعزولة؛
 - عدم توفر الضمانات الإضافية في كثير من الأحيان، حيث يواجه المقرضون مخاطر أكبر لعدم سداد القروض؛
 - تدني مستوى المهارات، الشيء الذي يحد من القدرة على إدخال التكنولوجيا الجديدة، مما يؤثر على الإنتاجية والتنافسية في السوق معاً، كما يحدّ الإقصاء الاجتماعي من كفاءات الإنتاج والتسويق؛

- صعوبة تقييم وتقدير العائد على التمويل الأصغر بسبب غياب المعلومات الدقيقة، بالإضافة إلى صعوبة إجراء التقديرات الكمية لبعض النتائج؛
- البعد عن الخدمات المالية؛
- عدم القدرة على تقديم وثائق رسمية عند اللزوم؛
- التكلفة الباهظة جداً؛ فمعدلات انتشار فروع البنك في إثيوبيا مثلاً أدنى من فرع واحد لكل مائة ألف شخص، وتبلغ تكلفة فتح حساب إيداعات قابلة للسحب بشيكات في الكاميرون 700 دولار أمريكي، أي أكثر من نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي. وفي مختلف بلدان منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، ليس لدى سوى نسبة 20 في المائة من الأسر حسابات في مؤسسات مالية؛
- ضعف الحوافز على التمويل الخارجي؛ ففي الشركات الصغيرة في بلدان العالم النامية، لا يتم تمويل سوى نسبة 15 في المائة من الاستثمارات الجديدة بموارد مالية خارجية، مقارنة بنسبة 30 في المائة في الشركات الأكبر من ذلك، فبدون القدرة على الحصول على الخدمات المالية، تواجه الشركات الصغيرة والشركات الجديدة عقبات فيما يتعلق بكل من القدرة على دخول السوق وبآفاق النمو على السواء؛
- ضعف الدعم الحكومي للمؤسسات المعنية وتشجيع المنافسة فيها، بما في ذلك تسهيل دخول مؤسسات مالية أجنبية وإتاحة الحوافز التنظيمية الصحيحة؛ لا من خلال الدعم المالي لأسعار الائتمان أو المؤسسات المالية المملوكة للحكومات والذي عادة ما لا يكون مثمراً، حيث أنها تخفّض حوافز القطاع الخاص لتقديم الخدمات المالية للفقراء، وعليه فإن دور الحكومة يجب أن ينصب في تسهيل الخدمات المالية وخلق البيئة الملائمة للتمويل الأصغر لا في تقديم القروض مباشرة؛
- عدم اندماجه في أغلب الحالات مع النظام المالي الرسمي القائم في البلد؛

▪ ضعف الاعتماد على التكنولوجيات الجديدة التي تؤدي إلى تخفيض تكاليف التعاملات؛

ومن جهة أخرى قدمت المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء من خلال دراسة بعنوان: "الخدمات المالية للفقراء الريفيين" أن أهم العوائق التي تقابلها الجهات التي تقدم تلك الخدمات هي: حسن إبراهيم (2012).

▪ تشتت الطلب على الخدمات المالية نتيجة انخفاض مستويات النشاط الاقتصادي وانخفاض كثافة السكان.

▪ ارتفاع تكاليف المعلومات والمعاملات المرتبطة بالبنية الأساسية الضعيفة (مثل الطرق، والاتصالات السلكية واللاسلكية وعدم توفر معلومات عن العملاء حيث لا يوجد إثبات شخصية أو سجلات الممتلكات القائمة؛

▪ ضعف القدرة المؤسسية لمقدمي التمويل الريفي المرتبطة بالعدد المحدود للأفراد المتعلمين المدربين في المجتمعات الريفية الصغيرة؛

▪ الأثر السلبي للائتمان المدعوم أو الموجه من البنوك المملوكة للدولة أو مشروعات الجهات المانحة؛

▪ موسمية العديد من الأنشطة الزراعية وفترات الاستحقاق الطويلة للعديد منها، مما يعني تذبذب الطلب على المدخرات والائتمان، والتدفق النقدي غير المنتظم، ووجود فترات زمنية طويلة بين إصدار القروض والسداد؛

▪ ارتفاع نسبة المخاطر المرتبطة بالزراعة (مثل هطول الأمطار بشكل متغير، والآفات والأمراض، وتقلبات الأسعار، وضعف الخدمات الإرشادية للمزارعين الصغار وعدم قدرتهم على الحصول على المستلزمات الزراعية والوصول للأسواق.

▪ عدم توفر الضمانات الفعالة نتيجة لعدم وجود حدود واضحة للملكية، فضلاً عن طول وتعقيد إجراءات تسجيل العقود، وضعف النظم القضائية.

6. اقتراحات لتنفيذ التمويل الإسلامي الأصغر:

- تأسيس مؤسسات مالية متخصصة لممارسة أنشطة التمويل الأصغر تعمل على تمويل الفرص الاقتصادية لصغار المستثمرين وأصحاب المبادرة من فقراء المجتمع لاسيما سكان المناطق الريفية، من خلال توفير خدمات مالية متكاملة في شكل قروض وتمويلات وحوالات وودائع وحسابات الادخار وبما يتوافق مع الشريعة الإسلامية؛
- إنشاء مؤسسة أو صندوق لضمان التمويل الأصغر لتغطية نقص الضمانات التي يعاني منها المستهدفون من هذا النوع من التمويل؛
- تبسيط الإجراءات المستندة لعملاء التمويل الأصغر وفقاً لطبيعة هؤلاء العملاء وإمكاناتهم؛
- تعزيز مفهوم التمويل الأصغر وتمكين الشرائح المستهدفة وفق أفضل الممارسات، وبما يحقق الاستفادة المالية وتطوير الأنشطة المدرة للدخل في تلك المناطق، وكذا التجسيد الفعلي لعملية التوسع في خدمة هذه الشرائح المهمة، سواءً في جوانب الرعي أو العمل الحر في أو الزراعة وغير ذلك من الجوانب الاقتصادية.
- المساهمة الفاعلة في الوصول إلى أكبر عدد من المستهدفين في المناطق الريفية والوصول إلى عمق الفقر في المناطق النائية؛
- إدراك الحكومات لأهمية تشجيع الانفتاح والمنافسة والعمل على ذلك، بما في ذلك ملكية القطاع الخاص للبنوك ودخول البنوك الأجنبية إلى الأسواق المعنيّة، وكذا إتاحة الحوافز التنظيمية الصحيحة لتحقيق كفاءة واستدامة تقديم الخدمات؛
- تعبئة استثمارات جديدة كبيرة في مرافق البنية الأساسية الريفية، والبحوث الزراعية وخدمات الإرشاد الزراعي؛
- تسهيل انتشار الخدمات المالية المنخفضة التكلفة من خلال الإنترنت والهواتف الجوّالة؛
- تحديث التشريعات والقوانين بما يضمن شفافية و وضوح تنفيذ العقود؛

- إعطاء الإصلاحات التي تشجّع القدرة على الحصول على الخدمات المالية أهميتها القصوى في صميم أجندة وبرامج التنمية، فتحسين القدرة على الحصول على الموارد التمويلية لا يزيد النمو الاقتصادي فحسب، بل أيضاً يحارب الفقر ويؤدي إلى تخفيض فجوة الدخل بين الأغنياء والفقراء؛
- دمج فقراء الأرياف في الخدمات المالية الرئيسية لاكتساب عادات الادخار والسيادة والتدريب على فهم الخدمات المالية وتخطيط المدخرات؛
- ضرورة التكامل بين الجهات المانحة للتمويل الأصغر ورأس المال الخاص لا أن تزاومه؛
- ضرورة ضمان استدامة حصول الفقراء والعاطلين عن العمل على الموارد المالية من خلال مؤسسات قابلة للاستمرار.

الخلاصة:

بالرغم من مختلف المعوقات التي تكبح حركية نظام التمويل الأصغر وفق أطر المالية الإسلامية في مكافحة الفقر خاصة في المناطق الريفية، إلا أنه صار يمثل واحداً من أهم البدائل الفعالة في تحقيق أهداف التنمية الشاملة، فقد أدخلت المؤسسات العاملة في مجال التمويل الأصغر ابتكارات في كل من المناطق الحضرية و المناطق الريفية على حد سواء، وقد أخذت هذه الابتكارات تحقق في كثير من البلدان نجاحاً كبيراً في القضاء على الفقر وكذا البطالة، إذ أصبحت قروض رأسمال المشروعات الصغيرة والإنتاج الزراعي والحرفي والأعمال الصغيرة لاسيما تلك المشروعات القائمة في المناطق الريفية تشكل جزءاً متتامياً من الملفات المالية لهذه المؤسسات، إذ أن مستقبل التخفيف من وطأة الفقر في الريف يكمن في الاستثمار في كافة جوانب التنمية الريفية، لا في الزراعة وحدها، فزيادة الأعمال في مناطق الريف تولّد الحافز الاقتصادي لتحسين البنية الأساسية، ما يؤدي إلى رفع تنافسية الإنتاج. ولن يتحقق لها ذلك إلا عن طريق إدماج مشروعات المناطق الريفية ضمن خطة التنمية الاقتصادية، من خلال بيئة تشغيل مواتية، ومنتجات وخدمات مالية مناسبة.

المراجع:

- IFAD (2001), Rural Poverty Report 2001: the Challenge of Ending Rural Poverty, Rome.
- اصلاح حسن العوض (2008)، إدارة التمويل الأصغر، بنك السودان المركزي: وحدة التمويل الأصغر، الدورة التدريبية الأولى.
- إقبال عثمان مفرح، التمويل الأصغر الإسلامي: تجربة الصندوق الدولي للتنمية الزراعية IFAD في السودان وبعض الدول الإسلامية، منشورات الإيفاد- بتصرف، إدارة الإرشاد الزراعي - قسم المعلومات، في الموقع: <http://www.ifad.org/ruralfinance/14> مارس 2013
- أماني قنديل، الفقر والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في الموقع: <http://www1.umn.edu/humanrts/arabic20> 2013/03/
- أماني قنديل، تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الفقر، في الموقع: <http://www.shabakaegypt.org> 20/03/2013
- جوديث براندسما و لورنس هارت (1998)، تحسين عمل التمويل البالغ الصغر في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، منشورات مكتب شؤون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بالبنك الدولي.
- حسن إبراهيم (2012)، دور صناعة التمويل الأصغر في المناطق الريفية، في الموقع: <http://gate.ahram.org.eg/> 14/03/2013
- حسين عبد المطلب الأسرج (2006)، دور التمويل الإسلامي الأصغر في تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة؛ مصر.
- راحول دومالي وأميلا سابكانين (بدون تاريخ)، تطبيق مبادئ النظام المصرفي الإسلامي على التمويل البالغ الصغر، مذكرة فنية، دراسة لحساب المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، البنك الدولي.

- رشيد ناجي الحسن (2012)، تجارب دولية ومحلية ناجحة في معالجة الفقر، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 562، الكويت.
- عبد الرحمن عامر (2007)، نحو التمويل الأصغر وفقاً للشريعة الإسلامية: مقدمة تمهيدية، في الموقع: <http://arabic.microfinancegateway.org/content/article/detail/24004>.
2013/04/25.
- العياشي فداد (بدون تاريخ)، إدماج مؤسستي الزكاة والوقف في برامج مكافحة الفقر مع الإشارة إلى دور البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب البنك الإسلامي للتنمية - جدة.
- مجلة " الزراعة والتنمية في الوطن العربي (ديسمبر 2011)، الإطار النظري لمفهوم الفقر وقياس مؤشراتته وتحديد أسبابه، في الموقع: <http://www.iraqicp.com/>.
22/04/2013.
- المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء (مارس 2003)، موجز الجهات المانحة، رقم 11، في الموقع:
- محمد خالد (بدون تاريخ)، موجز تحديات التمويل الإسلامي الأصغر، المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء، في الموقع: www.arabic.microfinancegateway.org.
20/4/2013.
- محمد مصطفى غانم (2010)، واقع التمويل الأصغر الإسلامي الأصغر وواقع تطويره في فلسطين: دراسة تطبيقية على قطاع غزة، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
- موقع البوابة العربية للتمويل الأصغر: www.arabic.microfinancegateway.org.
5/5/2013.

اختلاف ابن عقيل والأشموني في بابي المبتدأ والخبر من شرح الألفية

جمال الدين متوكل منصور

جامعة وادي النيل

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحديد أوجه الخلاف بين ابن عقيل والأشموني في بابي المبتدأ والخبر من شرح ألفية ابن مالك، معتمداً على الوصف والتحليل. كان الشارحان أكثر ميلاً للبصريين فقد وافقاهم في مسألتين مختلفتين من جملة أربع مسائل، ولم يفصلاً برأي في مسألتين بين البصريين والكوفيين، كذلك لم يتعصب الشارحان للجمهور؛ فقد وافقهم ابن عقيل في مسألة واحدة، وسكت عن إبداء رأيه في ثلاث مسائل. علي حين وافقهم الأشموني في مسألتين، وخالفهم في ثالثة. خالف الشارحان ابن مالك في موضع واحد مما يستدل به على تفرد شخصيتهما، وأخذاً عليه بعض المآخذ؛ أهمها قولاه في المسألة النحوية بين الألفية وغيرها من مؤلفاته. وقد كان الأشموني أكثر اهتماماً بتفصيل آراء النحويين، فكثرت تفاصيل المسائل النحوية في شرحه.

الإختلاف والخلاف والمخالفة تعني في اللغة المضادة وعدم الاتفاق؛ (والخلاف المضادة) (ابن منظور د.ت.ط.9|90)، و (اختلف ضد اتفق) (الفيروز آبادي د.ت.ط. 143|3)

أما في المصطلح، فقد عرّف المنياوي الخلاف: (أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله أو أقواله) وذكر أن الخلاف والاختلاف (يؤديان إلى مطلق المغايرة في القول، أو الرأي، أو الحالة، أو الهيئة، أو الموقف، ويشتملان على المنازعة والمجادلة) (المنياوي 1990م 322).

الاختلاف بين النحويين أمر شائع، تدل عليه كثرة المصنفات التي ألفت في هذا الباب؛ فقد ذكر المؤرخون عدداً من الكتب، منها على سبيل المثال: اختلاف النحويين لثعلب ت 291هـ، (السيوطي 1979م 1|397)، ومن الكتب المشهورة في هذا الباب:

الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري ت 577هـ (ابن الأنباري 2002م)

يلاحظ أن أغلب كتب الخلاف تتناول الاختلاف بين البصريين والكوفيين، لكن بعضها يتناول الخلاف بين أهل المدرسة الواحدة مثل كتاب الرُّمَّاني: (الخلاف بين سيبويه والمبرد) (القفطي 1350هـ|2|359)

وصفت بعض هذه الكتب بأنها جمعت أكثر مسائل الخلاف، ومن ذلك وصف السيوطي لكتابي أبي حيَّان الأندلسي: ارتشاف الضرب، والتذييل والتكميل قال: (ولم يُؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ولا أجمع، ولا أحصي للخلاف والأحوال، وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع) (السيوطي 1 د.ت.ط.1|282) وللسيوطي نفسه كتاب همع الهوامع، وهو كتاب حوي أغلب مسائل الخلاف النحوي؛ قال في مقدمته بعد حمد الله: (واستعينك في إكمال ما قصدت إليه من تأليف مختصر في العربية، جامع لما في الجوامع من المسائل والخلاف، حاوٍ لوجازة اللفظ وحسن الائتلاف، محيط بخلاصة كتابي التسهيل والارتشاف) (السيوطي د.ت.ط.1|20) المسائل التي اختلف فيها الشارحان:

مسألة الابتداء بالوصف غير المعتمد على نفي أو استفهام: قال ابن مالك (ابن مالك 2003م|23):

وأول مبتدأ والثاني فاعل أغني في (أسارِ دان)

وقس، وكاستفهام النفي وقد يجوز نحو: (فائزٌ أولو الرشد)

قال ابن عقيل: (مذهب البصريين إلا الأخفش أن هذا الوصف لا يكون مبتدأ إلا إذا اعتمد على نفي أو استفهام، وذهب الأخفش والكوفيون إلى عدم اشتراط ذلك، فأجازوا: قائمُ الزيدان؛ فقائم: مبتدأ، والزيدان فاعل سد محل الخبر) (ابن عقيل 1999م |192-193) هكذا عرض ابن عقيل الخلاف دون أن يصرِّح بوجوب اشتراط الاعتماد، أو عدمه.

صرَّح الأشموني بأن عدم الاعتماد قليل جداً؛ قال: (وقد يجوز الابتداء بالوصف المذكور، من غير اعتماد على نفي أو استفهام نحو: فائزٌ أولو الرشد، وهو قليل جداً، خلافاً للأخفش والكوفيين) (الأشموني د.ت.ط. 1|305-306) فصلُّ أبو حيان هذا الخلاف: (وشرط هذا الوصف أن يتقدمه أداة نفي أو استفهام، هذا مذهب جمهور البصريين... وذهب الأخفش إلى أنه ليس من شرط إعماله الاعتماد... وذهب الكوفيون إلى نحو مذهب الأخفش من عدم اشتراط الاستفهام والنفي، إلا أنهم يجعلون الوصف مرفوعاً بما بعده وما بعده مرفوعاً به على قاعدتهم) (أبو حيان 1998م|3|1082-1083). هذا وقد نسب السيوطي إلى ابن مالك أنه اشترط الاعتماد استحساناً لا وجوباً، فعدم الاعتماد عنده جائزٌ على قبح (السيوطي د.ت.ط. 1|362) نحن إذن أمام ثلاثة أقوال في هذه المسألة، منع الابتداء بالوصف المشتق من غير اعتماد، وهو مذهب البصريين، وتجوز الابتداء به على قبح وهو مذهب ابن مالك، وتجوز الابتداء بلا قبح وهو مذهب الكوفيين والأخفش.

أورد ابن عقيل منفرداً قول الشاعر:

فخيرٌ نحن عند الناس منكم إذا الداعي المتَّوبُ قال: يا لا

شاهداً لمن جَوَّزَ الابتداء بالوصف المشتق من غير اعتماد، وذهب إلى أن خيرٌ مبتدأ، ونحن فاعل سد مسد الخبر، و أن المبتدأ لم يسبق بنفي ولا استفهام (ابن عقيل 1999م|1|194-195) هذا البيت أورده البغدادي برواية أخرى فصدره عنده:

فخيرٌ نحن عند البأس منكم

ونسبه لزهير بن مسعود الضبي من رواية أبي زيد الأنصاري في كتاب النوادر (البغدادي 1986م|2|13-12) وقال فيه ابن هشام: (ومن المشكل قوله: فخيرٌ نحن عند الناس منكم؛ لأن قوله (نحن) إن قُدِّرَ فاعلاً لزم إعمال الوصف غير معتمد، ولم يثبت، وعمل أفعل في الظاهر في غير مسألة الكحل، وهو ضعيف، وإن قُدِّرَ مبتدأ لزم الفصل به وهو أجبني بين أفعل ومن، وخرَّجه أبو علي وتبعه ابن خروف على

أن الوصف خبر لـ (نحن) محذوفة، وقدّر (نحن) المذكورة تأكيد للضمير في أفعل (ابن هشام 1972م 581)

أورد الشارحان من شواهد عدم الاعتماد قوله:

خير بنو لهب فلا تك ملغياً مقاله لهبي إذا الطير مرّت

أورد ابن عقيل إعراب المجيزين لذلك، وهو أن (خير) مبتدأ، وبنو لهب فاعل سد مسد الخبر، ويدل قوله: (وجعل من هذا قوله) (ابن عقيل 1999م 1 | 195) على أنه لم يفصل في المسألة برأي. أما الأشموني فقد ذهب الى أنه لاحجة في البيت، لجواز كون الوصف خبراً مقدماً (الأشموني د.ت.ط. 1 | 306) والأشموني يذهب في تخريج هذا البيت مذهب السيوطي (د.ت.ط. 1 | 362 - 363) ابن هشام (1995م 1 | 174)، اللذين أوردها بلا نسبه، ونسبه العيني لرجل من الطائين (العيني 2005م 1 | 329) يبدو أن قول البصريين في وجوب اعتماد الوصف المشتق على نفي أو استفهام أقرب للصواب، لكثرة الاعتماد في كلام العرب، ولما وصف به عدم الاعتماد من قلة وقبح من قبل بعض النحويين. أما ما استشهد به الكوفيون فيمكن تخريجه على نحو غير الذي أرادوه .

مسألة رافع المبتدأ والخبر: قال ابن مالك (2003م 34)

ورفعوا مبتدأ بالابتداء كذاك رفع خبر بالمبتدأ

يقرر ابن مالك هنا أن المبتدأ مرفوع بالابتداء، وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ، وما قرره محل خلاف؛ قال ابن عقيل: (مذهب سيبويه وجمهور البصريين أن المبتدأ مرفوع بالابتداء، وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ؛ فالعامل في المبتدأ معنوي... والعامل في الخبر لفظي وهو المبتدأ... وذهب قوم إلى أن العامل في المبتدأ والخبر الابتداء؛ فالعامل فيهما معنوي. وقيل المبتدأ مرفوع بالابتداء والخبر مرفوع بالابتداء والخبر. وقيل: ترافعا، ومعناه أن الخبر رفع المبتدأ، وأن المبتدأ رفع الخبر، وأعدل هذه المذاهب، مذهب سيبويه وهو الأول) (ابن عقيل 1999م 1 | 200 - 201)؛ فالمسألة خلافية ذهب فيها ابن مالك في بيته، وابن عقيل في شرحه مذهب سيبويه وجمهور البصريين.

في تفصيل الخلاف قال الأشموني: (ورفعوا أي العرب مبتدأ بالابتداء؛ وهو الاهتمام بالاسم وجعله مُقدِّماً يُسند إليه فهو أمر معنوي. كذاك رفع خبر المبتدأ وحده. قال سيبويه: فأما الذي بُني عليه شيء هو هو، فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء. وقيل: رافع الجزئين هو الابتداء؛ لأنه اقتضاهما، ونظير ذلك أن معني التشبيه في كأن لما اقتضي مشبهاً، ومُشبهاً به، كانت عاملة فيهما، وضُعبَ بأن أقوى العوامل لا يعمل رافعين بدون اتباع، فما ليس أقوى أولي ألاّ يعمل ذلك وذهب المبرد إلى أن الابتداء رافع للمبتدأ، وهما رافعان للخبر، وهو قول بما لا نظير له. وذهب الكوفيون إلى أنهما مترافعان. وهذا الخلاف لفظي (الأشموني د.ت.ط.1|307-

307). يلاحظ أن الأشموني لم يرجح مذهب سيبويه وجمهور البصريين كما فعل ابن مالك وابن عقيل، لكنه انتقد مذاهب بقية البصريين، في حين لم يُعلّق على قول الكوفيين، فيمكن أن يُقال إنه عرض مذهب سيبويه وجمهور البصريين مقابلاً لمذهب الكوفيين دون أن يرجّح أحدهما على الآخر.

قول الكوفيين: (ترافعاً) معناه أن كلّ واحدٍ منهما عاملٌ في الآخر، معمولٌ له، فالعامل في الاثنين لفظي، وعلو ذلك، كما نقل عنهم ابن الأنباري: (لأننا وجدنا أن المبتدأ لا بد له من خبر، والخبر لا بد له من مبتدأ، ولا ينفك أحدهما من صاحبه، ولا يتم الكلام إلا بهما... ولا يمنع أن يكون كل واحدٍ منهما عاملاً ومعمولاً، وقد جاء لذلك نظائرٌ كثيرة؛ قال تعالى: (أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)، فنصب (أَيًّا مَا) بـ(تَدْعُوا)، وجزم (تَدْعُوا) بـ(أَيًّا مَا)، فكان كلّ واحدٍ منهما عاملاً ومعمولاً) (ابن الأنباري 2002م 40- 41). والآية هي العاشرة من بعد المائة من سورة الاسراء.

نسب السيوطي القول برفع الخبر بالابتداء للأخفش وابن السراج والرّماني من البصريين، وردّه بأن أقوى العوامل (الفعل) لا يعمل رافعين؛ فالعنوي (الابتداء) أولي وكان مذهب سيبويه وجمهور البصريين أيضاً محل انتقاد السيوطي، قال: (وضُعبَ بأن المبتدأ قد يرفع فاعلاً نحو: القائم أبوه ضاحكٌ، فلو كان رافعاً للخبر لأدى إلى إعمال واحدٍ رافعين، ولا نظير له) (السيوطي د.ت.ط.1|363- 364)

ذكر أبوحيان أن بعضهم نسب رأي سيوييه والجمهور إلى المبرد أيضاً (أبوحيان 1998م |3|1085)، ولاشك أن أباحيان يشير إلى نقل وجده في غير المقتضب؛ لأن المبرد يقول فيه: (فأما رافع المبتدأ فالابتداء، ومعني الابتداء: التثبيته والتعريف عن العوامل غيره وهو أول الكلام... والابتداء والمبتدأ يرفعان الخبر) (المبرد د.ت.ط.4|126) ويؤكد ذلك قوله: (قولك: زيدٌ منطلقٌ؛ فزيد مرفوع بالابتداء والخبر رفعٌ بالابتداء والمبتدأ) (المبرد د.ت.ط.2|48). ونقل الأزهري أن المبرد احتج بأن (الابتداء عامل ضعيف فقوَى بالمبتدأ، كما قوَى حرف الشرط بفعله حين عملاً جميعاً في الجزء) (الأزهري د.ت.ط.1|159) هذا وقد مال أبوحيان إلى رأي الكوفيين، قال: (وذهب الكوفيون على أن كلاً منهما رافعٌ للآخر، كذلك أُطلقَ النقلُ عن ابن مالك، وقيدَه غيره؛ فحكي أن المبتدأ مرفوع بالذکر الذي في الخبر، فإن لم يكن ثمَّ ذکر ترافعاً... وأقول الذي نختاره من هذه المذاهب مذهب الكوفيين... وهو اختيار ابن جني) (أبوحيان 1998م |3|1085). عبارة أبي حيان (الذکر الذي في الخبر) مثَّل لها السيوطي: (نحو: زيدٌ ضربته؛ لأنه لو زال الضمير انتصب، فكان الرفع منسوباً إلى الضمير؛ فإن لم يكن ثمَّ ذکر نحو: القائمُ زيدٌ ترافعاً) (السيوطي د.ت.ط.1|364 - 365)

يلاحظ أن الكوفيين يستبعدون العامل المعنوي، فقد نقل عنهم ابن الأنباري أن عدم العوامل لا يكون عاملاً، ونقل ردَّ البصريين المتمثل في أن العوامل في صناعة النحو ليست مؤثرات حسية، وإنما هي أمارات أو علامات، وأن العلامة تكون بوجود الشيء، وبعده، أي أن العدم نفسه علامة (ابن الأنباري 1998م |41- 42) وكلام البصريين هنا يبدو منطقياً على الأقل فيما يتعلق بالموجودات. وفكرة التعريف من العوامل اللفظية موجودة حتى عند الكوفيين، فمما احتج به ابن الأنباري على الكوفيين قولهم في إعراب الفعل المضارع، وهو قوله: (فإنكم تقولون يرتفع بتعريفه من العوامل الناصبة والجازمة، وإذا جاز لكم أن تجعلوا التعريف عاملاً في الفعل المضارع، جاز لنا أيضاً أن نجعل التعريف عاملاً في الاسم المبتدأ) (ابن الأنباري 1998م |45) وقد نسب السيوطي لحذاق الكوفيين قولهم: إن رافع الفعل المضارع هو نفس التجرد والتعريف من الناصب

والجازم فهو معنوي) (السيوطي د.ت.ط1|591). ومسألة التعري هذه أشكلت على كثير من النحويين، يدل على ذلك ما نقله ابن الأنباري من مناظرة جرت بين الجرّمي والفرّاء، قال: (وحكي أنه اجتمع أبو عمرو الجرّمي وأبو زكريا يحيي بن زياد الفرّاء، فقال الفرّاء للجرّمي: أخبرني عن قولهم: زيدٌ منطلقٌ بم رفعوا زياداً؟ فقال الجرّمي: بالابتداء. قال الفرّاء: ما معني الابتداء؟ قال: تعريته من العوامل. قال له الفرّاء: فأظهره. قال له الجرّمي: هذا معنًى لا يظهر، قال له الفرّاء: فمثله إذا، فقال الجرّمي: لا يمثّل. قال الفرّاء: ما رأيت كاليوم عاملاً لا يُظهر ولا يُمثّل. فقال له الجرّمي: أخبرني عن قولهم: زيدٌ ضربته، بم رفعتم زيداً؟ فقال: بالهاء العائدة على زيد، فقال الجرّمي: الهاء اسمٌ فكيف يرفع الاسم؟ فقال الفرّاء: نحن لا نبالي من هذا؛ فإننا نجعلُ كلَّ واحدٍ من الاسمين إذا قلت: زيدٌ منطلقٌ رافعاً لصاحبه. فقال الجرّمي: يجوز أن يكون كذلك في (زيدٌ منطلقٌ): لأنَّ كلَّ اسمٍ منها مرفوعٌ في نفسه فجاز أن يرفع الآخر، وأما الهاء في ضربته فهي في محل نصبٍ فكيف ترفع الاسم؟ فقال له الفرّاء: لم نرفعه بالهاء وإنما رفعناه بالعاثد على زيد، قال له الجرّمي: ما معني العاثد على زيد؟ فقال الفرّاء: معني لا يُظهر، فقال الجرّمي: أظهره. قال الفرّاء: لا يمكن إظهاره. قال الجرّمي: فمثله. قال: لا يُمثّل. قال الجرّمي: لقد وقعت فيما فرّرت منه؛ فحكي أنه سئل الفرّاء بعد ذلك فقيل له: كيف وجدّت الجرّمي؟ فقال: وجدته آية، وسئل الجرّمي فقيل له: كيف وجدّت الفرّاء؟ فقال: وجدته شيطاناً) (ابن الأنباري 2002م 45- 46).

على كلِّ فلا خلاف عملي ينتج عن هذا الخلاف؛ فالمبتدأ مرفوع وكذلك الخبر عند الجميع، ولذلك قال الأشموني: (وهذا خلاف لفظي) (الأشموني د.ت.ط1|309) ومن قبله قال ابن عقيل: (وهذا الخلاف مما لا طائل فيه) (ابن عقيل 1999م 1|201) ولا بأس من ترجيح رأي سيبويه وجمهور البصريين.

مسألة تعريف المبتدأ: حوت الألفية عدداً من التعريفات (الحدود) وهي تعريفات بسيطة مختصرة، يستعين فيها الناظم بالأمثلة، ولا يتعمق في هذه التعريفات على نحو

ما نرى عند النحاة الذين تأثروا بالمناطقة، ومن ذلك تعريفه للمبتدأ (ابن مالك 2003م: 33):

مبتدأ زيد وعاذر خبر إن قلت: زيدٌ عاذرٌ من اعتذر

وشرحه ابن عقيل: (ذكر المصنف أن المبتدأ على قسمين: مبتدأ له خبر، ومبتدأ له فاعل سد مسد الخبر، فمثال الأول: زيدٌ عاذرٌ مَنْ اعتذر... ومثال الثاني: (أسارٌ ذان.. (ابن عقيل 1999م|189). وبينما اكتفى الناظم وابن عقيل بهذه الأمثلة لتوضيح مفهوم المبتدأ قال الأشموني: (المبتدأ هو الاسم العاري من العوامل اللفظية وغير الزائدة، مخبراً عنه، أو وصفاً رافعاً لمستغني به؛ فالاسم يشمل الصريح والمؤول نحو: (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ)، وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه، والعاري عن العوامل اللفظية مخرج لنحو الفاعل، واسم كان، وغير الزائدة لإدخال نحو: بحسبك درهم... ومخبراً عنه أو وصفاً إلى آخر مخرج لأسماء الأفعال، والأسماء قبل التركيب، ورافعاً لمستغني به يشمل الفاعل نحو: أقائم الزيدان، ونائبه نحو: أمضروب العبدان، وخرج به نحو: أقائم من قولك أقائم أبوه زيدٌ فإن مرفوعه غير مستغني به (الأشموني د.ت.ط.1|300-302). والآية التي أوردها الأشموني هي الرابعة والثمانون من بعد المائة من سورة البقرة. وليس فيما ذكره الأشموني هنا في تفصيل هذا التعريف خلاف مع الناظم، أو مع ابن عقيل، وإنما الخلاف في طريقة التعريف، فالملاحظ أن الأشموني اهتم أكثر من غيره بفكرة الحد، وما يدخل فيه، وما هو خارج عنه أما ابن مالك وابن عقيل فقد اكتفيا بالتمثيل.

مسألة تعريف الخبر:

في تعريف الخبر قال الناظم (ابن مالك 2003م: 34):

والخبر الجزء المتم الفائدة كالله برّ والأيادي شاهدة

وقد خالفه ابن عقيل في هذا التعريف؛ قال: (عرّف المصنف الخبر بأنه الجزء المكمل للفائدة، ويُرد عليه بالفاعل نحو: قام زيدٌ؛ فإنه يصدق على زيد أنه الجزء المتمُّ الفائدة. وقيل في تعريفه إنه الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة، ولا يرد الفاعل على هذا

التعريف، لأنه لا ينتظم منه مع المبتدأ جملة، وخلاصة هذا أنه عرّف الخبر بما يوجد فيه وفي غيره، والتعريف ينبغي أن يكون مختصاً بالمعرّف دون غيره) (ابن عقيل 1999م|1|201-202). واعتراض ابن عقيل وجيه، ولذلك فضّل التعريف الآخر، وكذلك فعل ابن هشام، قال: (والخبر الجزء الذي حصلت به الفائدة مع مبتدأ... فخرج فعل الفاعل، فإنه ليس مع مبتدأ وفاعل الوصف) (ابن هشام 1995م|1|176). وقد يُعْتَدَر لابن مالك في تعريفه بدلالة المقام، وما ذكره من تمثيل كما فعل الأشموني قال: (والخبر الجزء المتمم الفائدة مع مبتدأ غير الوصف... بدلالة المقام والتمثيل بقوله كالله برُّ، والأأيادي شاهدة، فلا يرد الفاعل ونحوه) (الأشموني د.ت.ط.1|309-310)

مسألة رابط جملة الخبر: قال ابن مالك (2003م|34):

ومفرداً يأتي ويأتي جملة حاوية معني الذي سيقّت له

أجمل هنا في نظمه ما فضّله غيره في الشرح ومن هذا التفصيل ما ذكره ابن عقيل من أن الرابط قد يكون: (عمومٌ يدخل تحته المبتدأ، نحو زيدٌ نعم الرجل) (ابن عقيل 1999م|1|204) غير أن الأشموني يذهب مذهباً آخر في هذا المثال، فالرابط عنده تكرار المبتدأ لا إرادة العموم؛ فقد نقل عن الأخفش قوله في الرابط: (أو بمعناه نحو زيدٌ جاءني أبو عبد الله، إذا كان أبو عبد الله كنية له) (الأشموني د.ت.ط.1|312). ثم انتقد ما ذهب إليه ابن عقيل: (أو كان فيها عموم يشملها، نحو زيدٌ نعم الرجل وقوله:

فأما القتالُ لا قتالٌ لديكم

كذا قالوه، وفيه نظر لاستلزامه جواز: زيدٌ مات الناسُ، وخالد لا رجلٌ في الدار، وهو غير جائز، فالأولي أن يُخرَج المثال على ما قاله أبو الحسن بناءً على صحته، وعلى أن (ال) في فاعل (نعم) للعهد لا للجنس) (الأشموني د.ت.ط.1|312). والمسألة مبنية على تجويز تكرار المبتدأ بمعناه؛ قال السيوطي: (تكرار المبتدأ بمعناه نحو: زيدٌ جاءني أبو عبد الله إذا كانت كنية له أجازته الأخفش... والجمهور منعوا ذلك، وقالوا الرابط العموم، ووافق ابن عصفور الأخفش كما جاء ذلك في الموصول؛ حكى: أبو سعيد

الذي رويت عن الخدري، وتابعه الخضراوي وحسنه ابن جني) (السيوطي د.ت.ط.374). فالأشموني إذن يتابع الأخفش مخالفاً للجمهور، وكذلك فعل ابن هشام فقد خرج قوله:

فأما الصبرُ عنها فلا صبرا

على أن (الرابط فيه إعادة المبتدأ بلفظه، وليس العموم فيه مراد؛ إذ المراد أنه لا صبر له عنها، لأنه لا صبر له عن شيء) (ابن هشام 1972م 650-651). فعلي قول الجمهور، وفيهم ابن عقيل تكون (ال) في فاعل (نعم) للجنس؛ فالرجل عموم يشمل زيدا وغيره، وكذلك الجمهور على إرادة العموم في نحو (لا قتال، ولا صبر) في البيتين. أما الأخفش وابن هشام والأشموني فعندهم (ال) في فاعل (نعم) للعهد لا للجنس، وأن البيتين يخرجان على أن الرابط هو إعادة المبتدأ، لا إرادة العموم، ويبدو أن ما ذهب إليه الأخفش وابن هشام والأشموني هو الصحيح، فالرابط تكرار المبتدأ بلفظه أو بمعناه والمثال الذي أورده هؤلاء وهو: زيد مات الناس، دليل قوي على ما ذهبوا إليه، فالمثال غير صحيح، على الرغم من أن (زيداً) أحد الناس، أو أن (الناس) عموم يدخل تحته زيد، إذن الرابط ليس في إرادة العموم، وإنما في تكرار المبتدأ، لفظه أو معناه.

يلاحظ أن الأشموني يهتم أكثر من ابن عقيل بتفصيل القواعد النحوية فيورد

بعض الآراء، وإن خالفها، ومثال ذلك شرحه لقول الناظم (ابن مالك 2003م 35):

وإن تكن إياه معني اكتفي بها كنطقي الله حسبي وكفي

هذا البيت ذكر فيه الشارح أن جملة الخبر إن لم تكن هي المبتدأ في المعني فلا بد لها من رابط، وذكرنا من الروابط الضمير، ظاهراً نحو: زيد قام أبوه، أو مقدراً نحو: السمن مَنوان بدرهم، أي منوان منه بدرهم (ابن عقيل 1999م 1:203- الأشموني د.ت.ط.1:310)، ثم زاد الأشموني على ذلك فذكر أن الرابط قد يكون خلفاً عن ضمير المبتدأ، قال: (وكقولها: زوجي المس مس أرنب والريح ريح زرنب؛ قيل (ال) عوض عن الضمير والأصل: زوجي مسه مس أرنب وريحه ريح زرنب، كذلك قاله الكوفيون وجماعة من البصريين وجعلوا منه: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)؛ أي مأواه، والصحيح أن الضمير محذوف؛ أي المس له أو

منه، وهي المأوي له، وإلا ألزم جواز نحو: زيد الأب قائم، وهو فاسد (الأشموني د.ت.ط.1:311) و الآية التي استشهدوا بها هي الآية الأربعون من سورة النازعات، والأشموني هنا لا يخالف ابن عقيل، وإنما اهتم بهذا الرأي دونه.

مسألة تحمل الخبر ضمير المبتدأ: قال ابن مالك (ابن مالك 2003م 35)

والمفرد الجامد فارغٌ وإن يُشتق فهو ذو ضمير مستكن

يقرر ابن مالك هنا أن الخبر الجامد يكون فارغاً من ضمير المبتدأ

أما المشتق ففيه ضمير يعود على المبتدأ. وفي الجامد خلاف، فقد ذكر ابن عقيل أن الكسائي والرُّماني وجماعة ذهبوا إلى أن الجامد يتحمل الضمير، ونقل عن البصريين أن الجامد إن تَضَمَّنَ معني المشتق تحمل الضمير، وإن لم يتضمن معناه لم يتحملة (ابن عقيل 1999م |1| 205). ثم نسب القول الأول لعامة الكوفيين، مقابلاً لرأي البصريين، قال: (إن الجامد يتحمل الضمير مطلقاً عند الكوفيين، ولا يتحمل ضميراً عند البصريين إلا إن أوّل بمشتق) (ابن عقيل 1999م |1| 206). قال الأشموني: (والخبر المفرد الجامد فارغٌ من ضمير المبتدأ خلافاً للكوفيين) (الأشموني د.ت.ط.1:314-315). ثم نبه إلى أنه: (في معني المشتق ما أوّل به نحو: زيدٌ أسدٌ؛ أي شجاع، وعمرو تميمي... ويكرُّ ذو مال ففي هذه الأخبار ضمير المبتدأ) (الأشموني د.ت.ط.1|1| 316). فابن مالك والأشموني إذن يقولان بقول البصريين بينما لم يُصرِّح ابن عقيل برأي في هذا الخلاف.

نقل ابن الأنباري أن حجة الكوفيين هي قولهم: (إنما قلنا إنه يتضمن ضميراً - وإن كان اسماً لا صفة - لأنه في معني ما هو صفة، ألا تري قولك: زيدٌ أخوك في معني: زيدٌ قريبك، وعمرو غلامك في معني: عمرو خادمك، وقريبك وخادمك يتضمن كل واحدٍ منهما الضمير، فلما كان خبر المبتدأ هنا في معني ما يتحمل الضمير، وجب أن يكون فيه ضمير يرجع إلى المبتدأ) (ابن الأنباري 2002م 53-54). في حكم ابن الأنباري بفساد قول الكوفيين (ابن الأنباري 2002م 53-54)، يلمح المرء نوعاً من التعسف، صحيح أن الأوصاف المشتقة تتحمل الضمير، لأنها حملت على الفعل في

العمل، لكن لماذا لا يُعامل ما كان بمعناها معاملتها. وهو أمر يسنده العقل ومنطق اللغة، وهو أمر جوّزه الجمهور؛ قال الأزهري: (إنَّ أوَّلَ الجامدِ بالمشقة فيتحمل ضميراً نحو: زيدٌ أسدٌ، إذا أُريدَ به شجاع عند جمهور البصريين، فإن أُريدَ به التشبيه على إضمار الكاف، أو أنه نفس الأسد مبالغة، فلا يتحمل ضمير المبتدأ عندهم) (الأزهري د.ت.ط: 160)

مسألة إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير من هو له: قال ابن مالك (ابن مالك 2003م 35):

وأبرزته مطلقاً حيث تلا ما ليس معناه له مُحصلاً

أوجب ابن مالك هنا إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير من هو له، وفي ذلك خلاف فصله ابن عقيل: (فإن جرى الوصف على غير من هو له... ووجب إبراز الضمير، سواءً أُمِنَ اللبس أو لم يُؤْمَن، فمثال ما أُمِنَ فيه اللبس: زيدٌ هندٌ ضاربهها هو، ومثال ما لم يُؤْمَن فيه اللبس لولا الضمير: زيدٌ عمروٌ ضاربه هو، فيجب إبراز الضمير في الموضعين عند البصريين... وأما الكوفيون فقالوا إنَّ أُمِنَ اللبس جاز الأمران، كالمثال الأول... فإن شئت أتيت بالضمير، وإن شئت لم تأت به، وإن خيف اللبس ووجب الإبراز كالمثال الثاني؛ فإنك لو لم تأت بالضمير، فقلت: زيدٌ عمروٌ ضاربه، لأحتمل أن يكون فاعل الضرب زيداً، وأن يكون عمراً؛ فلما أتيت بالضمير... تعين أن يكون زيد هو الفاعل) (ابن عقيل 1999م 1:207 - 208)

يلاحظ أن ابن مالك أوجب الإبراز مطلقاً، وهو في ذلك يتابع البصريين، كما نلاحظ أن ابن عقيل لم يُرجح أحد القولين، وإنما اكتفى بعرض الخلاف. على حين مال الأشموني إلى البصريين فقد قال: (مثاله عند خوف اللبس أن تقول عند إرادة الإخبار بضاربية زيد ومضروبية عمرو: زيدٌ عمروٌ ضاربه هو، فضاربه خبر عن عمرو ومعناه هو الضاربية لزيد، وإبراز الضمير عُلِمَ ذلك ولو استتر آذن التركيب بعكس المعنى. ومثل ما أُمِنَ فيه اللبس: زيدٌ هندٌ ضاربهها هو، وهندٌ زيدٌ ضاربه هي؛ فيجب الإبراز أيضاً لجريان الخبر على غير من هو له) (الأشموني د.ت.ط: 1|306).

يُلاحظ أن أبا حيان ذهب مذهب الكوفيين، فذكر أن الضمير إن (لم يلبس جاز أن يُبرز، وأن لا يُبرز، نحو: يدك باسطها أنت وهند زيدٌ ضاربتة هي) (أبو حيان 1998م 1:112). وقد لاحظ الأزهري أن تاء التأنيث في مثال أبي حيان الأخير، أي في (ضاربتة): (تدل على أن الوصف في المعنى لهند، وكان ينبغي ألا يُبرز ضميرها، إلا أن البصري التزم الإبراز مطلقاً طرداً للباب 0) (الأزهري د.ت.ط. 1:162).

شاهد الكوفيين الذي أورده الشارحان (ابن عقيل 1999م 1:208) (الأشموني د.ت.ط. 1:317) وهو قوله:

قومي ذرا المجد بانوها وقد عَلمتُ بكنه ذلك عدنانُ وقحطان

يبدو أنه مجهول القائل، فقد أورده بلا نسبة، وكذلك فعل السيوطي (السيوطي د.ت.ط. 1:367) وابن هشام (1995م 177) كما أن الأزهري علل عدم إبراز الضمير بقوله: (فقد جرى الوصف وهو (بانوها) على (ذرا المجد)، وهو في المعنى لقومي؛ لأنهم البانون، ولم يبرز الضمير المستتر في بانوها؛ لأن اللبس مأمون؛ فإن الدار مبنية لا بانية) (الأزهري د.ت.ط. 1:162).

حجة البصريين في وجوب إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير من هو له تتمثل - كما نقل ابن الأنباري - في قولهم: (الدليل على أنه يجب إبرازه فيه إذا جرى على غير من هو له، أننا أجمعنا على أن اسم الفاعل فرعٌ على الفعل في تحمل الضمير... فإذا ثبت أن اسم الفاعل فرعٌ فلا شك أن

المشبه الشيء يكون أضعف منه في ذلك الشيء، فلو قلنا إنه يتحمل الضمير في كل حالة...، لأدى ذلك إلى التسوية بين الأصل والفرع، وذلك لا يجوز؛ لأن الفروع أبداً تتحط عن درجة الأصول؛ فقلنا إنه إذا جرى على غير من هو له يجب إبراز الضمير ليقع الفرق بين الأصل والفرع) (ابن الأنباري 2002م 57). فسبب وجوب إبراز الضمير عند البصريين هو جريان الوصف على غير من هو له، وهو سبب وجيه، فهناك يستتر الضمير في نحو: زيدٌ قائمٌ، أي هو، ولا خلاف في ذلك. وقد أشار ابن عقيل إلى وجهين

من وجوه الإعراب جَوْزهما سيوييه، عند إبراز هذا الضمير: الأول أن يكون الضمير الظاهر (هو) تأكيد للضمير المستتر في (قائمٌ)، والثاني أن يكون هذا الضمير الظاهر فاعلاً بقائم (ابن عقيل 1999م: 207:1)

وقد أخذ ابن عقيل على الناظم اختلاف قوليه في هذه المسألة بين الألفية وغيرها، وأنه اختار في غيرها مذهب الكوفيين (ابن عقيل 1999م: 208:1) وهو ذات المآخذ الذي أخذه الأشموني على ابن مالك، قال: (ومثال ما أمِنَ فيه اللبس زيدٌ هندٌ ضاربها هو... فيجب الإبراز. وقال الكوفيون لا يجب الإبراز ووافقهم الناظم في غير هذا الكتاب) (الأشموني د.ت.ط. 1:316). ولعل الشارحين يشيران إلى قول ابن مالك: (والتزم البصريون الإبراز مع أمن اللبس عند جريان رافع الضمير على غير صاحب معناه؛ ليجرى الباب على سنن واحد، وخالفهم الكوفيون ولم يلتزموا الإبراز عند أمن اللبس، وبقولهم أقول لورود ذلك في كلام العرب؛ كقول الشاعر:

قومي ذرا المجد بانوها وقد علّمتُ بكنه ذلك عدنانٌ وقحطان

فقومي مبتدأ، وذرا المجد مبتدأ ثاني، وبانوها خبرٌ جارٍ على ذرا المجد، في اللفظ وهو في المعنى لقومي، وقد استغني باستكنان ضميره عن إبرازه لعدم اللبس) (ابن مالك 1990م: 307-308) وما قاله ابن مالك هنا يخالف حقاً ما قاله في نظمه، ويفهم من هذا أن العالم بمجال النحو أو غيره قد يكون له قولٌ في مسألة ما، ثم يبدو له وجه آخر في ذات المسألة، فيعدل إلى هذا الوجه الجديد ولا شيء في ذلك واللّه أعلم.

مسألة الإخبار بالظرف والجار والمجرور: قال ابن مالك (ابن مالك 2003م: 35):

وأخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معني كائِن أو استقر

ظاهر هذا الكلام أن الخبر إن كان ظرفاً، أو جاراً و مجروراً، فهو يتعلق بمحذوف واجب الحذف، وأن هذا المحذوف قد يكون اسماً نحو (كائن)، وقد يكون فعلاً نحو (استقر)؛ فالناظم يساوي في بيته بين تقدير الاسم وتقدير الفعل، وهذا ما نصّ عليه ابن عقيل في شرحه (ابن عقيل 1999م: 211:1) لكن الأشموني يذكر أن المختار عند الناظم تقدير الاسم، ونقل عنه تعليل ذلك من شرح الكافية، ويتلخص في أن:

تقدير الاسم لا يحوج إلى تقدير آخر، بينما تقدير الفعل يحتاج إلى تقديره باسم الفاعل، وأن المحل محل رفع، لا يظهر الرفع إلا في اسم الفاعل. وكل موضع يُقدر فيه متعلق الظرف فعلاً، يمكن تقديره اسماً، وإن من المواضع ما يتعين فيه تقدير الاسم دون الفعل نحو: أما عندك فزيدٌ، وخرجتُ فإذا في الباب زيدٌ؛ لأن (أماً) و(إذا) لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مُقدراً؛ فتعين عنده ردُّ المحتمل إلى ما لا احتمال فيه، طرداً للباب على سنن واحد (الأشموني د.ت.ط. 1:320 - 321) ونقض الأشموني تعليل الناظم بأن الأصل في العمل إنما هو للفعل؛ وأنَّ وجوب تقدير الاسم بعد (أماً) و(إذا) إنما كان لخصوص المحل، ومثله وجوب تقدير الفعل مع صلة الموصول (الأشموني د.ت.ط. 1: 321) فالأشموني إذن يضعف ما ذهب إليه الناظم في شرحه الكافية من تقدير الاسم مع الخبر الذي هو جار أو مجرور. وهذا الخلاف ينبني على اختلافهم في عامل الظرف والجار والمجرور؛ قال السيوطي: (اختلف في عامل الظرف والمجرور الواقعين خيراً؛ فالأصح أنه كون مُقدَّر، وقيل: المبتدأ وعليه ابن خروف، ونسبه ابن أبي العافية إلى سيبويه، وأنه عملٌ فيه النصب لا الرفع؛ لأنه ليس الأول في المعنى، وردُّ بأنه مخالف للمشهور من غير دليل، وبأنه يلزم منه تركيب كلام من ناصب ومنصوب بدون ثالث. وقيل بالمخالفة وعليه الكوفيون؛ وإذا قلت زيدٌ أخوك؛ فالأخ هو زيد، أو زيدٌ حَلْفُكَ؛ فالخلف ليس بزيد فمخالفته له عملت النصب. وردُّ بأن المخالفة معني لا يختص بالأسماء دون الأفعال، فلا يصح أن يكون عامله، لأن العامل اللفظي شرطه أن يكون مختصاً، فالمعنوي الأضعف أولى) (السيوطي د.ت.ط. 1:375).

وخلاصة الأمر أن الأشموني يخالف ابن مالك في تفضيله تقدير متعلق الظرف أو الجار والمجرور اسماً، الذي ذكره في شرح الكافية. أما في بيت الألفية فالظاهر فيه التسوية بين تقدير الاسم وتقدير الفعل، والتسوية هي مذهب ابن عقيل والأشموني، ويمكن أن يحمل عليها كلام ابن هشام؛ قال: (فمن قدر الفعل وهم الأكثرون فلأنه الأصل في العمل، ومن قدر الوصف فلأن الأصل في الخبر... الأفراد، ولأن الفعل في ذلك لا بد من تقديره بالوصف، قالوا: ولأن تقدير المُقدَّر أولى وليس بشئ، لأن الحق أنا

لم نحذف الضمير بل نقلناه إلى الظرف، فالمحذوف فعلٌ أو وصف وكلاهما مفرد) ابن هشام 1972م، فالتسوية إذن هي الصحيحة، وعليها السيوطي(السيوطي د.تذط3:113)

مسألة حذف الخبر بعد لولا: أخذ الشارحان على الناظم اختلاف قوليه في حذف الخبر بعد لولا، وذلك في قوله (ابن مالك 2003م38):

وبعد لولا غالباً حذف الخبر حتمٌ وفي نصٍّ يمينٌ إذا استقر

قال ابن عقيل: (هذا الذي ذكره المصنف في هذا الكتاب من أن الحذف بعد لولا واجب إلا قليلاً هو طريقة لبعض النحويين. والطريقة الثانية: أن الحذف واجب دائماً، وأن ما ورد من ذلك بغير حذف في الظاهر مؤولٌ. والطريقة الثالثة: أن الخبر إما أن يكون كوناً مطلقاً، أو كوناً مقيداً؛ فإن كان كوناً مطلقاً وجب حذفه نحو: لولا زيدٌ لكان كذا، أي لولا زيد موجود، وإن كان مقيداً، فإما أن يدل عليه دليل أو لا، فإن لم يدل عليه دليل وجب ذكره؛ نحو: لولا زيدٌ محسنٌ إلى ما أتيتُ، وإن دلَّ عليه دليل جاز اثباته وحذفه نحو: أن يُقال: نحو: هل زيدٌ محسنٌ إليك؟ فتقول: لولا زيدٌ لهلكت؛ أي لولا زيدٌ محسنٌ إليّ؛ فإن شئتُ حذفته الخبر، وأن شئتُ أثبتته، ومنه قول المعري:

يذيبُ الرَّعبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغمدُ يمسكه لسالا

وقد اختار المصنف هذه الطريقة في غير هذا الكتاب(ابن عقيل 1999م1:350-351). فهو يأخذ على ابن مالك اختلاف قوليه في هذه المسألة، وهو ما فعله الأشموني الذي قال: (وبعد لولا الامتناعية غالباً حذف الخبر حتم... للعلم به وسد جوابها مسده. أما إذا كان الامتناع مُعلّقاً على الوجود وهو غير الغالب عليها؛ فإن لم يدل على المقيد دليل وجب ذكره نحو: لولا زيدٌ سالمتنا ما سلّمَ وجُوبٌ منه قوله عليه الصلاة والسلام: لولا قومك حديثو عهدٍ بكفرٍ لبنيتُ الكعبةَ على قواعد إبراهيم، وإن دلَّ عليه دليل جاز إثباته وحذفه نحو: لولا أنصارُ زيدٍ حموه ما سلم، وجعل منه قول المعري:

يذيبُ الرَّعبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغمدُ يمسكه لسالا

وأعلم أن ما ذكره الناظم هو مذهب الرماني وابن الشجري والشكوبين، وذهب الجمهور إلى أن الخبر بعد لولا واجب الحذف مطلقاً، بناءً على أنه لا يكون إلا كوناً مطلقاً، وإذا أُريد الكون المُقيّد جُعِلَ مبتدأ، فتقول لولا مسألة زيداً يانا ماسلم، أي موجكة. وأما الحديث فمروي بالمعنيولحنوا المعري(الأشموني د.ت.ط.1|340-

341). ولعل الشارحين يشيران إلى قول ابن مالك: (وإنما وجب الحذف الخبر بعد لولا الامتناعية؛ لأنه معلوم بمقتضي لولا إذ هي دالة على الامتناع لوجود، والمدلول على امتناعه هو الجواب، والمدلول على وجوده هو المبتدأ؛ فإذا قيل: لولا زيدٌ لأكرمتُ عمراً، لم يُشك في أن المراد: وجود زيد مانع من إكرام عمرو؛ فصَحَّ الحذف لتعين المحذوف، ووجب لسد الجواب مسده، وحلولة محله... فلو أُريد كون مُقيّد مدلول عليه جاز الإثبات والحذف نحو: لولا أنصار زيد حموه لم ينح؛ فهو خبر مفهوم المعني؛ فيجوز إثباته ويجوز حذفه) (ابن مالك 1990م 1:276). فما ذكره الشارحان من اختلاف قولي الناظم صحيح. وقد علّق السيوطي على الحديث الشريف الذي أورده الأشموني: (والظاهر أن الحديث حرفته الرواة، بدليل أن في بعض رواياته: لولا حدثان قومك، وهذا جارٍ على القاعدة) (السيوطي د.ت.ط.1:393). وقد ذكر ابن حجر أن البخاري أورد هذا الحديث بأكثر من طريقة من رواية السيدة عائشة (رضى الله عنها): (الأولي: ...) لولا أن قومك حديثٌ عهدهم بالجاهلية، فأخاف أن تُتكرر قلوبهم أنْ أُدخلَ الجدرَ في البيت) (ابن حجر 1996م 4:230). والثانية بلفظ: (لولا حدثان قومك بالكفر لنقضتُ البيت...) (ابن حجر 1996م 4:230). والثالثة بلفظ: (يا عائشة لولا أن قومك حديثٌ عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت فهُدِم...) (ابن حجر 1996م 4:231). قال ابن حجر: (حديثٌ عهدٍ كذا لجميع الرواة بالإضافة. وقال المطرزي: لا يجوز حذف الواو في مثل هذا، والصواب: حديثو عهد) (ابن حجر 238) والطريقة الثانية: (لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت) جارية على القاعدة التي نحن بصدها، فالتقدير: لولا حدثان قومك بالكفر موجودة. ومما له علاقة وثيقة بهذا الخلاف أورده السيوطي من آراء تخالف المشهور في لولا: قال: (ذهب قوم إلى أن الخبر بعد لولا غير مقدّر، وذهب الفرء

إلى أن الواقع بعد لولا ليس مبتدأ، بل مرفوع بها لاستغنائها بها، كما يرتفع بالفعل الفاعل، وردَّ بأنها لو كانت عاملة لكان الجر أولي بها من الرفع؛ لاختصاصها بالاسم. وذهب الكسائي إلى أنه مرفوع لفعل بعدها تقديره: لولا وُجِدَ زيدٌ أو نحوه؛ لظهوره في قوله:

فَقُلْتُ بلي لولا ينازعني شغلي

وذهب جماعة من المتقدمين إلى أنه مرفوع بلولا لنيابتها مناب فعل تقديره لو لم يوجد، أو لو لم يحضر (السيوطي د.ت.ط1|394). والصحيح فيها ما ذكره ابن هشام، قال: (وليس المرفوع بلولا فاعلا بفعل محذوف ولا بلولا لنيابتها عنه، ولا بها أصالة خلافا لزاعمي ذلك، بل رفعه علي الابتداء) (ابن هشام 1972م 359) وهذا ما عليه الشارحان وابن مالك نفسه. وفي تلحين الجمهور للمعري قال ابن هشام: (ليس بجيد؛ لاحتمال تقديره (يمسكه) بدل اشتمال على أن الأصل: أن يمسكه؛ ثم حُذِفَتْ أن وارتفع الفعل، أو تقدير (يمسكه) جملة معترضة) (ابن هشام 1972م 360) وتأويلا ابن هشام سائغان. وعلى كلِّ فما ذكره الشارحان من اختلاف قولي الناظم صحيح؛ فهو قد خالف الجمهور ووافق الرُّمَّاني وجماعة، بينما مال الأشموني للجمهور، يدل على ذلك تعليقه لحذف الخبر، وهو العلم به وسد الجواب مسده، أما ابن عقيل فقد اكتفى بغرض الخلاف.

مسألة تعدد الخبر: قال ابن مالك (ابن مالك 2003م 39):

وأخبروا باثنين أو بأكثرًا عن واحدٍ كهم سرّاة شعرا

هنا يجيز ابن مالك تعدد الخبر، وهي مسألة محل خلاف قال فيه ابن عقيل: (اختلفَ النحويون في جواز تعدد خبر المبتدأ الواحد بغير حرف عطف نحو: زيدٌ قائمٌ ضاحكٌ، فذهب قوم منهم المصنف إلى جواز ذلك، سواء كان الخبران في معنى خبرٍ واحدٍ نحو: هذا حلٌّ حامضٌ؛ أي مُرٌّ، أم لم يكونا معنى خبرٍ واحدٍ كالمثال الأول. وذهب بعضهم إلى أنه لا يتعدد الخبر إلا إذا كان الخبران في معنى خبرٍ واحدٍ؛ فإن لم يكونا كذلك تعيَّن العطف، فإن جاء من لسان العرب شيئٌ بغير عطفٍ قُدِّرَ له مبتدأ آخر، كقوله

تعالى: (وَهُوَ الْعُفُورُ الْوُدُودُ ❖ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) واكتفى ابن عقيل بعرض الخلاف ولم يرجح أحد القولين، والآيتان هما الرابعة عشرة والخامسة عشرة من سورة البروج. وخالفه الأشموني، الذي جَوَزَ العطف وتركه في آيتي البروج، ومثال ابن عقيل الأول: (زيدٌ قائمٌ ضاحكٌ) (ابن عقيل 1999م 1:257).

هذا الخلاف عرضه السيوطي: (اختلف في جواز تعدد الخبر لمبتدأ واحد على أقوال: أحدها وهو الأصح، وعليه الجمهور الجواز كما في النعوت، سواءً اقترن بعاطف أم لا... والقول الثاني: المنع، واختاره ابن عصفور وكثير من المغاربة، وعلى هذا فما ورد من ذلك جعل فيه الأول خبراً، والباقي صفة للخبر، ومنهم من يجعله خبراً لمبتدأ مُقَدَّر. والقول الثالث: الجواز إن اتحدا في الأفراد والجملة... والمنع إن كان أحدهما مفرداً والآخر جملة. والرابع: قصر الجواز على ما كان المعنى منها واحداً نحو: الرَّمَانُ حلُوٌّ حامضٌ) (السيوطي د.ت.ط: 401-402).

يلاحظ أن ابن مالك مثَّلَ بقوله: هم سرأة شعراء، ولم يُمثَّلَ لما كان معني الخبرين فيه واحداً، رغم أنه أطلق التجويز في الإخبار باثنين أو بأكثر. وفي حين لم يصرِّح ابن عقيل برأيه في الخلاف. واختار الأشموني مذهب الجمهور ويمكن أن يحمل بيت ابن مالك أيضاً مذهب الجمهور، ولقد اختار ابن هشام أيضاً مذهب الجمهور، قال: والأصح جواز تعدد الخبر (ابن هشام 1995م 1|206) وكذلك فعل الأزهري، قال: (والأصح جواز تعدد الخبر لفظاً ومعنى، لأن الخبر كالنعت يجوز تعدده) (الأزهري د.ت.ط: 1:182) والأصح في ظني رأي الجمهور؛ فيجوز تعدد الخبر في النوعين.

قال الأشموني: (هكذا اقتصر الناظم على هذين النوعين في شرح الكافية وزاد ولده في شرحه نوعاً ثالثاً يجب فيه العطف، وهو أن يتعدد الخبر لتعدد ما هو له... نحو: بنوك كاتب وصائع وفقيه) (الأشموني د.ت.ط: 1|351). وأورد الأشموني قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وِزْيَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)، وهي الآية العشرون من سورة الحديد، شاهداً لابن الناظم في قوله بتعدد الخبر لتعدد ما هو له حكماً، ونقل اعتراض صاحب التوضيح بأن الثاني تابع لا

خبر(الأشموني د.ت.ط1|351) ثم خالفه بقوله: (لا منافاة بين كونه تابعاً وكونه خبراً؛ إذ هو تابع من حيث توسط الحرف بينه وبين متبوعه، خبرٌ من حيثُ هو عطفٌ على خبر؛ إذ المعطوف على الخبر خبر) (الأشموني د.ت.ط1:353). ولم يشر ابن عقيل إلى تعدد الخبر لتعدد ما هو له حقيقة أو حكماً فهو لم يُفصل المسألة كما فعل الأشموني. وقد أورد ابن عقيل قوله تعالى: (فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)، وهى الآية العشرون من سورة طه، في معرض رده على من زعم في تعدد الخبر اشتراط أن يكون الخبران مفردين معاً، أو جملتين معاً، وذكر أن اختلاف نوعي الخبر كثيراً في كلام المعربين للقرآن، وأن بعضهم جَوَّزَ كون (تَسْعَى) في الآية خبراً، لكن ابن عقيل خالفهم؛ لأنه يجوِّز أن تعرب (تَسْعَى) حالاً(ابن عقيل 1999م1:260) أما الأشموني فلم يورد الآية، ولم يتعرض لهذا الشرط، الذي ذكره السيوطي ولم ينسبه لنحوي بعينه(السيوطي د.ت.ط:402) والصحيح جواز تعدد الخبر إن اقترن بعاطف أو لا، إن لم يكن الخبران في معني واحد. أما إن كان الخبران في معني خبر واحد، فلا يجوز العطف، وهو ما نصَّ عليه الأشموني، وفاقاً للناظم، قال: (وهذا الضرب لا يجوز فيه العطف، خلافاً لأبي علي) (الأشموني د.ت.ط1:351).

خاتمة البحث:

اختلف شارحان في المسائل الآتية:

مسألة الابتداء بالوصف المشتق دونما اعتماد على نفي أو استفهام التي منعها البصريون وجوزها الكوفيون، وفي حين مال الأشموني للبصريين، لم يفصل ابن عقيل برأي في الخلاف. رجح ابن عقيل مذهب سيبويه وجمهور البصريين في أن رافع المبتدأ هو الابتداء، وأن رافع الخبر هو المبتدأ، أما الأشموني فقد فنَّد آراء بعض البصريين، واكتفي بعرض رأي جمهورهم في مقابل رأي الكوفيين دون أن يرجح أحدهما. اهتم الأشموني بتعريف المبتدأ تعريفاً جامعاً مانعاً في حين اكتفي ابن مالك وابن عقيل بالمثال عن التعريف. وقد أخذ ابن عقيل على الناظم تعريفه للخبر بأنه الجزء المتم الفائدة، وفضَّل عليه تعريفاً آخر هو أنه الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة بينما اعتذر الأشموني

لناظم بدلالة المقام وما مثل به. في مسألة (ال) التي في فاعل (نعم) و(بئس) إن وقعت جملة الفعلين خبراً، وافق ابن عقيل الجمهور في أن (ال) حينئذٍ للجنس، ولذلك هي تدل عنده على العموم؛ فهي رابط جملة الخبر بالمتبدأ، وخالفه الأشموني الذي ذهب مذهب الأخفش وابن هشام في أن (ال) حينئذٍ للعهد لا للجنس، وأن الرابط هو إعادة المتبدأ لا إرادة العموم. في مسألة تحمل الخبر الجامد ضمير المتبدأ اختار الأشموني مذهب البصريين، وهو أن الخبر الجامد فارغ من الضمير، في حين لم يفصل ابن عقيل في المسألة برأي. وأوجب الأشموني وفاقاً للبصريين إبراز الضمير مطلقاً إذا جرى الخبر المشتق على غير من هو له، في حين عرض ابن عقيل هذا الرأي في مقابل رأي الكوفيين بتجويد إبراز الضمير إن أمن اللبس ولم يرجح أحدهما. أخذ الأشموني على الناظم تفضيله تقدير الاسم على الفعل متعلقاً للظرف والجار والمجرور الواقع خبراً في غير الألفية، وخالفه في ذلك؛ إذ يساوي بين التقدير والتسوية هي مذهب ابن عقيل والناظم نفسه في الألفية. أخذ الشارحان على الناظم اختلاف قوليه في مسألة وجوب حذف الخبر بعد لو لا الامتناعية بين الألفية وغيرها، وفي حين رجح الأشموني قول الجمهور في وجوب حذف الخبر مطلقاً، عرض ابن عقيل قولهم في مقابل رأي الرماني ومن تبعه ممن يشترطون لحذف الخبر وجوباً دلالته على كونه مطلق؛ دون أن يفصل ابن عقيل برأي. اختار الأشموني مذهب الجمهور في تجويد تعدد الخبر؛ اقترن بعاطف أم لم يقترن، وعرض ابن عقيل مذهبهم في مقابل رأي ابن عصفور والمغاربة الذين يجعلون الأول خبراً، وغيره نعوت، ولم يفصل في الخلاف برأي.

أخذ الأشموني على الناظم تفضيله تقدير الاسم على الفعل متعلقاً للظرف والجار والمجرور الواقع خبراً في غير الألفية، وخالفه في ذلك؛ إذ يساوي بين التقدير والتسوية هي مذهب ابن عقيل والناظم نفسه في الألفية. أخذ الشارحان على الناظم اختلاف قوليه في مسألة وجوب حذف الخبر بعد لو لا الامتناعية بين الألفية وغيرها، وفي حين رجح الأشموني قول الجمهور في وجوب حذف الخبر مطلقاً، عرض ابن عقيل قولهم في مقابل رأي الرماني ومن تبعه ممن يشترطون لحذف الخبر وجوباً دلالته على

كون مطلق؛ دون أن يفصل ابن عقيل برأى. اختار الأشموني مذهب الجمهور في تجويز تعدد الخبر؛ اقترن بعاطف أم لم يقترن، وعرض ابن عقيل مذهبه في مقابل رأي ابن عصفور والمغاربة الذين يجعلون الأول خبراً، وغيره نعوت، ولم يفصل في الخلاف برأى. هذا والحمد لله في الأولى، وفي الآخرة، وصل اللهم على سيدنا محمد وأهله وصحبه إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع:

- (1) القرآن الكريم.
- (2) الأزدي، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (د.ت.ط): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- (3) الأزهري، خالد بن عبد الله (د.ت.ط): شرح التصريح علي التوضيح، دار الفكر، بيروت.
- (4) الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد (د.ت.ط): شرح الأشموني علي ألفية ابن مالك، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- (5) الأفريقي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (د.ت.ط): لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- (6) ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (2002م): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق جودة مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- (7) الأنصاري، أبو عبد الله محمد جمال الدين بن يوسف (1995م): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة.
- (8) - - - - -
- (9) البغدادي، عبد القادر بن عمر (1986م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(10) السيوطي، جلال الدين عبد الرخمن بن أبي بكر (1979م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة.

(11) - - - - -

(11) - - - - (د.ت.ط.): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(12) الطائي، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (2003م): ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.

(13) - - - - -

(13) - - (1990م): شرح التسهيل، تحقيق محمد بدوي المختون وعبد الرحمن السيد، دار هجر، القاهرة.

(14) العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر (1996م): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت.

(15) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بهاء الدين بن عقيل: شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة (1999م).

(16) العيني، محمود بن أحمد بن موسى (2005م): المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.

(17) الغرناطي، أبوحيان محمد بن يوسف (1998م) ارتشاف الضرب من كلام العرب، تحقيق رجب عثمان، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(18) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (د.ت.ط.): القاموس المحيط، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(19) القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم (1350هـ): إنباه الرواة علي أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة.

(20) المنياوي، محمد عبد الرؤوف: التوقيف علي مهمات التعاريف، تحقيق محمد رمضان الداية، دار الفكر، بيروت (199).

صيغ منتهى الجموع في سورة البقرة

"دراسة نحوية صرفية"

صديق خالد الحاج الإمام

أستاذ مساعد قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة شندي

مستخلص:

يتناول هذا البحث (صيغ منتهى الجموع في سورة البقرة - دراسة نحوية صرفية) وتعد صيغ منتهى الجموع من أكثر الأوزان والصيغ التباساً في الاستعمال، لذا جاء البحث موضعاً ومبيناً تلك الصيغ وهدف لتحقيق الأهداف التالية:

- 1- التأسيس لعلم النحو من خلال ربط هذه الدراسة بالقرآن الكريم المتحدى به العرب أهل الفصاحة والبيان.
- 2- جمع منتهى الجموع وصيغه قد تلتبس على الكثيرين، وهذا البحث يجلي هذه الصيغ أكثر.
- 3- كذلك يستمد البحث أهميته من ارتباط الدراسة بالقرآن الكريم الذي وضع النحو لخدمته.

وقد اشتمل البحث علي ثمانية مباحث: الأول أتى لوزن فواعل، والثاني لوزن فعائل، والثالث لوزن فعالي. والرابع لوزن فعالي، والخامس لوزن فعالي، السادس لوزن فعائل السابع لوزن ملحقات فعائل والثامن للدراسة التطبيقية. اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

ثم كانت الخاتمة: التي حوت: الخلاصة، والنتائج ومنها:

(1) من أكثر الأوزان وروداً في سورة البقرة وزن ملحقات فعائل.

(2) من أقل الأوزان وروداً في سورة البقرة وزن فواعل.

والتوصيات ومنها: تشجيع الطلاب على ربط بحوثهم بالقرآن الكريم، وهي سائحة طيبة لمعايشة هذا الكتاب الذي هجره الكثيرون، ويجعله الأكثرون.

ومن ثم جاء ذكر قائمة المصادر والمراجع.

الجمع لغة: جمع الشيء، عن تفرقة يجمعه جمعا وجمعه، وأجمعه فاجتمع، والمجموع: الذي جمع من ههنا وههنا، وأن لم يجعل كالشئ الواحد، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وجمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا، وتجمع القوم اجتمعوا أيضاً.

والجمع اسم لجماعة الناس، والجماعة والجميع والمجمع والمجمعة كالجمع وقد استعملوا ذلك في غير الناس حتى قالوا: جماعة الشجر، وجماعة النبات. والمجمع: يكون اسماً للناس، وللموضع الذي يجتمعون فيه.

وأمر جامع: يجمع الناس عليه، وسمي يوم الجمعة و"الجمعة" بذلك لاجتماع الناس فيه (لسان العرب مادة "جمع")

واصطلاحاً: هو ما دل على أكثر من اثنين.

جمع التكسير: وهو ما يدل على ثلاثة وأكثر، وله مفرد يشاركه في معناه وأصوله، مع تغيير حتمي يطرأ على صيغته عند الجمع وعرفه ابن جني بأن التكسير هو ضرب من التوهين والتبديل بحالة الكلمة (الخصائص ج3،: 64) وسمى بالتكسير: تشبيهاً بكسر الآنية لما يلحقه من تغيير

ومن ناحية البناء ينقسم جمع التكسير إلى ثلاثة أقسام هي (أوضح المسالك . ج3: 254)

- 1- أن تكون حروفه أكثر من حروف الجمع وذلك نحو: إزار: أزر.
 - 2- أن تكون حروفه بعدة حروف الجمع لكن مع اختلاف في شكل الحروف مثل: أسند. أسند .
 - 3- أن يكون حروفه أقل من حروف الجمع وذلك نحو: درهم: دراهم. درس: دروس.
- أما عند النحاة فإن جمع التكسير ينقسم إلى قسمين (شرح المفصل لابن يعيش، ج5،: 5)

أ- جموع قلة: فيكون استعمالها من ثلاثة دون العشرة.

ب- جموع كثرة: فيكون استعمالها أكثر من العشرة.
لكن عند بعض النحاة مثل: سيبويه، لا يفرقون بين القلة والكثرة في الاستعمال، إنما الضابط عندهم في ذلك دلالة العبارة والمعنى (الكتاب لسيبويه ج3: 567) ومن أمثلة ذلك:

- 1- قال تعالى: ﴿... وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ سورة سبأ - من الآية 37..
فلا يجوز أن تكون (الغرف) في الجنة كلها دون العشرة.
- 2- قال تعالى ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ...﴾ سورة البقرة - من الآية 203. كلمة أيام تدل على أيام التشريق وهي قلة، وكالتي تعين على الزيادة والكثرة.
- 3- قال حسان بن ثابت:

"لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى

وأسيافنا يقطرن من نجة دما" (حسان بن

ثابت، بدون /ت ط1: 22)

فالشاهد في قوله: (الجففات، أسيافنا).

حيث عاب النابغة الذبياني على حسان استعماله لجموع القلة دون الكثرة.
لكن عند بعض النحاة: أن جموع القلة تفيد الكثرة إذا اقترنت بأل أو إذا أضيفت إلى ما يدل على الكثرة (ابن يعيش ج5: ص10 - 11) لذا عندهم بيت حسان بن ثابت (السابق) لا غبار عليه، وإنه جيد، لأن كلمتي: "الجففات اقترنت بأل، وأسيافنا أضيفت إلى الضميرنا".

صيغ منتهى الجموع

يقصد بصيغ منتهى الجموع: كل جمع تكسير يأتي بعد ألف تكسيه حرفان، أو ثلاثة، أو وسطها ساكن، على أن تصير الكلمة مكونة من خمسة، أو ستة أحرف. ويقصد بألف التكسير: الألف الذي يكون في الجمع دون المفرد. تشمل صيغ

منتهى الجموع سبعة أوزان هي: فواعل، فعائل، فعالي، فعالي، فعالي، فعائل، فعائل، وملحقاتها.

وزن فواعل

تشمل هذه الصيغة خمسة أوزان (الأصول في النحو ج3، :7) هي:

- 1- ما كان على وزن فاعلة " اسماً أو وصفاً، عاقلاً، أم غير عاقل، مثل ما يأتي:
قال الأخطل:

" رأت أن ريعان الشبابِ قد أنجلي

وأن مشيبي حاضرتني عواجله " (الأخطل:

(121)

فالشاهد في قوله: " عواجل " حيث أتت جمعاً لكلمة عاجلة.

أمثلة أخرى:

نادبة : نوادب : ناصبة : نواصب.
راجعة : رواجع : شاعرة : شواعر.
غانية : غوان : حاملة : حوامل.

- 2- ما كان على وزن " فاعل " اسماً أم وصفاً، مثل:

قال الراعي النميري:

" وهزة نشوة من حي صدف

يزججن الحواجب والعيونا " (الراعي

النميري: 150)

فالشاهد في قوله: " الحواجب " حيث أتت جمعاً لكلمة حاجب.

قال زهير بن أبي سلمى:

" وبالفوارسِ من ورقاءٍ قد علموا

فُرسانَ صدقٍ على جُردِ أبابيل " (زهير بن أبي سلمى: 75)

فالشاهد في قوله: " الفوارس " حيث أتت جمعاً لكلمة " فارس " وهذا شاذ.
قال الفرزدق:

" وَإِذَا الرَّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ "

خُضِعَ الرَّقَابِ نَوَاصِرِ الْأَبْصَارِ)

الفرزدق، ، بدون /ت/ ط، : (304)

فالشاهد في قوله " نواكس " حيث أتت جمعاً لكلمة " ناكس " وهذا شاذ.
قال حسان بن ثابت:

" حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ "

وَتُصْبِحُ غَرَثِيَّ مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ " (حسان بن ثابت، : 17)

فالشاهد في قوله: " الغوافل " حيث أتت جمعاً لكلمة " غافلة " .

3- ما كان على وزن فاعل، مثل:

خاتم : خواتم.

قالب : قوالب.

طابع : طوابع.

4- ما كان على وزن فاعلاء " مثل:

قاصعاء : قواصع.

نافقاء : نوافق.

ساجعاء : سواجع.

5- ما كان على وزن " فَوَعْل " أو " فَوَعْلَة " مثل ما يأتي:

قال النابغة الذبياني:

" كَلَيْلِي لِهَمٍّ، يَا أُمَيْمَةَ، نَأْصِبِ "

وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ، بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ " (النابغة الذبياني: 9)

فالشاهد في قوله: " الكواكب " حيث أتت جمعاً لكلمة " كوكب " .

قال الحطيئة:

" ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ "

حُمِرَ الحَوَاصِلَ لِمَاءٍ وَلَا شَجْرُ" (الخطيئة: 164)

فالشاهد في قوله: "الحواصل" حيث أتت جمعاً لكلم "حوصلة".

أمثلة أخرى:

جوهرة : جواهر.

زوبعة : زوابع.

صومعة : صوامع.

وزن فعائل

هذا الوزن يكون في الرباعي: الذي يكون آخره مدّ، ويشترك معه (المبرد

ج2: 282)

1- ما كان مختوماً بتاء التأنيث، مثل: مدينة: مدائن.

2- ما كان مختوماً بألف التأنيث الممدودة، مثل: جلولاء : جلائل.

3- ما كان مختوماً بالألف المقصورة، مثل: حبارى : حباثر.

4- ما كان مجرداً من ذلك كله، بشرط أن يكون مؤنثاً تأنيثاً معنوياً مثل:

عجوز : عجائز.

قال زهير بن أبي سلمى:

" إنَّ ابنَ ورَقَاءَ لَا تُخْشَى غَوَائِلُهُ "

لَكِنَّ وَقَائِعُهُ فِي الْحَرْبِ تُتَنْظَرُ" (زهير بن أبي سلمى: 73)

فالشاهد في قوله: "وقائع" حيث أتت جمعاً لكلمة وقية.

سحابة : سحائب.

رسالة : رسائل.

وشدّ جمع الآتي:

ضمير : ضمائر.

أصيل : أصائل.

وشاح : وشائح.

لأنها ليست بمؤنثة تأنيث معنوي.

قال أبو الأسود الدؤلي:

" كضرائر الحسناء قلن لوجهها

1. حسداً وبغياً: إنه لدميم

فالشاهد في قوله: "ضرائر"، حيث أتت جمعاً لكلمة ضرة وهو شاذ، لأنه ثلاثي.

قال الراعي: التميمي:

" هنّ الحرائر لاريات أحمره

سود المحاجر لا يقرأن بالنسور " (الراعي التميمي: ص 101)

فالشاهد في قوله: " الحرائر " حيث أتت جمعاً لكلمة "حرة" وهذا شاذ، لأنه ثلاثي.
وشدّ أيضاً:

ذبيحة : ذبائح.

ذخيرة : ذخائر.

وديعة : ودائع.

فهي صفات، إلا إذا تحولت إلى أسماء.

المبحث الثالث

وزن فعالي

يجمع على هذه الصيغة كلمات كثيرة (سيبويه ج2: 195) منها على سبيل

المثال:

1- اسم أو صفة على وزن " فعلاء " بشرط ألا يكون له مذكر مثل:

صحراء : صحار.

عذراء : عذار

2- اسم على وزن " فعلى " مثل:

ذفرى : ذفار.

3- اسم على وزن " فعلى " مثل:

فتوى : فتاوى.

دعوى : دعاو.

4- صفة لأنثى على وزن " فعلى " ليس لها مذكر، مثل:

حبلى : حبال.

وزن فعّالى

هذا الوزن يشترك مع سابقه في كلمات:

عذارى - صحراء - فتوى - ذفرى - حبلى.

قال امرؤ القيس:

" وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَلِ " (أمرىء القيس: 29)
فالشاهد في قوله: " العذارى " حيث أتت جمعاً لكلمة " عذراء ".

لكن ينفرد وزن فعّالى عن سابقه: بأنه يجمع عليه ما كان على وزن " فعّالان " ومؤنثه (المقتضب للمبرد، ج1، ص 125 (المقتضب للمبرد، ج1: 125). مثل:

قال طرفة بن العبد:

" نَدْمَايَ بِيضُ كَالنُّجُومِ، وَقِيْنَةُ تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ (طرفة بن العبد: 125)
فالشاهد في قوله: " ندامى " حيث أتت جمعاً لكلمة "ندمان".

1- قال تعالى: ﴿... وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 85).
فالشاهد في قوله تعالى: " أسارى " حيث أتت جمعاً لكلمة أسير.

2- قال تعالى: ﴿... وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ...﴾ (سورة النساء - من الآية 142)

فالشاهد في قوله تعالى: " كسالى " حيث أتت جمعاً لكلمة " كسلان ".

المبحث الخامس

وزن فعّالى

هذه الصيغة خاصة بكل ثلاثي ساكن الوسط، زيدت في آخره ياء مشددة

لغيرياء النسب أو تتوسي فيه معنى النسب (شرح المفصل، ج5: 59) مثل:

كرسى : كراسى.

قمرى : قمارى.

مهري : مهري.

ويحفظ سماعاً:

قبطى : قباطى.

مكاء : مكاكى.

وزن فعائل

هذا الوزن يكون للرباعي المجرد سواء أُلحقت به، أو لم تلحقه، وإذا كان زائداً، حذفت منه الزوائد: وإذا كان خماسياً مجرداً، حذفت خامسه (شرح المفصل ج 5: 38) مثل:

أ- الرباعي المجرد:

جعفر : جعافر.

جمجمة: جماجم.

برثن : براثن.

زبرج : زيارج.

قسطل : قساطل.

ب- الخماسي والرباعي المزيد:

عند ابن يعيش: يجب رد الخماسي إلى أربعة أحرف وذلك لأمرين هما (شرح المفصل ج 5، ص 39)

1- أن الجمع يسلم حتى ينتهي إليه. فلا يكون له موضع.

2- أن الحرف الأخير هو الذي أتقل الكلمة، فلولا الخامس ما كان الثقل، فلذلك حذفت.

أمثلة للخماسي والرباعي:

سفرجل : سفرج : سفارج.

دحارج : دحرج : دحارج.

فرزدق : فرزق : فرازق.

عنكبوت	:	عنكب	:	عناكب.
عندليب	:	عندل	:	عنادل.
خورنق	:	خوران	:	خوارن.

ملحقات فعائل

هناك أوزان تشابه فعائل، في الهيئة والحروف، لذا سميت ملحقات فعائل وهي:

مفاعل، أفاعل، أفاعيل، أفاعيل، وفعالول (المقتضب للمبرد، ج1:284)

أولاً - وزن مفاعل:

قال الراعي النميري:

"هن الحرائر لاربات أحمرّة"

سُودُ المحاجر لا يقرآن بالسُّورِ " (شعر الراعي النميري: 101)

فالشاهد في قوله: "المحاجر" حيث أتت جمعاً لكلمة "محجر" ومحاجر على

وزن مفاعل.

قال الأخطل:

"قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَازِرَهُمْ"

دُونَ النِّسَاءِ، وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ " (الأخطل: 23)

فالشاهد في قوله: "مازر" حيث أتت جمعاً على مفاعل مفرداً مئزر.

ثانياً - وزن مفاعيل:

قال امرئ القيس:

"يضىء سناه أو مصابيح راهباً ❖❖❖ مال السليط بالمدببال المقتل " (ديوان امرئ

القيس، ص 51).

فالشاهد في قوله: "مصابيح" حيث أتت جمعاً لكلمة مصباح، ومصابيح على وزن مفاعيل.

ثالثاً - وزن أفاعل:

قال عبيد بن الأبرص:

"قد أترك القرن مصغراً أنامله"

كان أثوابه مجّت بفرصاد " (عبيد بن الأبرص بدون / ت/ ط، : 64)
فالشاهد في قوله: " أنامل " حيث أتت جمعاً لكلمة أنملة على وزن أفاعل.
قال الأخطل:

"بضربة سيف، أو بنجلاء ثرة ❖❖❖ إذا نشجت، مجّت دماء الأباهر" (الأخطل: 282).
فالشاهد في قوله: الأباهر " حيث أتت جمعاً لكلمة أبهر على وزن أفاعل.

رابعاً - وزن أفاعيل:

1- قال تعالى: ﴿... تَلْكَ أَمَانِيَهُمْ ...﴾ (سورة البقرة . من الآية 111)

فالشاهد في قوله: " أمانِي " حيث أتت جمعاً لكلمة " أمنية " .

2- قال تعالى: ﴿... قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة النحل. من الآية 24)

فالشاهد في قوله تعالى: " أساطير " حيث أتت جمعاً لكلمة أسطورة.

خامساً - وزن مفاعيل:

عصفور : عصافير.

ميسور : مياسير.

موضوع : مواضيع.

مفتاح : مفاتيح

وفي هذا الوزن إذا كان ما قبل الآخر ألفاً أو واواً تقلبان ياء، لأن الحرف

الذي يلي ألف التكمير زائداً واواً أو ألفاً يقلب ياء (ابن السراج، ج3: 11).

الدراسة التطبيقية

الضرب الأول - المرفوعات:

أولاً - الفاعل:

1- قال تعالى: ﴿... تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 248).

ملائكة: جمع ملك، وأصله مألک، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام

فقيل: ملأك، ثم خفضت الهمزة بأن ألقىت حركتها على الساكن

قبلها فقييل: ملك، والجمع على ملائكة، وملائك بوزن فعائلة وفعائل
(لسان العرب: ماد " ألك " .)

2- قال تعالى: ﴿... وَقَالَتُ النَّصَارَى... (سورة البقرة: الآية 113)

النصارى: فاعل مرفوع بضمه مقدره منع من ظهورها التعذر.
نصارى: جمع نصراني، ونصارى على وزن فعالى.

3- قال تعالى: ﴿... مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ... (سورة البقرة - من الآية 102

(

شياطين: جمع شيطان من شطن، بوزن فعل، وشياطين على وزن
فياويل.

ثانياً - المبتدأ والخبر:

1- قال تعالى: ﴿... هِيَ مَوَاقِيْتُ... (سورة البقرة - من الآية 189)

مواقيت: جمع ميقات من وقت، وميقات أصلها موقات قلبت الواو إلى
ياء لسكونها بعد كسر، لكن في الجمع ردّ الواو
فأصبحت مواقيت على وزن مفاعيل.

2- قال تعالى: ﴿... تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ... (سورة البقرة - من الآية 111)

أمانى: خبر مرفوع.

أمانى: جمع أمنية، على وزن أفعيلة، وأمانى على وزن أفاعيل.

ثالثاً - النواسخ:

1- قال تعالى: ﴿... لَيْسَتْ النَّصَارَى... (سورة البقرة - من الآية 113)

النصارى: اسم ليس مرفوع بضمه مقدره منع من ظهورها التعذر.

رابعاً – التبعية:

1- قال تعالى: ﴿ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ... ﴾ (سورة البقرة - من الآية 210).

الملائكة: العطف على لفظ الجلالة.

2- قال تعالى: ﴿...إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ... ﴾ (سورة البقرة - من الآية 219) منافع: العطف على إثم.

منافع: جمع منفعة من الفعل نفع، ومنافع على وزن مفاعل.

الضرب الثاني - المنصوبات:

أولاً - المفعول به:

1- قال تعالى: ﴿...مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ... ﴾ (سورة البقرة - من الآية 114).

مساجد: جمع مسجد، اسم مكان من الفعل سجد، ومساجد على وزن مفاعل، وهو سماعي.

2- قال تعالى: ﴿...وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا... ﴾ (سورة البقرة - من الآية 128) مكرر في سورة البقرة: (200).

مناسك: جمع منسك اسم مكان من الفعل نسك، من باب نصر، ومناسك

على وزن مفاعل. وهو بالفتح والكسر (إملاء ما من به الرحمن ج7 ص 87). بالفتح قياسي، وبالكسر سماعي.

قال تعالى: ﴿وَأِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ... ﴾ (سورة البقرة - من الآية 127) قواعد: جمع قاعدة مؤنث، قاعد اسم فاعل من الثلاثي قعد، وهو أساس

كل شيء، وهو ما يقوم عليه البناء. وقواعد على وزن فواعل.

3- قال تعالى: ﴿...نَعْفِرُ لَكُمْ حَطَايَاكُمْ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 58) خطايا: مفردها خطيئة، وذهب الخليل بن أحمد والكوفيون إلى أن خطايا على وزن فعالي وحجتهم في ذلك أن أصلها: خطائي: قدمت الهمزة على الياء؛ وذلك لكي لا يؤدي إلى اجتماع همزتين وهذا مرفوض في كلامهم.

خطائي: أبدلوا الكسرة فتحت فأصبحت خطاءى.
خطاءى: أبدلوا الياء ألفاً فأصبحت خطاءاً.
خطاءاً: قلبت الهمزة إلى ياء لوقوعها بين ألفين فأصبحت خطايا بوزن فعالي (ابن الأنباري ج/2:804 - 805).

وذهب البصريون إلى أن خطايا على وزن فعائل، ومفردها خطيئة بوزن فعيلة، وعندهم اجتماع الهمزتين جائز.
ثانياً - الحال:

1- قال تعالى: ﴿...وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى...﴾ (سورة البقرة - من الآية 85).
أسارى: جمع أسير، على وزن فعيل، بمعنى مأسور، على وزن مفعول من باب ضرب، وأسارى على وزن فعالي.
ثالثاً - المستثنى:

1- قال تعالى: ﴿...لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي...﴾ (سورة البقرة - من الآية 78)
رابعاً - النواسخ:

1- قال تعالى: ﴿...وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 102)
الشياطين: اسم لکن منصوب.

خامساً - التبعية:

1- قال تعالى: ﴿...وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 177. مكرر في سورة البقرة 83، 215)

اليتامى: العطف على ذوي. المساكين العطف على ذوي.

2- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى...﴾ (سورة البقرة - من الآية 62.)

النصارى: العطف على الذين.

- قال تعالى: ﴿...إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾ (سورة البقرة - من الآية 111. مكرر في سورة البقرة: 135، 140)

نصارى: العطف على هود.

الضرب الثالث - المجرورات:

أولاً - حرف الجر:

أ - حرف (اللام):

1- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 30. مكرر في سورة البقرة: 34)

ب - حرف (من):

1- قال تعالى: ﴿...مِنَ الصَّوَاعِقِ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 19)

2- قال تعالى: ﴿...مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 158)

ت - حرف (على):

1- قال تعالى: ﴿...ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ...﴾ (سورة البقرة - من

الآية 31)

ث - حرف (إلى):

1- قال تعالى: ﴿...وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ...﴾ (سورة البقرة - من

الآية 14)

ج - حرف (في):

1- قال تعالى: ﴿...وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ...﴾ (سورة البقرة -

من الآية 187)

ح - حرف (عن):

1- قال تعالى: ﴿...عَنِ الْيَتَامَى...﴾ (سورة البقرة - من الآية 220).

الإضافة:

1- قال تعالى: ﴿...أَنْبَتَتْ سِنْعَ سَنَابِلٍ...﴾ (سورة البقرة - من الآية 261)

سنابل: مجرور بالإضافة وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة.

سنابل: جمع سنبل على وزن مفعلة، والأصل في ذلك سبل، وسنابل على وزن مفاعل.

ثالثاً - التبعية:

1- قال تعالى: ﴿...عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ...﴾ (سورة البقرة - من الآية

161. مكرر في سورة البقرة: 177، 285).

الملائكة: العطف على اسم الجلالة.

2- قال تعالى: ﴿...وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ...﴾

0 سورة البقرة - من الآية 83. مكرر في سورة البقرة: 215)

اليتامى: الجربالعطف على الوالدين، الكسرة مقدره منع من ظهورها التعذر.

المساكين: العطف على الوالدين.

الغاية

الحمد لله الذي باسمه يبدأ كل أمر ويختتم، وأحمده تعالى على ما هدى وأنعم، والصلاة والسلام على سيد العرب، والعجم، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ذوي المكارم والشيم، وبعد:

فضله تعالى قد اكتملت دراسة هذا البحث، فأرجو أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد قدمت خدمة للغة القرآن، ولدارسيها والمهتمين بشأنها.

الخلاصة:

قد قسمت هذا البحث إلى ثمانية مباحث :

الأول أتى لوزن فواعل، والثاني لوزن فعائل، والثالث لوزن فعالي. والرابع لوزن فعالي، والخامس لوزن فعالي، السادس لوزن فعائل السابع لوزن ملحقات فعائل والثامن للدراسة التطبيقية.

النتائج:

- (1) من أكثر الأوزان وروداً في سورة البقرة وزن ملحقات فعائل.
- (2) من أقل الأوزان وروداً في سورة البقرة وزن فواعل.
- (3) لقد خلت سورة من وزني: فعالي، وفعائل.
- (4) لقد اشتملت سورة البقرة على أكبر قدر من أوزان صيغ منتهى الحموع.

التوصيات:

صور للكثير من أبناء الأمة العربية أن لغتهم متخلفة وغير مواكبة؛ لذا ضعف اهتمامهم بها، وانصرفوا إلى العناية باللغات الأخرى، ظناً منهم بأنها مدخل لمصادر الرزق، ففشا اللحن بينهم في محافلهم، ومحاضراتهم دون أن يحسوا بالحرج، وحتى تتغير هذه الصورة المؤسفة، وتعاد للغة الثقة في نفوس أبنائها، يوصي الباحث بالتالي:

- (1) تشجيع الطلاب على ربط بحوثهم بالقرآن الكريم، وهي ساحة طيبة لمعيشة هذا الكتاب الذي هجره الكثيرون، ويجهله الأكثرون.
- (2) أن تهتم المؤسسات التعليمية بأن تكون اللغة العربية الفصحى لغة التخاطب في الجامعات والمعاهد العليا.

- (3) أن تهتم شعبة إعداد المناهج بوزارتي التربية والتعليم العام والعالي بمسألة وضع قواعد النحو في إطار وظيفته وأهميته، وبذا يتعلم طلابنا، الغرض الأساسي الذي من أجله وضع النحو؛ وذلك ليكون اللسان سليماً من الخطأ، وليس حفظ قواعد، ونظريات دون تطبيق اللسان.
- (4) تيسير تدريس قواعد اللغة العربية، واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة من: حاسبات آلية، وأفلام سينمائية، وتلفزيونية، وغير ذلك مما يساعد على الاستيعاب، ويشجع على استخدام اللغة الفصحى في الحياة العامة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- (1) أسرار العربية لابن الأنباري تحقيق: د. محمد بهجة البيطار. مطبعة الترقى بدمشق - 1377هـ - 1957م.
- (2) أسماء الجموع في القرآن الكريم د. محمد إبراهيم عبادة. الناشر: منشأة المعارف - الإسكندرية - بدون تاريخ طبعة.
- (3) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم د. عبد الفتاح لاشين. دار المريخ للنشر - الرياض - 1403هـ - 1983م.
- (4) إعراب القرآن للزجاج تحقيق ودراسة: إبراهيم الأبياري. دار الكتب الإسلامية - دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الثانية - 1402هـ - 1982م.
- (5) إعراب القرآن للنحاس زهير غازي زاهد. مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - طبعة ثانية - 1405هـ - 1985م.

- (6) الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم عبد الجواد الطيب - مكتبة الآداب - القاهرة - طبعة أولى - 1415هـ - 1994م.
- (7) إعراب القرآن الكريم وبيانه
محي الدين الدرويش، اليمامة، ابن كثير - 1408هـ - 1988م.
- (8) إملاء ما من به الرحمن للعكبري
- (9) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
دار إحياء التراث العربي - طبعة رابعة - 1380هـ - 1961م.
- (10) أوضح المسالك لابن هشام
تحقيق وضبط وشرح: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي
- دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طبعة سادسة - 1980م.
- (11) التصريح على التوضيح لخالد الأزهرى
دار إحياء الكتب العلمية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- (12) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه
تصنيف: محمود صايفي.
طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العلمية بدار الرشيد - دار رشيد - دمشق بيروت -
ط3 - بدون/ت/ط.
- (13) الخصائص لابن حني
تحقيق: محمد علي النجار - طبعة ثانية - 1371هـ - 1952م.
- (14) دراسات لأسلوب القرآن الكريم

- محمد عبد الخالق عزيمة - دار الحديث - القاهرة - بدون تاريخ طبعة.
- (15) ديوان أبي الأسود الدؤلي. صنعة: أبي سعيد الحسن السكري
تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين - مؤسسة ايف للطباعة والتصدير -
بيروت - ط1 - 1402هـ - 1982م.
- (16) ديوان الأخطل
شرح: راجي الأسمر - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - طبعة أولى -
1413هـ - 1992م.
- (17) ديوان امرئ القيس
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة - طبعة رابعة -
1984م.
- (18) ديوان حسان بن ثابت - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ طبعة.
- (19) ديوان الحطيئة. شرح: أبي سعيد السكري
دار صادر - بيروت - 1387هـ - 1967م.
- (20) ديوان طرفة بن العبد
تحقيق: كرم البستاني - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ طبعة.
- (21) ديوان عبيد بن الأبرص - دار صادر - بيروت - 1377هـ - 1958م.
- (22) ديوان الفرزدق
تحقيق وشرح: كرم البستاني - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ طبعة.
- (23) ديوان النابغة الذبياني
المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان - بدون تاريخ طبعة.
- (24) سر صناعة الإعراب لابن جني

- دراسة وتحقيق: د. حسن هندراوي - دار القلم دمشق - ط/2 - 1413هـ -
1993م.
- (25) الشامل لجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية
د. عبد المنعم سيد عبد العال - مكتبة غريب - الفجالة - بدون تاريخ طبعة.
- (26) شذا العرف في فن الصرف للحملاوي
ضبطه وشرحه ووضع فهارسه: د. محمد أحمد قاسم - المكتبة العصرية -
صيدا - بيروت - طبعة ثانية - 1422هـ - 2001م.
- (27) شرح ابن عقيل ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل
محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة دار التراث - القاهرة - 1420هـ -
1999م.
- (28) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى
المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان - طبعة أولى - 1968م.
- (29) شرح المفصل لابن يعيش - مكتبة المتنبئ - القاهرة - بدون تاريخ طبعة.
- (30) شعر الراعي النميري
دراسة وتحقيق: د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي - مطبعة المجمع العراقي
- 1400هـ - 1980م.
- (31) القرآن الكريم وآثره في الدراسات النحوية لعبد العال سالم مكرم
دار المعارف بمصر - بدون تاريخ طبعة.
- (32) الكتاب لسبويه
تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - طبعة أولى -
1411هـ - 1991م.
- (33) لسان العرب لابن منظور

دار صادر - بيروت - بدون - تاريخ طبعة.

(34) مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام

تحقيق وتعليق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله - مراجعة: سعيد الأفغاني - دار الفكر - بيروت - طبعة سادسة - 1985م.

(35) المقتضب صنعة: أبي العباس محمد بن زيد المبرّد

تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة الأستاذ بجامعة الأزهر.

(36) النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم

د. محمود سليمان الياقوت - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - 1991م.

الصورة الفنية في النص القرآني، أشكالها الجمالية، وأبعادها الدلالية (دراسة بلاغية - تحليلية)

د. عبد الحكيم أحمد سر الختم جيني

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي، المشارك بجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

السودان

ملخص

إن النص القرآني يعتمد على فنون من القول، تكتمل من خلالها الصورة، فتصبح واضحة الغرض، قوية التعبير، لا تقف عند حدود الصورة البلاغية المحددة، بل يمتد ذلك إلى آفاق أرحب.

وقد جاء هذا البحث الموسوم بـ (الصورة الفنية في النص القرآني، أشكالها الجمالية، وأبعادها الدلالية، دراسة بلاغية - تحليلية) لتحقيق أهداف وغايات أهمها: الكشف عن بعض خصائص الصورة الفنية في النص القرآني، وما لها من دور في إبراز المعاني والمضامين، التي يرمي إليها القرآن الكريم، وذلك من خلال أعمال آليات البلاغة العربية، التي كثيراً ما تتهم بأنها قواعد جافة ليس باستطاعتها التواصل مع النص وتحليله تحليلاً تطبيقياً.

وبما أن طبيعة هذا البحث لا تسمح باستيعاب جميع آليات الصورة الفنية في النص القرآني، فقد اقتصرنا الدراسة على آليات بعينها، يُستطاع من خلالها الكشف عن الدور الذي تقوم به الصورة الفنية في النص القرآني، وما تتضمنه من أشكال جمالية، وما تحققه من أبعاد دلالية، وقد تمثلت تلك الآليات في صور التشبيه، والاستعارة، والكناية، تلك الأساليب البلاغية التي تميز الخطاب التصويري في النص القرآني، بلونها وحركتها وإيحائها وتجسيدها وتشخيصها، وهذا ما لا يوجد في كلام البلغاء والفصحاء قاطبة.

ولتحقيق أهداف وغايات البحث، فقد اعتمدنا فيه المنهج الوصفي التحليلي، بالانكفاء على أدوات التحليل البلاغي، فجاء المبحث الأول بعنوان: المعاني الدلالية للصورة الفنية التشبيهية، والثاني: المعاني الدلالية للصورة الفنية الاستعارية، أما الثالث

فقد جاء تحت عنوان: المعاني الدلالية للصورة الفنية الكنائية، وقد سُبقت تلك المباحث بمقدمة، ودُيلت بخاتمة اشتملت على نتائج وتوصيات ومراجع عامة. فكان من أهم النتائج: أن الصورة الفنية في النص القرآني تنهض بأسلوب رصين متنوع، وهي تتركز على أبعاد تُعنى بالإيضاح والدلالة، وتعمق الأداء، فتلقي بظلالها على المتلقي فتحرك وجدانه، وأن الصورة الفنية داخل النص القرآني تتشكل في مستويات دلالية وألوان مختلفة، ما يجعلها تتجاوز المستوى السطحي لدلالة النص إلى معانٍ أعمق وآفاقٍ أرحب.

مقدمة:

إن القرآن قد أوتي الإقناع المنطقي الملزم، وهو في ذلك لا يتجه بحديثه إلى الفكر وحده فيلزمه الحجة، بل يتجه كذلك لغزو الشعور والوجدان، وبعث كوامن العواطف؛ ليتهيأ المتلقي لانجذاب نفسي يدفعه لاعتناق أشرف المبادئ وأحكم المثل، إذ المعرفة وحدها لا تكفي للانجذاب والتأثير.

وقد اتجه القرآن للتأثير الوجداني بعد الحجة المضنعة؛ ليغزو مناطق الشعور الإنساني بتصويره، كما غزا مناطق التفكير العقلي بحججه، فجاء الخطاب التصويري في القرآن آية الآيات في الروعة والإعجاز، فقد صور القرآن المعاني الذهنية في صور حية، والحالات النفسية في مظاهر حركية، كما أجاد في التشخيص الفني، فخلع الحياة على بعض المواد الجامدة، فجعلها ذات انفعال وتفكير وعاطفة (ينظر محمد رجب البيومي، 1971م، ص 86، 78).

والصورة لغة: الشكل والتمثال، وهي خيال في الذهن، وهي مشاهد يمكن إدراكها إدراكاً حسيّاً. واصطلاحاً: هي الصورة الأدبية التي يعتمد في إخراجها على الوسائط البيانية، وهي تعد بتشكيلها ومكوناتها مرتكزاً دلاليّاً، ووسيلة فعالة من وسائل الإيضاح (مجمع اللغة العربية، 2004م، 1/548).

إن التصوير تعبير بالصورة المحسنة عن المعنى الذهني، وهو خاصية أسلوبية ينفرد بها القرآن الكريم الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم - بأنّه: "حبلُ الله

المتين، والذكر الحكيم، والنور المبين، لا يَشَع منه العلماء، ولا يَخْلُق على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تَفنى عجائبه" (الإمام مسلم، 2006م، 123/7)

والصورة الفنية في القرآن، تمثل وجهاً من وجوه إعجازه البياني، يُعد الشهيد سيد قطب أول من استخدم مصطلحه في العصر الحديث، لاسيما في كتابيه: (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) فقد جعل سيد قطب التعبير بالصورة أداة واضحة مفضلة في الأسلوب القرآني (ينظر قطب، 2004م، ص32).

إن مكونات الصورة الفنية وتشكيلها داخل النص القرآني يزيد المعاني إجلالاً ووضوحاً، وبما أن النص القرآني بنية دلالية تعنى بالإيضاح والإبانة فالصورة الفنية فيه - بإمكاناتها - لها أثر كبير في إنتاج نص أسلوبي رصين، فهي قادرة على تجاوز المعنى السطحي الدلالي للنص، وهي فوق ذلك تعمق الأداء الدلالي، بما لها من تأثير على المتلقي، فالتصوير يهب الفكرة وضوحاً وقوة ويزيدها تأثيراً في نفس المخاطب بالالتجاء إلى الخيال المصور؛ من أجل ذلك كان موضوع هذا البحث الموسوم بـ (الصورة الفنية في النص القرآني، أشكالتها الجمالية، وأبعادها الدلالية، دراسة بلاغية - تحليلية؛ ليحقق أهداف أهمها:

- 1- ترسيخ الدرس البلاغي التطبيقي بدراسة أشكال وأبعاد الصورة الفنية النص القرآني؛ لمعرفة الدور الذي تنهض به.
- 2- إثبات جدارة البلاغة وفعالية آلياتها في تحليل الدرس البلاغي بدقة وضبط منهجي، يُمكن التواصل مع النص.
- 3- البرهان على مقدرة البلاغة العربية وفعاليتها التواصلية في النصوص التطبيقية؛ للانعتاق من المفهوم الخاطئ الذي يصور البلاغة بأنها قواعد جافة دون روح ولا معنى.
- 4- الوقوف على البنى التصويرية في النص القرآني، باعتبارها أحد الأدوات المفضلة فيه.
- 5- الكشف عن الأبعاد الدلالية والنفسية والمعنوية للصورة الفنية في النص القرآني.

ويمكن صياغة مشكل البحث في الأسئلة التالية:

1- كيف تتشكل آليات الصورة الفنية في النص القرآني؟ وما هي خصائصها؟ وما الدور الذي تهض به؟

2- هل تكفي الصورة الفنية في النص القرآني بإلصاق صورة بصورة على نحو عقلي يجمع بين الصورتين؟ أم لا بد من ارتباط نفسي جامع تتجذب له مناطق الإحساس؟

3- بم تتميز الصورة الفنية في النص القرآني؟ وما مقوماتها؟ وسيتبع في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي، بالاعتماد على أدوات التحليل البلاغي واللغوي، باعتبارها عناصر تكاملية داخل السياق.

وبما أن طبيعة البحث لا تسمح باستيعاب كل آليات الصورة الفنية، فقد وقع الاختيار على آليات بعينها، متمثلة في التشبيه، والاستعارة، والكناية، بإيراد نماذج من أي الذكر الحكيم، تتمثل فيها الصورة الفنية، عن طريق الآليات المختارة، دون الدخول في تعريفات وتقسيمات نظرية.

فإن يكن الباحث قد وفق، فتلك نعمة من الله تعالى، وإن تكن الأخرى، فحسبه أن أخلص النية، ويمم وجهه شطر الصواب، وما التوفيق إلا من عند الله {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (سورة البقرة الآية: 286).

المعاني الدلالية للصورة الفنية التشبيهية

يمثل التصوير بالتشبيه عنصراً جوهرياً في التركيب القرآني، تختار ألفاظه بدقة مصورة موحية، في مقدرة فائقة، وهو دليل المعاني المحتجبة في الأشياء، يبرزها ويكشف عنها ويصورها، "فيأتي من الشيء الواحد بأشياء عدة، ويشق من الأصل الواحد أغصاناً، في كل غصن ثمر" (الجرجاني، 1979م، ص 106 - 107).

إن الصورة في التشبيه القرآني ذات قدرة فائقة على إقامة حوار بين المتلقي والنص، تدعو المتلقي وتحفزه، وذلك بقدرتها على إخراج الخفي إلى جلي، وتقريب البعيد من القريب، وهذا دور التشبيه الدلالي ومزيمته المتمثلة في إخراج الغامض إلى الظاهر مع حسن التأليف ووقوع حسن البيان.

والصورة في التشبيه القرآني فوق ذلك، وسيلة من وسائل التهذيب والتربية، والتبشير والإنذار، والترغيب والترهيب، والتزيين والتقبيح، والقوة والضعف، والهداية والضلال، والتعظيم والتحقير، إلى غير ذلك. ويمكن في هذا المبحث عرض طائفة من النماذج التصويرية الواردة عن طرق التشبيه، يتجلى فيها الدور الكبير الذي تقوم به هذه الآلية في النص القرآني.

تأتي الصورة التشبيهية في النص القرآني منسجمة مع الطبيعة، فتظهر الأمور المعنوية حسية مؤثرة في النفس البشرية، بما لها من أثر في تصوير المعاني المحتجبة في الأشياء، وبما لها من أثر في توضيح الغامض، وتقريب البعيد، وتجليه المعنى، وبيان الأثر النفسي والمعنوي. فقد وردت صور قرآنية لتشبيهات تصويرية رائعة، ذات قيمة فنية عالية.

منها في مجال الترغيب، تصوير الأعمال الصالحة ومضاعفتها، فقد جاءت صورة الإنفاق في سبيل الله، في قوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (سورة البقرة الآية 265) حيث صوّرت النفقة في زكاتها عند الله تعالى، ومضاعفتها بصورة بستان، ليس بستاناً عادياً، إنما هو بريوة مرتفعة، ذات أشجار حسنة باسقة، أصابها وابل، مطر نافع، فأتت أكلها بسبب هذا الوابل، فإن لم يؤكّن وابلًا، فمطر صغير القطر يكفيها، وما ذلك إلا لكرم منبتها. وقد جاءت هذه الصورة الفنية مجتمعة من أشياء تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئاً، فصورت بصورة أخرى مثلها، وكلاهما زاكية عند الله تعالى، زائدة في زلفى أولئك المنفقين وحسن حالهم عند الله تعالى (الجوزية، 1327هـ، ص119).

ومثلها في المعنى والدلالة، قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (سورة البقرة، الآية: 261) ترغيب للمؤمنين في الإنفاق في سبيل الله بكل وسائل الترغيب والإغراء، فالمال المنفق، وإن كان قليلاً، فهو يضاعف بإذن الله ممثلاً تمثيلاً حياً بصورة يشاهدها المخاطبون أمام أعينهم، فهم يضعون الحبة الواحدة في الأرض، فإذا بها تتضاعف فتصير مائة حبة، وقد يتضاعف الناتج بإذن الله، بفضل الإخلاص في العمل، والله واسع عليم.

ولما كان الترغيب من وسائل تربية المجتمع، فقد وصف القرآن الكريم النساء وجمالهن الخلقي والنفسي، داعياً إلى حفظ النسل والعفة والابتعاد عن المحظور، والوقاية من الأخطار وحفظ العورات، من أجل ذلك جاء تصوير النساء كأنهن لباس للرجال، وتصوير الرجال باللباس لهن، فكل منهما مشتمل على الآخر، حافظاً له، قال تعالى: {أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (سورة البقرة الآية: 187) صورة تشبيهية، من شأنها الترغيب في الزواج، والدعوة إلى المحافظة على الروابط الأسرية، وحفظ النوع الإنساني، إذ حياته كحياة الأرض، كما قال تعالى: {نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ} (سورة البقرة الآية: 223).

وفي الحث على الجهاد وتماسك الصف الإسلامي، جاء التصوير في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} (سورة الصف، الآية: 4) تصوير للمقاتلين في سبيل الله، في تماسكهم وقوة إيمانهم، ووقوفهم ضد عدوهم، بالبنيان الذي رصف وورص بعضه إلى بعض، وكلمة (مرصوص) لها من الدلالات ما يفيد الاحتراس؛ لأن البنيان إن لم يوصف بوصف يفيد الاحتراس، قد يكون آيلاً للسقوط، فهذه الكلمة أفادت قوة البنيان، وشدة تمسكه وإحكامه، كأنما بني بالرصاص (ينظر الأصفهاني، 1412هـ، ص 196).

وصورة معبرة أخرى، غنية بمدلولاتها، داعية إلى تماسك الصف الإسلامي كذلك، وهي قوله تعالى: {وَمَثَلُهُمْ فِي الْبَنِيانِ كَزَرْعٍ أُخْرَجَ شَطَأُهُ فَأَزْرَهُ فَأَسْتَعْلَظَ

فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} (سورة الفتح الآية: 29) فقد تمثل الإسلام في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد صور في صورة الزرع، والزرع تحيا به النفوس، كما تحيا النفوس بالإسلام الذي تم نموه وكمل انتشاره، كما يتم ويكتمل تطور الزرع، ووجه الشبه هنا، هو التدرج في النمو، والتحول من القلة إلى الكثرة، والزرع لحسنه ونضارته يعجب الزراع ويفيظ الكفار.

وهذه صورة الكلمة الطيبة، جاءت رائعة في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} (سورة إبراهيم، الآيات: 24- 26) فهاتان صورتان تشبيهيتان، الأولى للكلمة الطيبة، والثانية للكلمة الخبيثة، فالأولى شجرة تهيأ لها أسباب السقاية والنمو، التربة خصبة، سقيها منتظم، جذورها ضاربة، أصولها ثابتة، وفروعها نامية، باسقة تلامس السماء، ثمرها دائم، تؤتيه كل حين بإذن ربها. هكذا تأتي الصورة في القرآن الكريم، فهو حينما يصور أمراً معنوياً طيباً، وعملاً إنسانياً صالحاً، وكلمة طيبة صادقة، يجد في الطبيعة صورة تشبيهية لهذا المعنى، فالشجرة الطيبة النامية الراسخة الظليلة خير مثال على ذلك.

أما الصورة الثانية، فهي أمر معنوي خبيث، يلائم شجرة خبيثة، أُبيدت بمجرد ظهورها على سطح الأرض، فلم تتم، ولم تضرب جذورها في الأرض. وهنا تظهر دلالة التصور والغرض منه، وهو إظهار ما يترتب على الكلمة الطيبة من المنافع الكثيرة التي لا تحصى، وهذا ما دلت عليه الصورة الأولى، أما الصورة الثانية فدلالته على خلاف الأولى، وهي سبب لإدخال صاحبها النار.

ذلك دور الصورة التشبيهية في مجال الترغيب، أما دورها ودلالاتها على الترهيب، فيتجلى واضحاً في وصف الدنيا ونعيمها الزائل، في مثل قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا} (سورة الكهف الآية: 40) فقد صورته الدنيا الفانية، بحال النبات في نضرتة وجفافه وإذراء الرياح له وتفرقه في كل مكان، فلا ينتفع به، صورة مركبة منتزعة من متعدد، من الاغترار بالشيء ومظنة دوامه

والتهالك عليه، ثم زواله وانقضاؤه فجأة كأن لم يكن، فقوله تعالى: (مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) مشبه، وهو معنى معقول موجود في الذهن، وقوله تعالى: (كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ) مشبه به، وهو معنى محسوس موجود خارج الذهن، وقد اجتمع المعنيان في الزينة والبهجة، ثم الهلاك والزوال. والدلالة هنا تشبيه العباد إلى أن كل ما في الحياة الدنيا من نعيم مصيره إلى فناء وزوال، كما أن نبات الأرض مآله إلى هلاك وبوار. وفي هذا تحذير من الاغترار بنعيم الدنيا وزينتها. ومثله قوله تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنُ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (سورة يونس الآية: 24) وقوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (سورة الحديد الآية: 20) فقد اجتمع في هذه الآية المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعد ذلك، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تنكر، فالكل فأن حقيق وإن طالبت مدته، صغير وإن كبر قدره، هذه صورة الدنيا وهي تسحر الناس وتشيرهم بما فيها من نعيم ومتاع، وتخدعهم بما فيها من زخرف، فيغرقون في ملذاتها، ثم يدركون بغتة قصرها وسرعة انقضائها، تماثل صورة الأرض، ينزل الغيث عليها، فيعشب ويحسن نباتها، ويروق منظرها للناظر، فيغتر بها، ويظن أنه قادر عليها، فتدركها الآفات بغتة، فتصبح كأن لم تكن، فيخيب ظنه، وهكذا حال الدنيا ومن يثق بها ويركن إليها، والتصوير في هذه الآية أحسن موقعا، وأبلغ معنى من جميع ما وصف به حال الدنيا وميل النفوس إليها (البغدادي، 1987م، ص91).

"وهذه الآيات جميعها قد اشتركت في معنى عام، وهو تشبيه الدنيا بما أنزله الله من السماء، فأحيا الأرض بعد موتها، فاكتملت واخضرت ودبت على ظهرها الحياة،

وحالف الحظ أقواماً فأخذوا من حطامها ونعيمها فبذت في أعينهم عروساً فاتتة، وظنوا أنهم قد أخضعوها لأغراضهم ورغباتهم، فبينما هم كذلك أتاهم أمر الله فدمرها تدميراً كأن لم يكن لها وجود سابق، ووجه الشبه هنا سرعة الفناء بعد الإقبال والتملك" (عبد العظيم إبراهيم المطعني، 1992م، 2/248).

وفي التهيب من الشرك بالله، جاءت الصورة التشبيهية في قوله تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} (سورة الحج الآية 31) لتصور الإيمان وعلوه في السماء، وتصور الذي يترك الإيمان ويشرك بالله "بصورة من سقط من السماء، والأهواء وهي توزع أفكاره، صُورت بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطيح به في وادي الضلال صور بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة" (الزمخشري، 2009م، 3/32).

وهذه صورة أخرى، مستمدة من معتقدات العرب، صورة الضال عن طريق الإسلام، التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه فلا يلتفت إليهم قال تعالى: {قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ اثْبَتَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِّرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (سورة الأنعام الآية: 71) أي كالذي ذهب به مردة الجن والغيلان في الأرض حيران تائهاً ضالاً عن الجادة، لا يدري كيف يصنع.

وتأتي صور الأصنام، ضعيفة، ليست قادرة على شيء، محققة للضعف في أعلى صورته، جاءت في مثل قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة النحل الآية: 75) فقد نفى عن العبد قدرته على شيء، وأثبت له الرق، وقارن صفته هذه المتناهية في الضعف بمن من الله عليه بجلال النعم من حرية تجعله حر التصرف محرر الإرادة، ورزق حسن ينفقه على المحتاجين، وهو لا يخاف مالاً يحجر عليه فهو ينفق منه سرّاً وجهراً. وهل تستوي العبودية مع الحرية؟ والعجز مع القدرة؟ والغنى مع الفقر؟

وحين نفى عن أحد الرجلين قدرته على الكسب مطلقاً، أثبت له صفة البكم، ثم قارن بينه وبين من هو طلق اللسان، يأمر بالمعروف، وهو على صراط مستقيم، ثم نفى أن يكون بين الرجلين شبه، جاء ذلك في قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (سورة النحل الآية:76) فما كان في غاية العجز فهو الأصنام، وما كان في غاية القوة فهو الله.

وهذه صورة ثالثة للأصنام، تمثلت في قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة الزمر الآية:29) صورة من يعبد آلهة شتى، يدعي كل واحد منهم عبوديته، ويتغالبوا في ذلك، ويبقى العابد متحيراً ضائعاً، لا يدري أيهم يعبد، وعلى ربوبية أيهم يعتمد، وممن يطلب رزقه؟ فهمه مشاع، وقلبه أوزاع، "فهل يستوي حال هذا الحائر مع حال من يعبد إلهاً واحداً، فهو قائم بما كلفه به، عارف بما أرضاه وما أسخطه، متفضل عليه في عاجله وآجله؟" (الزمخشري، 2009م، 98/4) اضطراب وقلق وحيرة وتشتت، وذلك مثل الكافر.

وهذا تصوير ساقه الله للمشركين من أنفسهم، فهم لا ينكرونه، وهو مقارنة حال الأصنام مع خالقها وخالق مادتها بحال المملوكين مع مالكيهم، وهذه الصورة تعتمد على تشبيهه ضمني، قياسه من الواقع، يصور ضعف الأصنام، قال تعالى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (سورة الروم الآية:28) يقول لهم: هل لكم ممن تملكون من الأرقاء شركاء في ما رزقناكم وملكته أيمانكم، فأنتم وهم متساوون في الملكية والتصرف، وإذا تصرفتم في شيء منه دون إذنهم خفتهم من مساءلتهم لكم على هذا التصرف، كما يخاف بعضكم بعضاً إذا تصرف واحد منكم في ما يملكه غيره؟ فالمشركون لا شك

ينكرون أن يكون هذا حالهم مع حال مملوكيهم، وإذا تقرر ذلك عندهم، فكيف يثبتون لله سبحانه شركاء فيما خلق؟.

ومثله قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (سورة العنكبوت الآية:41) تصوير لمن جعلوا ولايتهم لغير الله، فاتخذوا أرباباً من دونه، في جهلهم وغباثتهم، واعتمادهم على المهلهل الضعيف الذي لا يمكن أن يحميهم، بصورة العنكبوت وهي تتخذ من النسيج الرقيق الذي تصنعه بيتاً، وما أوهنه من بيت، فهو لا يسترو ولا يمنع، ولا يرد حرّاً ولا برداً، وكذا كل معبود من دون الله، ووجه الشبه هنا مركب، وهو التهاافت والضعف، في حين اعتقاد القوة والمنعة، بسبب الجهل والغباء (ينظر وليد قصاب، 2000م، ص155).

وصورة أخرى، توضح حال أولئك الكفار وهم مخدوعون إذا رجوا من أصنامهم خيراً، فالعابد يرفع حاجته إلى معبوده راجياً منه العطاء، والكافرون مخدوعون إذا رجوا من أصنامهم خيراً، فهي لا تسمع ولا تبصر، ولا تفقه شيئاً، ولا تملك فتعطي، صُوروا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشراً أصابعه، فلم تلق كفاه منه شيئاً، ولم يبلغ طلبه من شربه، قال تعالى: {لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} (سورة الرعد الآية:14) تصوير في غاية الروعة، ماء في دائرة كف بسطها صاحبها ليشرب، فلم يبلغ فمه منه شيء، وما وجد إلا الحسرة والندم وشدة الظمأ، وقد اجتمع في هذه الآية المشبه والمشبه به في الحاجة إلى نيل المنفعة والحسرة.

وفي تصوير أحوال المنافقين، جاء قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} (سورة الرعد الآية:14) تصوير لحالهم بحال المستوقد؛ لأنهم تخبطوا في الظلمة، وتورطوا في الحيرة، وبما أن المنافقين ليست لهم إضاءة أبداً، فهم حائرون متخبطون في ظلمات الكفر،

فقد صور ما استضاءوا به قليلاً من خلال كلمة النفاق الجارية على ألسنتهم، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة، ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله، وظلمة العقاب الأبدي، فهؤلاء لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، جاء هذا التصوير؛ ليصور ما باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، ويصور الضلالة التي اشتروها، وطبع بها على قلوبهم، بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات. وفي تصوير حال اليهود جاء قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (سورة الجمعة، الآية: 5) وذلك باعتبارهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها، ولكنهم غير عاملين بها، ولا منتفعين بآياتها، ولم يؤمنوا بها؛ لذلك صوروا في حالة كونهم حفظوا التوراة ولم ينتفعوا بشيء منها، وحرموا أنفسهم من خيرها بحالة الحمار يحمل كتباً علمية قيمة، يجد التعب من حملها، يمشي بها ولا يدري ما فيها من المنافع. ووجه الشبه: هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه.

وفي التحذير من إبطال الصدقات بالمن والأذى، جاءت الصورة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (سورة البقرة، الآية: 264) فبذل المال في وجوه الخير له صورتان تشبيهيتان متقابلتان بحسب المتصدقين، فالذين يتبعون صدقاتهم بالإيذاء نتيجة حبهم للتظاهر، يشبهون في عملهم بالحجر الصلب، الذي غطته طبقة خفيفة من تراب، فنزل عليه المطر الغزير الذي يخصب الأرض، ولكنه لم يفعل شيئاً بالحجر، إلا أنه أزال عنه التراب ليعود صلداً أملساً. أما عمل المؤمنين في صدقاتهم يشبهه بجنة فوق ربوة عالية ينزل عليها المطر المغدق فتزداد خصوبتها، بل إنها ليست بحاجة إلى المطر الغزير فيكفيها القليل لتزدهي بخضرتها (ينظر محمد مصطفى هدارة، 1989م، ص46).

ومثلها قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (سورة النور الآية: 39) فأعمال الكافرين هذه الآية الكريمة شبهت بالسراب الذي يراه الناظر فيحسبه ماء، وإذا علق عليه الآمال، وأراد أن يروي ظمأه، وأقبل مسرعاً إليه، لم يجده شيئاً، بل أسلمه ذلك إلى مواطن الهلاك والضياع، وكذلك الكافر يقدم نحو عمله راجياً أن ينفعه فلا يجده شيئاً، بل يجد الهلاك في مقام كان يتوقع فيه النجاة.

ومنها التحذير من الإنفاق على غير الوجه المطلوب، ومخالفة الأصول الشرعية للإنفاق، قال تعالى: {أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (سورة البقرة الآية: 266) تصوير للذي يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله، فيجيء يوم القيامة فيجدها محبطة، فيتحسر حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان فبلغه الكبر، وله ذرية ضعفاء، يأمل أن تكون الجنة معاشهم، فهلكت بالصاعقة. فالواقعة إذن مفاجئة، لم تكن هناك فرصة للإنقاذ، والرجل شيخ كبير، والذرية ضعفاء.

وهذه صورة أدبية أخرى، رائعة، موفية بالغرض، تصور خبايا النفس الإنسانية والحيوانية، وكيف تلتقيان، تصوير ضلال من أتته آيات الله فكذب بها، وانسلخ منها، بحال كلب حقير، يقول سبحانه: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا} (سورة الأعراف الآيات: 175-

176) هذه صورة الكافر، لا يطيع بالإيمان على رفق ولا على عنف، قرنت بصورة الكلب في أحس أحواله وأذلها، وهي حالة دوام اللهث واتصاله به، سواء حمل عليه فطرد، أو ترك ولم يطرد، صورة في غاية الخسة والضعف.

وهاتان صورتان متقابلتان، أخرى تصور الحق وأهله، والثانية تصور الباطل واضمحلاله، قال تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} (سورة الرعد، الآية: 17) تصوير رثع، الحق وأهله ماء ينزل من السماء، فتسيل به الأودية، فيحيا بها الناس ويتنعمون، وذلك مثل الفلز الذي يُنتفع به في صناعة الحلي والأواني المختلفة، وأن ذلك ماكث في الأرض باق، فالماء تبقى آثاره، والجواهر تبقى أزمنة طويلة. أما الباطل فصورته في سرعة اضمحلاله وزواله، صورة زبد السيل، وزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب. ودلالة ذلك التصوير هنا، أن الحق ثابت، وهو كثير النفع، والباطل زائل، ليس له قرار، ضل من تمسك به (الزمخشري، 2009م، 6/2).

وهذه صورة لمصير قوم ثمود، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ} (سورة القمر الآية: 31) تصوير لهم بعد هلاكهم، بأنهم كهشيم المحتظر، وقد وصف الهشيم بأنه هشيم المحتظر؛ ليفيد معنيين، الأول: أن الكوارث حلت بهم جميعاً فتساقطوا بعضهم فوق بعض، وهكذا يكون الهشيم في الحظيرة. والمعنى الثاني: أنهم أصبحوا وقوداً للنار تسرع فيه إذا اشتعلت؛ لأن هشيم المحتظر أكثر جفافاً من الهشيم الأخضر.

وهاتان صورتان أقرب للصورة السابقة، فقد صور القرآن الكافرين حين أخذهم الله بعقابه العاجل بأنهم أعجاز نخل، وذلك في موضعين، الأول: قوله تعالى: {فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} (سورة الحاقة الآية: 7) والثاني: قوله تعالى: {تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ} (سورة القمر الآية: 20) صورة مفزعة، اشترك فيها المشبه والمشبه به في قلع الريح وإهلاكها، فكانوا يتساقطون على الأرض أمواتاً، جثث طوال عظام، كأنهم أعجاز نخل منقلع عن مغارسه؛ "لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجساداً بلا رؤوس، فالآية إذن صورة مدممة مخيفة، الريح صرصر مصوتة بأصوات مزعجة، وفي يوم نحس لا بركة فيه ولا خير، وهو مستمر على الشؤم" (الزمخشري، 2009م، 149/3).

والغرض من هذا التصوير في الآيتين: أنهم أبيدوا من أصلهم فلم تبق لهم باقية، فالأعجاز خاوية في آية سورة الحاقة، والنخل منقعر في آية سورة القمر، وقد حرص القرآن في الموضعين أن يصف الأعجاز وصفاً متمماً للصورة؛ وذلك لأن أعجاز النخل قد تكون قوية إن لم تكن خاوية أو لم يكن النخل منقعراً.

وصورة أخرى ترسم مآل الكافرين وما يتصل بطعامهم وشرابهم، فتضع كل كلمة في مكانها، قال تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ❖ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ❖ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ} (سورة الدخان الآيات: 43- 44 - 45 - 46) يصور الحق تعالى طعام الأثيم بالمهل، ثم يصفه بأنه يغلي في البطن، ثم شبه عليه بغلي الحميم، ذلك العرق المتصبب، فبئس قوم هذا طعامهم، وهذا مصيرهم إذا طلبوا النجاة منها أجيبوا بما يزيدهم حسرة وندامة، أجيبوا بماء حار ساخن {وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوْا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} (سورة الكهف، الآية: 29).

وإذا كانت شجرة الزقوم طعام الأثيم، فقد صورها القرآن الكريم، قال تعالى: {طَلَعَهَا كَأَنَّهٗ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} (سورة الصافات الآية: 65) فيا للهول وسوء المنقلب، حتى شكل الطعام مخيف، ومذاقه علقم، وإذا كان هذا طعامهم، فقد شربوا عليه شرب الهيم.

ومن الصور التشبيهية الرائعة، التحذير من نقض الإيمان والعهود، قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ❖ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (سورة النحل الآيتان: 91 - 92) فقد خاطب الله العرب بما هو مألوف لديهم من الصور المشبه بها في الآية الكريمة، فنقض العهد معلوم أنه يؤدي إلى الإفساد، والتي تنقض غزلها لا عقل لها ولا رشاد؛ لذا جاء التحذير بهذه الصورة لأنها ذات أثر نفسي.

المعاني الدلالية للصورة الاستعارية:

ليس الهدف هنا التعرض للاستعارة من حيث التعريف والتقسيم، إنما الهدف توضيح الدلالات والمعاني الكامنة خلف الصور الاستعارية، التي تدل على تناسي التشبيه، وتخيل صورة جديدة تُتسي روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور؛ مبالغة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصور المشاهدة، وبث الحياة والنطق في الجماد، وتجسيم الأمور المعنوية وإبرازها.

وإن كان دور الصورة الاستعارية في النصوص الأدبية كبيراً، فإنه في القرآن الكريم يؤدي وظيفة جليلة من التوسع في أنواع التعبير، تُختار فيها الكلمات الوافية بحق المعنى المصورة له تصويراً حسيماً يؤدي إلى التقرير والإيضاح، فهي أصدق أداة، تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المنظر للعين، وتقل الصوت للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محساً.

من هذه الصور الاستعارية، قوله تعالى: {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} (سورة الكهف، الآية: 99) تصوير بديع، يرسم للخيال صورة هذا الجمع الحاشد من الناس، احتشاداً لا تدرك العين مداه، حتى يصير كالبحر في حركة تموجه واطرابه، وهذا ما توحى به كلمة يموج.

ومنها قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (سورة الإسراء، الآية: 24) فقد استعير الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل إلا من خفض الجناح؛ "لأن من ميل جانبه إلى جهة السفلى، صدق عليه أنه خفض جانبه، والمراد بالخفض لصق الجنب بالإبط، ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالمطائر" (الزركشي، 1988م، 3/433) ودلالة الصورة الاستعارية هنا، جعل ما ليس بمرئٍ مرثياً، ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين، بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما شيئاً، أحتيج من الاستعارة ما هو أبلغها، وهذا تصوير نابض بالحركة، وراءه الترغيب والتهذيب، وفيه تربية نفسية تتمثل في احترام الذات؛ لأن من احترام والديه لاشك يحترم نفسه، ويحترم كل كبير (ينظر فتحي أحمد عامر، 1976م، ص 407).

ومن الصور الاستعارية، كذلك، قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} والصبح إذا تنفس} (سورة التكوير، الآيتان: 17- 18) حركة تصويرية تشخيصية رائعة، الليل شاخص له طول وعرض، يجري مديراً، والصبح في أعقابه شاخص أيضاً، وقد بدأ يفيق من كابوس الظلام، ويأخذ أنفاسه رويداً رويداً، فتتنفس معه الحياة كلها. وفي هذا التصوير، تنويه بشأن قدرته تعالى في تصريف الكواكب وتديير أمرها، وفيه تقرير لمن خص الكواكب بالعبادة واتخذها من دون الله أرباباً.

وهذه صورة أخرى، مادية محسوسة، يمتزج فيها الخوف بالرجاء، والأمل بالألم، يقف المسلمون منها موقف التأمل والتدبر، قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (سورة آل عمران الآية: 103) فقلوه: اعتصموا، أي تمسكوا بأمر الله وعهده إليكم، وفي هذا استعارة معهودة في كلام العرب، فيها نصح وإرشاد. وفي الشق الثاني من الاستعارة (كنتم على شفا حفرة) تصوير دال على أن سوء العمل زل كزلة القدم يؤدي إلى الهلاك.

وفي قوله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً} (سورة الفرقان الآية: 23) صورة استعارية ذات أثر نفسي عميق، "فحقيقة (قدمنا) أي عمدنا، واستعمال كلمة (قدمنا) في الآية الكريمة أبلغ، ودلالاتها أشمل وأعم، فالمعاملة هنا معاملة قادم من سفر لمن أمهلهم ثم قدم فرأهم على خلاف ما أمرهم، وفي ذلك ما لا يخفى من التحذير من الاغترار بالإمهال" (فتحي أحمد عامر، 1974، ص100) وحتى يشند الأمر، ويصعب الكرب، لم يجعله هباءً فحسب، بل جعله منثوراً، ليفيد ذهاب أعمالهم من الأساس. فقد "مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ومن على أسير، وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم، بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقدم إلى أشياءهم وقصد إلى

ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً ولا عثيراً" (الزمخشري، 2009م، 94/3).

ومن الصور الاستعارية البديعة قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (سورة الحجر، الآية: 94) فالتصدع من الصدع، والأصل فيه الشق في الأجسام الصلبة، قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ حَشْيَةِ اللَّهِ} (سورة الحشر الآية: 21) وقال تعالى: {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ} (سورة الطارق الآية: 11) فدلالة الصدع في الآية: الأمر بالتبليغ، واستعماله هنا أبلغ؛ لما له من تأثير، كتأثير صدع الزجاج، وهذه الكلمة، كلمة (اصدع) توحى بما سيكون من أثر لهذه الدعوة الجديدة، لأنها ستشق طريقها إلى القلوب، وتحدث في النفوس أثراً قوياً.

ومن جمال التصوير بالاستعارة، قوله تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (سورة الأعراف، الآية: 126) فهذا تعبير تصويري، يثير في النفس طمأنينة، يحس بها من هدأ جسمه بما يلقي عليه من ماء، وهذه الراحة تشبهها تلك الراحة النفسية، التي ينالها من منح هبة الصبر الجميل، وهذا يوضح دقة الأسلوب القرآني في استخدام الألفاظ المستعارة، فعند حديثه عن الصبر، يستعمل كلمة (أفرغ) الموحية باللين والرفق، فإذا جاء العذاب، استخدم كلمة (صب) في مثل قوله تعالى: {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} (سورة الفجر، الآية: 13).

ويكثر في الأسلوب القرآني، استعمال الكلمات الموضوعية للأمور المحسوسة للمعقول المعنوي، فيصير كأنه ملموس مرئي، في مثل قوله تعالى: {وَأِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ} (سورة آل عمران، الآية: 187) فكلمة (نبذوه) في هذه الآية توحى بمعنى الإهمال والاحتقار؛ لأن الذي يُنبذ وراء الظهر إنما هو الحقير المهمل.

ومن تلك الصور الموحية أيضاً، قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ} (سورة فصلت الآية: 39) إذ الخشوع التذلل والتناصر، وقد استعير هنا لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها، كما وصفت

بالمهود في قوله تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ} (سورة الحج، الآية: 5).

وهذا خلاف وصفها بالاهتزاز والربو إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات، كأنها بمنزلة المختال في زيه (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ) وهي قبل ذلك كالذليل كاسف البال، في الأطمار الرثة، وهذا من بدائع الصور الاستعارية، حيث شبهت الأرض اليابسة الجرداء بصورة رجل بائس مسكين جلس علي قارعة طريق، يستجدي إحسان المحسنين، وفي ذلك تناسق فني في التعبير والأداء، تأمل لفظ الخشوع والاهتزاز والنمو والانتفاخ للأرض اليابسة الجرداء، وكيف تصبح بعد نزول الماء وكأنها عروس فاتنة تزينت بأبهى حلل الزينة وهي تميمس طرباً وتختال عجباً فتخرج للناس من أنواع النبات والزهور والثمار ما يدهش الأبصار.

ومن دلالات الصور الاستعارية أيضاً، قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً} (سورة الفرقان الآية: 53) حيث جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه. شبه كل واحد من البحرين بمن يتعوذ من صاحبه ويقول له: حجراً محجوراً، وهي كقوله تعالى: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ} (سورة الرحمن الآية: 20) أي لا يبغي أحدهما علي صاحبه بالمازجة.

وفي قوله تعالى: {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورٌ} ❖ تَكَادُ تَمَيُّزٌ مِنَ الْغَيْظِ} (سورة الملك الآيتان: 7- 8) تشخيص وتجسد للأمور المعنوية، وبيث الحركة والحياة فيها، فالشهييق في الآية الكريمة قد استعير للصوت المرتفع الفطيع، وهما لفظان والشهييق لفظ واحد، فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان. ولفظ (تميز) استعير للفاعل (تشقق) من غير تباين، فالاستعارة هنا أبلغ؛ لأن التميز في الشيء هو كون كل واحد منهما مبيناً لغيره مخالفاً له، فهو أبلغ من الانشقاق؛ لأن الانشقاق قد يكون في الشيء دون تباين.

واستعارة الغيظ لشدة الغليان أبلغ وأوجز على المعنى المراد؛ لأن مقدار شدته على النفس مدرك بالحواس، ولأن الانتقام الصادر عن الغيظ يقع من المغتاز على قدر غيظه، وفي ذلك بيان عجيب وزجر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة. والمعنى البلاغي في الشهيق، قبح الصوت الذي يؤدي إلى شدة الهلع والذعر، وفي الغيظ ما يدعو إليه من فظاعة الانتقام، وفيها زجر أي زجر، ووعظ أي وعظ، ودليل أي دليل على أن الخاق واسع القدرة، عزيز الانتقام. "فهذه الصورة متحركة، شخست الجماد ناطقاً، وأبرزته إبراز مغتاز محقق، استبدت به شهوة الحقد، فهو يكاد يتمزق من مرارة الكراهة، يريد أن يشفي غليله بمن كذبوا وفعلوا الأباطيل" (فتحي أحمد عامر، 1974م، ص101).

وهذه صورة استعارية أخرى، تمثلت في قوله تعالى: {بَلْ تُقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} (سورة الأنبياء الآية: 18) فمعنى الآية: بل نورد الحق على الباطل فيذهب، والقذف هنا مستعار، وهو دليل على القهر، فالحق يلقي على الباطل فيزيله على جهة القهر. أما كلمة (يدمغه) ففيها استعارة أيضاً، وهي أبلغ من كلمة (يذهب) لما فيها من التأثير والقوة. والتصوير في هذه الآية، جعلها تتحول إلى صورة حسية من القذف والدمغ؛ لأن كلاً منهما محسوس ملموس، فالحق الذي هو معنى حين يقذف به يصبح آلة للقذف، والباطل الذي هو معنى كذلك، حين يقذف يصبح زاهقاً، وهذا صراع بين الحق والباطل بما توحيه كلمة (القذف) من قوة يهبط بها الحق على الباطل، وهذا ما أفادته كلمة (يدمغه) التي صورت المعركة التي تشب بين الحق والباطل.

وصورة نفسية أخرى، مستقاة من التصوير الاستعاري، صراع نفسي بين الموت والبقاء، وبين حب الغنيمة والخوف من الحرب، فقد تهيأ النبي - صلى الله عليه وسلم - للقتال، وفريق من المؤمنين يكرهون ذلك، تمثل ذلك في قوله تعالى: {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} (سورة التوبة، الآية: 7) فاستعارة لفظ (الشوكة) يبنى

على أنهم خافوا من اللقاء، وطمعوا في الغنيمة، وفي ذلك دلالة على الضعف النفسي، والخوف من الموت، وفيه دلالة أخرى، وهي فائدة اللقاء، فالقوة لا ترتدع إلا بالقوة.

ومن صور الاستعارة كذلك، قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ} (سورة الأعراف الآية: 153) "فقد صُور الغضب هنا بإنسان ثائر يقذف الحمم من لسانه، ويضرب ويبطش ويصول ويجول، كأن الغضب كان يغربه علي ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجر برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء" (أبو السعود العمادي 301/2) وهذا على سبيل الاستعارة المكنية، حيث يحذف المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو السكوت، وفي هذا مبالغة، بتزييل الغضب الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزل الأمر بذلك المغربي.

ومنها قوله تعالى: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا} (سورة آل عمران، الآية: 112) أى شملتهم الذلة، وفي هذا التصوير الاستعاري دلالة على تثبيت ما حصل لهم من الذلة، كما يثبت الشيء بالضرب عليه، وفي ذلك زجر لهم وتفسير من حالهم، وتمكن للذل والتصاقه بهم وملازمته لهم (ينظر الرماني، 1976م، ص 83 - 84).

ومن الصور الاستعارية ذات الدلالة المعبرة أيضاً، قوله تعالى: {أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً} (سورة الحجرات الآية: 12) تصوير للمفتاب وهو يأكل لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك، حتى جعله لحم الأخ، أي أخ؟ إنه أخواً ميتاً، وفي ذلك مناسبة شديدة؛ لأن الاغتياي إنما هو ذكر مثالب الناس، وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مناسب لأكل الإنسان لحم من يفتابه، وأكل اللحم فيه تمزيق لا محالة، ومعلوم أن أكل لحم الإنسان مستكره، إلا أنه لا يكون مثل كراهة أكل لحم الأخ، وهذا القول مبالغة في الاستكراه، وقوله ميتاً؛ فلأن المفتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها (ينظر الجوزية، 1327هـ، ص 127).

وفي قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (سورة النحل الآية: 112) تصوير استعاري رائع، فالإذاقة واللباس

استعارتان، والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، وقد جرت الإذاقة مجرى الحقيقة لشيوعها في الشدائد وما يمس الناس منها، فقد صور ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من الطعم المر. أما اللباس فقد شبه به ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث؛ لاشتماله على اللابس. وإيقاع الإذاقة علي لباس الجوع والخوف؛ لأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل: "فأذاقهم ماغشيه من الجوع والخوف" (الزمخشري، 2009م، 346/2) وذلك تصوير لأثر الجوع والخوف بالتحافة والاصفرار والضعف، وضررها المحيط بأهل القرية بالباس بجامع الإحاطة في كل، فالجوع والخوف محيطان بهما إحاطة اللباس بلباسه. وفائدة الإذاقة أنهم وجدوا طعمها المر وأحسوه كما يحس المتذوق طعم ما ذاقه من مأكول أو مشروب، وهذا دلالة على التهكم حيث جعل طعامهم وشرابهم جوعاً وخوفاً، وأوقع عليهم الإذاقة (ينظر عبد الفتاح لاشين، 1982م، ص183).

ومنها تصوير حال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه، إذ يقول سبحانه: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (سورة الاعراف الآية: 157) فهذه صفة من صفاته - صلى الله عليه وسلم - فهو بعد أن أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، يضع عنهم الأمور الشاقة التي كانت تأصروهم وتثقل كواهلهم، والأغلال التي كانت تكبلهم من الحركة وحرية التصرف، وهذه نعمة عظيمة. والمراد بالإصر والأغلال التكاليف الشاقة، كقتل النفس عند التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة. فالآية فيها تصوير استعاري رائع، حيث شبهت هيئة القوم وما هم فيه من تكاليف شاقة بهيئة قوم ينوؤون بأثقال وأحمال، وقد قيدوا في السلاسل والأغلال، فجاء رجل وخلصهم مما هم فيه وفك أغلالهم. وكلمة (يضع) الواردة في الآية الكريمة، معناها اللغوي الحط، وهي تستعمل لحامل شيء قد أنزله، وقد استعملت هنا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، حيث شبه إزالة الإصر والأغلال وإعفائهم من كثير من الأعمال الشاقة بالوضع، بجامع ما يترتب على كل من الراحة وإلقاء العناء، والقرينة هنا حالية. أما

الإصر في اللغة فهو عقد الشيء وحبسه وقهره، واستعماله في الآية الكريمة على طريقة الاستعارة التصريحية الأصلية، بجامع ما يترتب على كل من المشقات وقهر النفس بالعناء. وقد زاد روعة التصوير الترشيح له باستعارة أخرى في كلمة (يضع) وفي ذلك تهيئ للنفس للبعد بالمستعار عن معناه الحقيقي؛ لأن الحمل يوضع حقيقة، فهو من ملائمات معنى المجاز، وهذا يفيد التقوية والتأكيد (ينظر النسفي، 1998م، 60/2). وهذه صورة استعارية أخرى، في قوله تعالى: { وَأَتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (سورة الاعراف الآية: 157) حيث شبه القرآن الكريم بالنور، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، بجامع الهداية والإرشاد، وقوله تعالى: أنزل معه، قرينة لفظية، وهذه من أبلغ أنواع الاستعارة، وهي التي يكون الشبه فيها مأخوذاً من الصور العقلية، يقول الجرجاني: "واعلم أن هذا الضرب من المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفننها وتصرفها" (الجرجاني، 1979م، ص 45).

ومن الصور الاستعارية أيضاً قوله تعالى: { الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (سورة البقرة الآية: 27) فأصل النقض فسخ تركيب الشيء الحسي كالحبل والبناء، وقد استعمل ذلك في نقض العهد بطريق الاستعارة المكنية، فقد شبه تعالى العهد بالحبل المفتول إذا نُقضت أوصاله، وحذف المشبه به وهو الحبل، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النقض، على سبيل الاستعارة المكنية، وقد سوغ استعمال النقض في إبطال العهد من حيث تسمية العهد بالحبل على سبيل الاستعارة؛ لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين.

ومن الصور الاستعارية، قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا } (سورة مريم، الآية: 3) فكلمة (اشتعل) لا تقف عند معنى انتشر فحسب، بل تحمل ديبب الشيب في الرأس في بطفه وثبات، كما تدب النار في الفحم في دأب واستمرار، حتى إذا تمكنت اشتعلت في قوة، لا تبقى ولا تذر، وفي

إسناد الاشتعال إلى الرأس ما يوحي بهذا الشمول الذي التهم كل شيء في الرأس، فقد شُبه انتشار الشيب وكثرته بشواظ النار المشتعلة، وذلك في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار، ثم اشتق من الاشتعال "اشتعل" علي سبيل الاستعارة المكنية التبعية الرائعة، فما أبدعها من استعارة "ولو قال: شاب شعر رأسي، لما كان في ذلك الإبداع البياني الرائع" (الجرجاني، 1979م، ص45).

ومن بديع الصور الاستعارية، قوله تعالى: {وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} (سورة يس، الآية: 36) فكلمة (نسلخ) تصور للعين انحسار الضوء، عن الكون قليلاً قليلاً، وديبب الظلام إلى هذا الكون في ببطء، حتى إذا تراجع الضوء، ظهر ما كان مختفياً من ظلمة الليل، فسلخ جلد الشاة كشطه وأزاله، فاستعير ذلك لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل، فقد صور القرآن الليل والنهار وشبههما بشاة لها جلد يستر لحمها، فإذا نزع الجلد عن الشاة بدأ فيها اللحم، وكذلك الليل والنهار ستر ولباس، فإذا نزع الثوب وأزيل بدت ظلمة الليل الحالك، وهذه صورة بديعة صورها القرآن الكريم ببيانه المعجز، وهذا إبداع فني رائع جاء عن طريق الاستعارة المكنية، حيث استعار الشاة لليل والنهار ثم حذف المستعار وأتى بشيء من لوازمه وهو السلخ، فيالها من استعارة بديعة.

ومنها قوله تعالى: {حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَكُفَّ عَنْهَا قُلُوبَهُمْ} (سورة البقرة، الآية: 7) فالكفار قطع من البهائم لا تفقه ولا تعقل، قلوبهم في حجب كثيفة قد طبع عليها، فلا يدخل إليها إيمان، وكأنهم صم لا يسمعون، وعمي لا يبصرون. ولما كانت القلوب غير واعية، والأسماع غير مستفيدة من الكلام الخير الذي تسمعه، جعلت بمنزلة الأشياء المختوم عليها ختماً حسياً، وذلك عن طريق التصوير الاستعاري التمثيلي.

وفي قوله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (سورة الصف الآية: 8) نجد تصويراً رائعاً، فقد صورت حال هؤلاء بحال من ينفخ في نور الشمس ليطفئه، وفي هذا استعارة تمثيلية، جاءت مصورة لحال الكفار

بأبلغ الأساليب وأبدعها، فالله تعالى قد صور حال هؤلاء الأعداء لدين الله بصورة جماعة حمقى مجانين، أرادوا أن يطفئوا نور الشمس بأفواههم الصغيرة الحقيرة، فهل يؤثر ذلك علي الشمس الساطعة اللامعة؟ كلا، إن كيدهم ذاهب، وعملهم خائب، ولهذا قال تعالى: (والله متم نوره ولو كره الكافرون) وهذا غاية في الإبداع والتصوير لموقف الكفرة المشركين من دين الإسلام (ينظر محمد علي الصابوني، 2006، ص348- 349).

ومنها قوله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا} (سورة الفرقان الآية:23) صورت الآية حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ومن على أسير، وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم، بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أسيئاتهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها.

ومنها قوله تعالى: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} (سورة طه الآية: 71) فقد صور تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه. "فالتصوير هنا يوحي إيحاء واضحاً بأن جذوع النخل صارت كأنها أوعية لهم، وتمتكنة منهم أشد التمكن، ودلالة ذلك، شدة وثاقهم بالجذوع، وشدة الغضب عليهم، وقوة دافع الانتقام منهم، وبهذا تتناسق الآية مع السياق الذي يتفجر بروح الغضب والحقد" (محمد موسى، 2006، ص236).

ومنها كذلك قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى} (سورة البقرة الآية: 5) فمعنى الاستعلاء في قوله: "علي هدى" مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به، فقد شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه، فالتصوير في هذه يوحي بتمكنهم من الحصول على الهداية التامة.

ومنها صورة الترشيح والتجريد، وهي من أبلغ الفنون البلاغية البديعة التي تبلغ بالاستعارة الذروة العليا، كقوله تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} (سورة البقرة الآية:16) فشرء الضلالة بالهدى قد

جاء تصويراً استعارياً في معنى الاستبدال، وذكر الريح والتجارة، كأن ثم مبايعة على الحقيقة، وهذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالاستعارة الذروة العليا، فقد تساق كلمة مساق الاستعارة ثم تُقضى بأشكال لها وأخوات، فتكون أحسن ديباجاً، وأكثر ماء ورونقاً.

ومنها كذلك قوله تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جَرْفٍ هَارٍ فَانهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} (سورة التوبة، الآية: 109) "حيث جعل الجرف الهائر استعارة عن الباطل، بمعنى فطاح به الباطل في نار جهنم، ثم رشحت الاستعارة فجيء بلفظ (الانهيار) الذي هو للجرف؛ ليصور أن المبطل كأنه أسس بنياناً علي شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو في قعرها، وهذا أبلغ وأدل على حقيقة الباطل وكنه أمره" (الزمخشري، 2009م، 173/2).

المعاني الدلالية للصورة الكنائية:

الكناية من الأساليب البيانية الراقية، تعطي الحقيقة مصحوبة بدليلها وفي طياتها برهانها، وتضفي على المعنى حسناً وبهاءً، ليس ذلك في المعنى المكني له، وإنما في إثبات ذلك المعنى للذي ثبت له. وهي مصدر كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به، وهي "ما فهم من سياق الكلام من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة، كأن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورادفه في الوجود فيوميئ إليه ويجعله دليلاً عليه" (الجرجاني، 1994م، ص40).

للكناية دور كبير ووظيفة في القرآن الكريم، فهي "تقوم بنصيب وافر في تصوير المعاني، فتجعلها حية راسمة مصورة موحية، وحيناً مؤدبة مهذبة، تتجنب ما ينبو على الأذن سماعه. وحيناً موجزة، تنقل المعنى وافياً في لفظ قليل، لا تستطيع الحقيقة أن تؤدي المعنى كما أدته في المواضع التي وردت فيها" (أحمد بدوي طبانة، 1370هـ، ص173).

فمن الصور الكنائية ذات المعاني الدلالية في القرآن الكريم، قوله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (سورة البقرة الآية: 24) "فقد اشترط في اتقاء النار اتقاء إتيانهم بسورة مثله؛ لأنهم إذا لم يأتوا بها، وتبين عجزهم عن المعارضة، صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا صح عندهم صدقه، ثم لزموا العناد، ولم ينفادوا، ولم يشايعوا، استوجبوا العقاب بالنار، فقبل لهم: إن استبنتم العجز فاتركوا العناد، فوضع (فاتقوا النار) موضعه؛ لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد، من حيث أنه من نتائجه؛ لأن من اتقى النار ترك المعاندة، ونظيره أن يقول الملك لحشمه: إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي، يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط، وفي هذا إيجاز وتهويل لشأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه، وإبرازه في صورته، مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفضيع أمرها" (الزمخشري، 2009م، 50/1).

ومن دلالة التصوير الكنائي وفوائده، أنه قد يكون مظهراً لشرف المكني وتعظيمه، كما أن العكس وهو التصريح، قد يكون مظهراً للتفسير عن المكني عنه وتحقيره، تأمل قوله تعالى: {وَلَكِن لَّا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ} (سورة البقرة، الآية: 235) صورة كنائية لطيفة عن الجماع، وهي من الآداب التي ينبه إليها القرآن الكريم، ألتا نتحدث في كلامنا باللفظ الصريح الفاحش، بل نستعمل الكناية في كلامنا، ولهذا قال ابن عباس: اللمس والمس بمعنى الجماع، ولكن الله تعالى حيي كريم يكني.

ومثله قوله تعالى حكاية: {قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} (سورة مريم الآية: 20) فقد جعل المس كناية عن النكاح الحلال، كقوله تعالى: {أَوَلَمْ نَسْتُمِ السَّاءِ} (سورة النساء، الآية: 43) فكنى بالملامسة والمباشرة والإفشاء والرفث والدخول والسر. والزنا ليس كذلك، إنما يقال فيه فجر بها، وخبث بها، وما أشبه ذلك، ولا تراعى فيه الكنايات والآداب.

ومنها قوله تعالى: {وَرَبَّائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} (سورة النساء الآية: 23) فقوله: دخلتم بهن، كناية عن الجماع، كقولهم: بنى عليها، وضرب عليها الحجاب، والمعنى أدخلتموهن الستر.

ومنها كذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} (سورة الأحزاب الآية: 49) حيث لم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد؛ لأنه في معنى الوطاء، من باب التصريح به، ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة، والمماساة والقربان والتغشي والإتيان (سورة الرحمن، الآية: 56).

ومن صورها أيضاً، قوله تعالى: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنِ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَكَا جَانٌّ} (سورة الرحمن، الآية: 56) فقصر الطرف فيه تصوير للمظهر المحسوس لخلعة العفة، ولو أنه استخدم عفيفات، ما كان في الآية هذا التصوير المؤثر، ولا رسم أولئك السيدات في تلك الهيئة الراضية القانعة، التي لا يطمحن فيها إلى غير أزواجهن، ولا يفكرن في غيرهم (ينظر أحمد أحمد بدوي طبانة، 1370هـ، ص 173).

ومنها لفظ الحجرات في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} (سورة فصلت الآية: 4) فورود الآية على هذه الصورة الكنائية، إكبار محل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووصف للصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه، فلفظ الحجرات هنا قد جاء كناية عن موضع خلوته - صلى الله عليه وسلم - ومقيله.

ومن دلالة التصوير الكنائي كذلك، قوله تعالى: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا} (سورة يوسف الآية: 31) فقوله: متكاً، أي طعاماً، كقولك: اتكأنا عند فلان، على سبيل الكناية؛ لأن من دعوته ليطعم عندك، تتخذ له متكاً يتكى عليه.

ومن الصور الكنائية البديعة، قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} (سورة المنافقين، الآية: 6) لَوَّأَ رُؤُوسَهُمْ: أي عطفوها وأمالوها، وفي هذه التصوير يكمن موقفهم النفسي، ورفضهم العرض: (تعالوا يستغفر لكم الرسول) "وهذا موقف أومأت إليه العبارة، وفتحت الطريق نحوه، فهذه صورة أعناقهم ورؤوسهم وهي تميل وتتعطف فور سماع هذا العرض، وفي ذلك رفض وكفر وسخرية وغيظ وامتهان، وهذه كلها معان ودلالات وراء هذه الصورة" (محمد أبو موسى، 1993م، ص370).

ومن الرفض المشوب بتلك المعاني النفسية، المتكئة على الصورة الكنائية، قوله تعالى: {فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ} (سورة الإسراء، الآية: 51) أي يميلونها تلك الإمالة المنطوية الاستجهاال وعدم الالتفات. وكذلك قوله تعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} (سورة الدخان، الآية: 26) صوة كنائية لعدم التنبه لموتهم والاهتمام والعناية بهم.

ومن هذا المعنى التصويري الكنائي، قوله تعالى: {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (سورة البقرة، الآية: 174) {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (سورة آل عمران، الآية: 77) كنايةان عن الإهمال وعدم الالتفات.

ومنها قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} (سورة الإسراء الآية: 29) صفتان معنويتان في الآية الكريمة، هما: البخل والتبذير، ولكن القرآن الكريم لم يذكرهما بالاسم، بل عبر عنهما بالكناية، وفي ذلك تصوير محسوس لهذه الخصلة المذمومة في صورة قوية بغيضة منفرة، فهذه اليد التي غلت إلى العنق، لا تستطيع أن تمتد، وهذا رسم لصورة البخل الذي لا يستطيع يده أن تمتد بإنفاق ولا عطية. كما أن التعبير ببسط اليد كل البسط، يصور صورة هذا المبذر الذي لا يبقي من ماله على شيء، وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قوياً مؤثراً (ينظر محمد حسين الصغير: 116).

ومنه قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} (سورة المائدة، الآية: 64) فقد أرادوا أنه - سبحانه عز وجل - بخيل، فعبروا عن ذلك بهذه الكناية، وقد رد عليهم القرآن مقاتلهم، وشاكل كلامهم بما يناقضه، فقال: {بل يداه مبسوطتان} (سورة المائدة، الآية: 64) كناية عن صفة العطاء والكرم. ومن التصوير الكنائي، قوله تعالى: {أَوْ مَن يُنْشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} (سورة الزخرف، الآية: 18) فهذه صورة أبرزت في المرأة أحوال معينة، وصفات التقطت، وهي ذات دلالة مهمة في السياق، منها الإشارة إلى الضعف والعجز عن مواجهة المواقف، ومنها أن النعومة والرخاوة ليست من أوصاف الرجال الذين أعدوا للمواجهة وتعمير الأرض. "وفي بناء لفظ (يُنْشَأُ) للمجهول إمعان في نفي الفاعلية والتأثير" (محمد أبو موسى، 1993م، ص419).

ومنها كذلك قوله تعالى: {تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِن غَيْرِ سُوءٍ} (سورة طه الآية: 22) "فمعنى السوء: الرداءة والقبح في كل شيء، وقد كني بها هنا عن البرص، كما يكني عن العورة بالسوءة، وهذا من أحسن وألطف كنايات القرآن وآدابه، وأحزها للمفاصل" (الزمخشري، 2009، 431/2).

وعن سفينة نوح - عليه السلام - جاءت الصورة الكنائية في قوله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} (سورة القمر، الآية: 13) أي سفينة محكمة بالدرسر والألواح، وفي ذلك ملاءمة لسياق الموقف الصعب الذي أحاط خطره واشتمل على كل حي، وتتكبير كلمة ألواح يوحي بالتنوعية والعظيمة.

وفي تصوير هول يوم القيامة جاء قوله تعالى: {يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} (سورة الحج، الآية: 2) فتأمل ما وراء ذهول المرضعة عن طفلها الذي ألقمته ثديها، وتأمل هذا الهول الذي يحيط بالكافة، فيشمل كل مرضعة، لا تشذ عنه واحدة على اختلاف الطبائع في الشعور بالأمن والفرح، واختلاف قوة غريزة الأمومة وطغيانها أو اعتدالها.

وهذه صورة كنائية عن الغيظ والحسرة، جاءت في قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} (سورة الفرقان الآية: 27) فعض اليمين والأنامل، والسقوط في اليد،

وأكل البنان، وحرق الأسنان وقرعها، كل ذلك كناية عن الغيظ والحسرة؛ لأنها من روادفها، فيذكر الرادف ويدل بها على المردوف، وفي هذا تصوير بديع، يرتفع بالكلام إلى طبقة الفصاحة، فيجد السامع في نفسه روعة واستحسان ما لا يجده إذا صُرح بلفظ المكني عنه، كما جاء تقليب الكفين صورة كنائية للندم والتحسر في قوله تعالى: {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا} (سورة الكهف الآية:42) لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن.

ومن صورها، قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّن نُّقَبِّلَ نُوبُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} (سورة آل عمران الآية:90) فقد كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة، وفي ذلك فائدة جليلة، تتمثل في التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار، وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة.

وقوله تعالى: {أَسْرٍ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} (سورة القمر الآية:7) فقد جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف، لأن من يلتفت لابد له في ذلك من التوقف وإن قليلاً. ومنها الأمر بتطهير النفس مما يستغذر من الأفعال ويستهج من العادات، كقوله تعالى: {وَيَثَابَكَ فَطَهَّرْ} (سورة المدثر الآية:4) "كما يقال: فلان طاهر الثياب، وطاهر الجيب والذيل والأردان، إذا وصفوه بالنقاء من المعاييب ومدانس الأخلاق، وفلان دنس الثياب للغادر؛ وذلك لأن الثوب يلبس الإنسان، ويشتمل عليه، فكنى به عنه ألا ترى إلى قولهم: أعجبنى زيد ثوبه، كما يقولون: أعجبنى زيد عقله وخلقه، والغالب أن من طهر باطنه ونقاه، عنى بتطهير الظاهر وتنقيته" (الزمخشري، 2009م، 4/156).

خاتمة:

يمكن إيراد النتائج التي توصلت إليها الورقة البحثية في النقاط التالية:

1. أن النص القرآني بنية دلالية، تلعب الصورة الفنية فيها دوراً كبيراً في تشكيله وإنتاجه، وهي تجمع بين الصفة الجمالية والغرض الدلالي الديني، وتزيده إجلالاً ووضوحاً.

2. إن الصورة الفنية تعبير بالصورة المحسنة عن المعنى الذهني، وهي وسيلة فعالة من وسائل الإيضاح الدلالي، تعنى بالإيضاح والإبانة، وتعمق الأداء بما لها من تأثير على المتلقي وتحريك لوجدانه.
3. إن الصورة القرآنية قادرة على تجاوز المعنى السطحي الدلالي للنص إلى معاني أعمق وآفاق أرحب.
4. إن الصورة التشبيهية في النص القرآني، تمثل وجهاً من وجوه الإعجاز، فتخاطب الوجدان بلغة فنية جميلة، تقرب المعنى إلى العقل، وهي وسيلة للإقناع، تعتمد في تكوينها وتصويرها على الأساس النفسي.
5. إن الصورة الاستعارية في النص القرآني ذات أبعاد دلالية معبرة، تحول الكلمات من المعنى المجرد إلى الصورة المحسوسة المتخيلة، وهي ذات مستويات فنية تتضافر وتتكامل لإخراج النص القرآني في أبهى حله.
6. الصورة الكنائية في النص القرآني تأتي منسجمة مع حالة المخاطب النفسية فيقبلها ويتفاعل معها.
7. التصوير بالكناية في النص القرآني يعد من أكثر أساليب التصوير روعة وجمالاً، يأتي منسجماً مع حالة المخاطب النفسية، وهو أبلغ من التصريح؛ لإثباته الدعوى بالأدلة والبراهين، ولبعده عما يخدش الذوق ويقلل الحياء.

توصيات:

يوصي الباحث بالمزيد من دراسات البيان القرآني المعجز، بالتحليل الذي يكشف عن جمال الأسلوب، وروعة التصوير

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، 1997م، تفسير التحرير والتوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، 1327هـ، الفوائد المشوق لعلوم القرآن وعلم البيان، مطبعة السعادة، مصر.

- أحمد بدوي طبانة، 1370هـ، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري 1427هـ-2006م، صحيح مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- البغدادي، عبد الله بن الحسين، 1407هـ-1987م، الجمان في تشبيهات القرآن، بيروت، لبنان.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، 1399هـ-1979م، أسرار البلاغة، مكتبة القاهرة، القاهرة.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، 1415هـ-1994م، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، 1412هـ، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، بيروت.
- الرماني، علي بن عيسى بن علي، 1976م، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، القاهرة.
- الزركشى، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1408هـ-1988م، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، مصر.
- الزمخشري، محمد بن عمر، 2009م، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- سيد قطب، إبراهيم حسن الشاذلي، 1425هـ-2004م، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة.
- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، 1413هـ-1992م، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة.
- عبد الفتاح لاشين السيد، 1982م، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، مصر.

- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، بدون، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فتحي أحمد عامر، 1976م، المعاني الثانية في القرآن الكريم، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر.
- فتحي أحمد عامر، 1974- 1975م، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة.
- مجمع اللغة العربية، 1425هـ 2004م، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
- محمد حسين علي الصغير، 1999م، أصول البيان العربي، الشئون الثقافية، العراق.
- محمد رجب اليبومي، البيان القرآني، 1391هـ 1971م، سلسلة البحوث الإسلامية، دار النصر للطباعة، مصر.
- محمد علي الصابوني، 1426هـ 2006م، الإبداع البياني في القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- محمد محمد أبو موسى، 1413هـ 1993م، التصوير البياني، مكتبة وهبة، مصر.
- محمد مصطفى هدّارة، 1409هـ 1989م، في البلاغة العربية، علم البيان، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- النسفي، عبد الله بن أحمد أبو البركات، 1419هـ 1998م، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت.
- وليد قصاب، 1421هـ 2000م، في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار القلم للنشر والتوزيع، سوريا.

الإدارة الأموية للمدينة المنورة

د. عبد الحكيم حسن إبراهيم سيد أحمد - أستاذ مشارك

كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا

تتبع أهمية المدينة المنورة من أنها أول حاضرة للدولة الإسلامية التي أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إليها من مكة اثر المضايقة التي تعرض لها المسلمون من قبل الكفار فكانت دار الهجرة الثانية بعد الحبشة، كما أنها حضنت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين. ثم أنها أضحت مركزاً لأول جماعة إسلامية منظمة.

الدراسة محاولة للوقوف على النظم الإدارية التي أقامها الأمويون بالمدينة المنورة بعد نقلهم للعاصمة والثقل السياسي منها لدمشق بالشام وأثر ذلك عليها، وهل حافظت المدينة على نفس المكانة التي تمتعت بها في العصرين النبوي والراشدي.

تتناول الدراسة النظم الإدارية المختلفة التي أقامها الأمويون بعد قيام دولتهم سنة 41هـ/661م، ثم الوقوف على الوضع الإداري الذي تميزت به المدينة المنورة باعتبارها أول حاضرة للدولة الإسلامية وانتقال العاصمة منها يمثل أول ظاهرة في الدولة الإسلامية وبالضرورة هذا الأمر ترك آثاراً عديدة علي المدينة المنورة، وهنا نقف على الجوانب الإدارية التي تمثل اللبنة الأولى لقيام أي دولة ناشئة.

الدراسة محاولة للوقوف على نوع النظم الإدارية التي أقامها الأمويون عند قيام دولتهم خاصة بعد اتساعها شرقاً وغرباً، ومدى استفادتهم من الشعوب الجديدة التي دخلت في الإسلام في النواحي الإدارية والتنظيمية.

التعريف بالدولة الأموية:

تتسبب الأموية إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الذي كان سيداً من سادات قريش في الجاهلية، كان أمية منافساً لعمه هاشم بن عبد مناف علي الرئاسة والشرف، لما جاء الإسلام وقف بنو أمية موقف عداء منه في البداية، وبعد أن دخلوا فيه أصبحوا من أشد المدافعين عنه. (بطانية: 1999: 23).

تطلع بنو أمية للخلافة منذ عهدا الباكر لكن لم يكن أمل منها في عهدي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعندما طعن عمر وأسد الشوري لست من الصحابة فيهم عثمان بن عفان ظهر هنا أمل بني أمية فأيدوا ترشيح عثمان جهاراً وعندما اختير عثمان اتجه بنو أمية إلى تأسيس خلافة منذ ذلك الوقت حتى قيل أن الخلافة الأموية بدأت من تولية عثمان فقد كان جهد معاوية بن أبي سفيان متجهاً في عهد عثمان إلى تقوية نفسه وإعداد الشام ليكون لها مستقبل الإدارة الإسلامية (شليبي: 1966: 31). يروي أن معاوية دخل على أبيه حينما استعمله عمر على الشام فقال له أبوه: يا بني أن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سعيهم وقصر بنا تأخرنا فصرنا أتباعاً وصاروا قادة وقد قلدوك جسماً من أمرهم فلا تخالفن أمرهم فإنك تجري إلى أمر لم تبلغه ولو بلغته لتنفست فيه (ابن عبد ربه: 1955: 14 - 15).

بمقتل عثمان بن عفان عقب الفتنة المعروفة قامت الحروب وتولى علي بن أبي طالب الخلافة فامتدح معاوية زعيم البيت الأموي مبايعته، وبعد اغتيال علي تنازل ابنه الحسن لمعاوية درأاً للمشاكل وخوفاً من إراقة دماء المسلمين مشروطاً عليه أن يكون الأمر شوري بين المسلمين. لم يلتزم معاوية بالعهد بعد وفاة الحسن، وبتوليته بدأ العصر الأموي وبذلك تحقق لهم أملهم الذي ظلوا يصبون إليه ويعملون لتحقيقه (الطبري: 1960: 161).

استمرت الدولة الأموية في الحكم إحدوي وتسعين سنة في الفترة من 41- 132هـ/661 - 749م وتولي الخلافة خلالها أربعة عشر خليفة أولهم معاوية وآخرهم مروان بن محمد (عبد الشافي: 1984: 105).

الإدارة والنظم في العصر الأموي:

أولي الأمويون عناية بالإدارة والنظم شملت كل مرافق الدولة وشهدت تطوراً وتوسعت الدولة وامتدت حدودها من الصين شرقاً حتى الأندلس غرباً ومن بحر قزوين شمالاً حتى المحيط الهندي جنوباً، وأصبحت تتكون من الأقسام التالية (الخضري: 1991: 21):

1. الحجاز ويشمل المدينة المنورة ومكة والطائف وكان الوالي يقيم في المدينة المنورة.

2. اليمن، وكانت في معظم الأحيان ولاية مستقلة أي يحكمها والي مسئول أمام الخليفة مباشرة وأحياناً يضاف إلى والي الحجاز الذي يعين لها والياً من قبله.
3. العراق وتشمل فارس وأقاليم ما وراء النهر وإقليم السند.
4. إقليم الجزيرة ويشمل الموصل وأرمينيا وأذربيجان.
5. الشام وأضحت في العصر الأموي خمسة أقاليم.
6. مصر وكان يتبعها شمال أفريقيا حتى ولاية عبد العزيز بن مروان 85/704م، ثم أصبحت ولاية مستقلة تتبع للخلافة في دمشق مباشرة.
7. الأندلس، كانت في معظم الأحيان تتبع ولاية شمال أفريقيا وأحياناً تتبع للخلافة مباشرة.

كان ولاية هذه الأقاليم يختارون مساعديهم في إدارة أقاليمهم ويكونون مسئولين أمامهم عن أعمالهم، حرص الخلفاء على أن يكون الولاية أما من البيت الأموي أو من المخلصين لدولتهم والمشهورين بالحزم والدهاء والمقدرة السياسية والإدارية، كانوا يمنحونهم سلطات واسعة بحيث كان الوالي مطلق التصرف تقريباً في ولايته يعمل بما يراه في مصلحة الدولة، وهذا عكس ما كان عليه الحال في العهد الراشدي حيث كانت سلطات الولاية مقيدة إلى حد بعيد إذ فصلوا بين السلطات العسكرية والسياسية والإدارية والمالية حيث كان يُعين إلى جانب الوالي والياً آخر علي بيت المال ويسمى صاحب الخراج ويكون مسئولاً أمام الخليفة مباشرة ولا سلطان للوالي عليه(عبد الشافي:1984:542).

خضع الولاية في العصر الأموي لرقابة ومحاسبة من الخلفاء بواسطة عيون الخلفاء من رجال البريد وغيرهم، فإذا ظهر عن والٍ ما تقصير أو تجاوز لا يترددون في عزله، فقد كان همهم الأول استتباب الأمن ومصالح الناس وسلامة الدولة وهيبتها. فإلى جانب الكفاية والمقدرة الإدارية حرص الأمويون على أن يكون ولايتهم من أهل النزاهة والأمانة والاستقامة وحسن الخلق، فلولا دقة الخلفاء في اختيار الولاية والقادة والعمال لما

أمكنهم من حكم وإدارة هذه المساحة الشاسعة وبسط الأمن والنظام فيها (بطانية: 1999: 140).

برز في العصر الأموي أسماء لامعة في فن الحكم والإدارة السياسية مثل عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبة، عتبة بن أبي سفيان، مروان بن الحكم، زياد بن أبي سفيان، مسلمة بن مخلد، عبيد الله بن زياد، الحجاج بن يوسف وعمر بن عبدالعزيز (خليفة: 1995: 293).

النظم:

انتقل النثر السياسي والإداري في العصر الأموي من المدينة المنورة إلى دمشق وتحول الاهتمام إلى بلاد الشام والتي غدت مقصداً لطلاب العلم وأهل المعرفة، اهتم الخلفاء الأمويون بالنظم الإدارية اهتماماً كبيراً خاصةً وأنهم كانوا في بلاد الشام بما لها من تقاليد وتنظيمات إدارية عريقة وقد استخدم الأمويون رجالاً من العرب برعوا في الإدارة وأثبتوا كفاءة عالية كما استعانوا بأهل الذمة في مصالح الدولة (الطبري: 330).
أهم النظم في العصر الأموي هي:

(أ) الدواوين:

الديوان كلمة فارسية معناها السجل أو الدفتر الذي تدون فيه الأسماء والأموال وقد أطلق مجازاً على المكان الذي يعمل فيه الموظفون المختصون بالعمل في الديوان (المارودي: 1960: 199). أول من أنشأ الدواوين الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن اتسعت الدولة وزادت مواردها المالية الأمر الذي اقتضى التنظيم الإداري والمالي، فأنشأ ديواني العطاء والجنود. لما قامت الدولة الأموية تطلب الأمر أنشأ دواوين أخرى لاتساعها وامتدادها، كان كل ديوان ينشأ في العاصمة دمشق ينشأ له نظير فرعي في عواصم الولايات يقوم بنفس الأعمال التي يقوم بها الديوان المركزي، الدواوين المركزية أشبه اليوم بالوزارات، كان كل ديوان يشرف على إدارة قطاع من قطاعات الدولة الإدارية والمالية والعسكرية. استخدمت الدواوين اللغة العربية منذ إنشائها ماعدا دواوين الخراج التي كانت تستخدم اللغات الأجنبية وظل

هذا الوضع إلى آخر عهد عبد الملك بن مروان حيث قرر استخدام اللغة العربية فيها وأمر بترجمتها وكان ذلك أهم إصلاحات عبد الملك بن مروان الإدارية والسياسية(حسن: 1978: 141- 182). أما الدواوين في العصر الأموي فكانت على النحو التالي:

(1) ديوان الخراج:

يشرف على الشؤون المالية للدولة ويقوم بتسجيل ما يرد عليها وما ينفق من أموال في مختلف الأوجه مثل مرتبات الجند والموظفين وما تحتاجه المرافق العامة مثل إنشاء الطرق وبناء الجسور والأعطيات التي تمنح للشعراء والخطباء، كان لكل إقليم ديوان محلي.

(2) ديوان البريد:

أنشأ معاوية بن أبي سفيان عندما اتسعت الدولة، كان له مهمتان الأولى نقل الرسائل من دار الخلافة والواردة إليها والثانية كان موظفو الديوان عيون الخلفاء لمراقبة الولاة والعمال. كان الديوان أشبه بالرقابة الإدارية في الوقت الحاضر(النبراوي:1985: 101).

(3) ديوان الخاتم:

من أكبر الدواوين في العصر الأموي، أنشأه الخليفة معاوية حتى لا تخرج التوقيعات بدون ختم فلا يعلم ماتحتويه من أسرار غير الخليفة فلا تتعرض التوقيعات للتزوير والتعديل(عبد الشايف:1984: 564).

(4) ديوان الرسائل:

كان يختص بالإشراف على الرسائل الواردة من الولايات والصادرة من الخليفة إلى عماله، كان يختار القائم على الديوان بعناية فائقة من المشهورين بالبلاغة والفصاحة والعلم بالشريعة واللغة العربية والآخلاق الفاضلة ويراعى فيهم أن يكونوا من أرفع الطبقات حسباً ونسباً(سالم:

1993: 409)، الديوان أشبه اليوم برئاسة الجمهورية والديوان الملكي والعلاقات العامة.

(5) ديوان العمال:

كان مسئولاً عن جميع الموظفين المدنيين في الدولة من حيث ترتيب أعمالهم ووظائفهم ومرتباتهم (عبد الشافي: 1984: 566).

(ب) القضاء:

كان القضاء في العصر الأموي بسيطاً كما في العصر الراشدي إذ لم تكن المذاهب الأربعة التي تقيد بها القضاء قد ظهرت بعد. كان اختيار القضاة يتم على يد الخليفة. انقسم القضاء في العصر الأموي إلى قضاء شرعي وقضاء مدني، الشرعي يستمد أحكامه من مصادر الشريعة (القرآن، السنة، الإجماع والقياس)، أما القضاء المدني فيتولاها المحتسب. كان يشترط فيمن يتولى القضاء سبعة شروط هي أن يكون رجلاً عاقلاً صحيح التمييز بعيداً عن السهو والغفلة وأن يكون حراً ومسلماً وأن يكون عادلاً وسليماً في السمع والبصر وأن يكون عالماً بالأحكام الشرعية (سالم: 1993: 413).

(ج) الشرطة:

من أقدم الأجهزة في الدولة الإسلامية لضرورته في حفظ النظام واستتباب الأمن وتعقب الجناة والمجرمين والمعتدين. حرص بنو أمية على اختيار رجال الشرطة من أهل الشرف والعفة والحزم، كان لهم مطلق الحرية في اختيار أعوانهم لأداء مهمتهم على الوجه الأكمل (ابن الأثير: 1965: 212-217).

الأوضاع الإدارية في المدينة في العصر الأموي:

قبل التطرق للأوضاع الإدارية في المدينة المنورة في العصر الأموي يجب أن نتعرف على الحدود الإدارية لحدود المدينة في العصر الأموي، فلو تتبعنا

النصوص في المصادر التاريخية التي تناولت فترة صدر الإسلام نجد أن لفظ الحجاز كان أحياناً يقصد به المدينة المنورة وما حولها، وأحياناً يقصد به مكة والمدينة المنورة، جاء في الطبري: "أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الأمصار يستعينهم لأهل المدينة وما حولها، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة عامر بن الجراح في أربعة آلاف راحلة من طعام ثم تتابع الناس واستغنى أهل الحجاز(الطبري: 1960: 18).

عندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة وولى مسلم بن عقبة المري حرب أهل المدينة خرج مناديه فنادى أن سيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كمالاً ومعونة مائة دينار(ابن الأثير: 1965: 311).

يورد خليفة بن خياط نصاً يفهم منه أن الحجاز يراد به مكة والمدينة حيث يذكر: "عندما بلغ يزيد بن معاوية أن أهل مكة أرادوا ابن الزبير على البيعة أرسل النعمان بن بشير الأنصاري وهمام بن قصبية النميمري إلى ابن الزبير يدعوانه إلى البيعة ليزيد بن معاوية على أن يجعل ولاية الحجاز أو ما شاء وما أحب لأهل بيته من الولاية"(خليفة: 1995: 316).

رغم اختلاف الروايات وعدم وضوحها إلا أن الثابت أن الإقليم الذي كان يضم مكة والمدينة والطائف هو إقليم الحجاز، وإن كانت معظم المعلومات الإدارية التي تعود إلى العصر الأموي تتعلق كلها بالمدينة المنورة وولاياتها وقضاتها ومؤسساتها بينما المعلومات المتعلقة بمكة والطائف محدودة إلا إذا استثنينا فترة عبد الله بن الزبير الذي اتخذ من مكة مركزاً له، لذلك تعتبر المدينة المنورة أهم مركز إداري بالحجاز في العصر الأموي(الخماس: 1993: 48).

من الثابت أن المدينة المنورة أصبحت قوة سياسية وعسكرية في مجتمع الجزيرة العربية بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها حيث أصبحت بعد ذلك العاصمة والقاعدة العسكرية والإدارية الأولى، وبقيت كذلك

خلال الخلافة الراشدة، وإذا كان الخليفة الرابع علي بن أبي طالب قد غادرها واتخذ من الكوفة مقراً مؤقتاً له خلال صراعه مع معاوية بن أبي سفيان إلا أنه لا يوجد ما يثبت أنه كان سيتخذها عاصمة للدولة الإسلامية لو انتصر على معاوية (خليفة: 1995: 158).

بقيام الخلافة الأموية بالشام واتخاذ دمشق عاصمة، أصبح الحجاز إقليماً مرتبطاً مباشرة بالخليفة، وفقد الكثير من الامتيازات التي كان يتمتع بها على الصعيدين الإداري والمالي، فقد أصبحت التعيينات تصدر من الخليفة في دمشق والذي أعطى 7 أرسل أميراً من أمراء البيت الأموي ينوب عنه (بدر: 1993:454).

كان الولاة يبذلون الجهود في محاربة اللصوص وقطاع الطرق الذين يفسدون الأرض ويترصدون القوافل التجارية على الطرق الممتدة من العراق إلى الحجاز، ومن العراق إلى اليمامة، ومن الشام إلى الحجاز ومن اليمن إلى الحجاز، كذلك حرص الولاة على توطيد الأمن والحيلولة دون الفتن التي تتشب (الخماش: 1993:54).

ولاية المدينة في العصر الأموي:

حرص الخلفاء الأمويون على اختيار شخصيات ذات وزن سياسي، وصلة وثيقة بالبيت الأموي إن لم تكن من أفراد البيت الأموي (الطبري: 1960: 296).
أما ولاية المدينة المنورة طيلة العصر الأموي هم (خليفة: 1995: 141-266):

- (1) مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عتبة بن أبي سفيان في خلافة معاوية بن أبي سفيان.
- (2) عمرو بن سعيد بن العاص في خلافة يزيد بن معاوية.
- (3) في بداية خلافة مروان بن الحكم كانت المدينة المنورة تحت سيطرة عبد الله بن الزبير، وبعد القضاء عليه تولى إدارة المدينة

الحجاج بن يوسف ثم يحيى بن الحكم بن أبي العاص، ثم إبان بن عثمان بن عفان، ثم هشام بن إسماعيل المخزومي. أما فترة ابن الزبير فقد تولى المدينة عبید الله بن الزبير، ثم جابر بن الأسود بن عوف، ثم العباس بن سهل، ثم مصعب بن الزبير، ثم جابر بن الأسود للمرة الثانية، ثم طلحة بن عبد بن عوف. كان فترة ابن الزبير 65 - 72 / 684 - 691م.

(4) عمر بن عبد العزيز وعثمان بن حيان المري في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان.

(5) أبوبكر بن محمد بن عمرو بن حزم في خلافة سليمان بن الوليد.

(6) أبوبكر بن محمد بن حزم في خلافة عمر بن عبد العزيز.

(7) في خلافة يزيد بن عبد الملك صارت المدينة المنورة ومكة والطائف ولاية واحدة وعليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس النهري ثم عبد الواحد بن عبد الله النضري.

(8) في خلافة هشام بن عبد الملك استمرت المدينة المنورة جزءاً من ولاية الحجاز ومعها مكة والطائف وعليها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المغيرة المخزومي، ثم خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي.

(9) في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ظلت المدينة المنورة كذلك جزءاً من ولاية الحجاز ومعها مكة والطائف وعليها يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي.

(10) في خلافة يزيد بن الوليد استمرت المدينة كذلك جزءاً من ولاية الحجاز ومعها مكة والطائف وعليها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عفان ثم عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز.

- (11) في عهد الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين عادت المدينة المنورة ولاية قائمة بذاتها وكان عليها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، ثم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، ثم رومي بن معاذ الكلابي ثم محمد بن عبد الملك بن مروان. عند تتبع الإدارة الأموية للمدينة المنورة نلاحظ الآتي:
- (أ) اتسعت أمانة المدينة أحياناً وضمت مكة والطائف، واقتصرت أحياناً علي منطقة المدينة المنورة وحدها.
- (ب) عدم الاستقرار السياسي والاضطراب كانا طابع المدينة المنورة في العصر الأموي والدليل كثرة الولاة حيث بلغ عددهم اثنان وسبعون والياً خلال ثمانين سنة فترة الخلافة الأموية.
- (ت) خروج المدينة المنورة من إدارة الدولة الأموية طيلة سبع سنوات في الفترة (65- 684/هـ - 691م) وتبعتها لعبد الله بن الزبير في مكة إبان ثورته ضد الدولة الأموية.
- (ث) أصبحت المدينة المنورة ومكة إدارة واحدة في عهد كل من عمرو بن سعيد (60- 61/هـ - 679 - 680م)، وعبد الرحمن الضحاك (101- 103/هـ - 719 - 721م)، وعبد الواحد النضري (104- 106/هـ - 722 - 724م)، وإبراهيم بن هشام المخزومي (106- 114/هـ - 724 - 732م)، ومحمد بن هشام بن هشام المخزومي (117- 125/هـ - 736 - 742م) أما بقية الفترات فظلت المدينة المنورة إدارة منفصلة.

(ج) تعدد الولاية علي المدينة المنورة من قبل عبد الله بن الزبير إبان ثورته في مكة إذ بلغ عددهم ستة ولاية في فترة سبع سنوات حيث لم يكمل بعضهم العام الواحد في الولاية، وهذا يدل على اضطراب الأحوال وعدم الاستقرار السياسي، الأمر الذي يعزز الرأي الراجح بعدم الاستقرار السياسي للمدينة المنورة في العصر الأموي.

(ح) تولى عدد من الولاية إدارة المدينة المنورة أكثر من مرة وهم مروان بن الحكم في خلافة معاوية، والوليد بن عتبة في خلافة معاوية أيضاً، وجابر بن الأسود في فترة سيطرة عبد الله بن الزبير.

بما أن ضبط الولاية وتوطيد الأمن فيها كان من أهم واجبات الوالي، فإن صاحب الشرطة كان الساعد الأيمن للوالي، ويعرف عند عامة الناس بصاحب الليل. ولضمان حسن تنفيذ مهام وظيفته كان يجند تحت إمرته رجالاً مخلصين ويتم اختيارهم أحياناً من خارج المدينة التي يديرونها. بالإضافة إلى الشرطة وجد في المدينة المنورة حرس للمسجد النبوي يمنعون الصلاة فيه على الجنائز(السمهودي: 1955:531).

من الموظفين الذين اعتمدوا عليهم الولاية في إدارة ولاياتهم عمال الأسواق، وقد ظهرت الوظيفة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي العصر الأموي كان سليمان بن يسار العامل على سوق المدينة المنورة في ولاية عمر بن عبد العزيز(الخماش: 1993:55).

قضاء المدينة المنورة في العصر الأموي:

تولى القضاء في العصر الأموي رجالاً عرفوا بخصال الفقه والعدالة والورع والنزاهة وتحري الدقة والعدل في الحكم.الدولة

كانت تختار القضاة من أهل الفهم والعلم والورع، وتحرص على تقوية العلاقات مع القضاة والوقوف بجانبهم اعتقاداً منها بأنه إذا ما ضعف القاضي ضعفت أحكامه. يلاحظ في القضاء في العصر الأموي كثرة القضاة من الصحابة وأبنائهم، وإن القضاة لم يكونوا من العرب فقط بل كان هناك قضاة من الموالي وغيرهم. كان الوالي الجديد عادة ما يعزل القاضي السابق ويعين قاضياً من قبله. كان القاضي في المدينة المنورة لا يركب مركباً ولا يذهب في حاجة إلا إذ استأذن الوالي (بدر: 1993: 454).

تولي أمر القضاء في المدينة المنورة عدد من القضاة هم (خليفة:

141: 1995 - 267).

- (1) في خلافة معاوية بن أبي سفيان تولى القضاء في المدينة المنورة أبو هريرة ثم عبد الله بن نوفل ثم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ثم مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ثم عمرو بن عبد بن زمعة العامري.
- (2) في خلافة يزيد بن معاوية تولاه طلحة بن عبيد الله بن عوف الزهري ثم عبد الله بن عثمان التيمي.
- (3) في خلافة مروان بن الحكم كانت المدينة تحت سيطرة عبد الله بن الزبير.
- (4) في خلافة عبد الملك بن مروان تولى القضاء في المدينة كل من عبد الله بن قيس بن مخزومة ونوفل بن مساحق وعمرو بن خلدة الزرقني.
- (5) في خلافة الوليد بن عبد الملك تولى أمر القضاء في المدينة المنورة عبد الرحمن بن يزيد بن جارية، ثم أبو بكر بن عمرو بن حزم، ثم عبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية، ثم

- عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة ثم عبد الأعلى بن خالد بن ثابت الفهمي.
- (6) في خلافة سليمان بن عبد الملك تولاه أبو طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم.
- (7) في خلافة عمر بن عبد العزيز استمر أبو طوالة عبد الله بن عبد الرحمن قاضياً على المدينة المنورة.
- (8) في خلافة يزيد بن عبد الملك تولى أمر القضاء في المدينة المنورة سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ثم سعيد بن سليمان بن يزيد بن ثابت.
- (9) في خلافة هشام بن عبد الملك تولاه محمد بن صفوان الجمحي، ثم الصلت بن زبيد بن الصلت الكندي ثم أبوبكر بن محمد بن عمرو بن حزم.
- (10) في خلافة الوليد بن يزيد تولى قضاء المدينة المنورة كل من سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ويحيى بن سعيد الأنصاري.
- (11) في خلافة يزيد بن الوليد تولاه عثمان بن عمر بن موسى التيمي.
- (12) في خلافة مروان بن محمد تولى القضاء كل من عثمان بن عمر بن موسى التيمي ومحمد بن عمران التيمي.
- مما سبق نجد أنه تولى أمر القضاء في المدينة المنورة في العصر الأموي اثنان وعشرون قاضياً، تولى بعضهم القضاء أكثر من مرة، ولعل السبب في ذلك أن بعض ولاة المدينة المنورة كان يعزل القاضي الذي عينه الوالي السابق له أو يموت القاضي في عهده فيعين بديلاً عنه.

هؤلاء هم الموظفون في المدينة المنورة في العصر الأموي. إذا كان الولاة والقضاة وأصحاب الشرطة من العرب، فإن الدولة استفادت من جهود الموالي في الحجاز مثلما استفادت من جهودهم في الأمصار الأخرى، وتذكر المصادر أن عبد الرحمن بن هرمز من أهل الشام كان علي ديوان المدينة في عهد يزيد بن عبد الملك (الطبري: 1960: 13). كما تولاه ابن أبي عطاء في خلافة هشام بن عبد الملك. كما كان سليمان بن يسار عاملاً على سوق المدينة المنورة في خلافة الوليد بن الملك وولاية عمر بن عبد العزيز علي المدينة، وحينما أمر الخليفة الوليد الوالي عمر بن عبد العزيز بهدم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وتوسيعه كلف عمر صالح بن كبسان للإشراف على هذا العمل (الخمماش: 1993: 58).

رغم تزايد أعداد الرقيق بالحجاز في العصر الأموي إلا أن دورهم في النواحي الإدارية كان أقل من دورهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لأن من الطبيعي أن يتبع العبد مولاه عند نشوب القتال، ففي موقعة الحرة سنة 63هـ/682م اشترك العبيد إلى جانب سادتهم من أهل المدينة المنورة ومات الكثير منهم، وحينما استولي الخوارج علي المدينة المنورة سنة 129هـ/746م اشترك العبيد في قتالهم وإخراجهم من المدينة المنورة (الخمماش: 1993: 59).

الخلاصة:

من خلال الإدارة الأموية في المدينة المنورة نخلص إلى الآتي:

- (أ) الإدارة في العصر الأموي كانت إدارة حسنة تتوخى الصالح العام واستتباب الأمن ومصالح الناس، وإن شابها القصور والأخطاء، وهذا لا يقلل من شأنها، فالقصور والخطأ من طبيعة البشر.

(ب) لم يكتف الأمويون بتطوير الأجهزة والدواوين القائمة قبل عهدهم بل استحدثوا أجهزة لتواكب تطور الدولة والمجتمع وبذلوا في ذلك جهداً في اختيار الولاة والعمال والموظفين واستعانوا في ذلك بخبرات من أجناس غير عربية.

(ت) اختلفت سلطات الولاة في العصر الأموي عن العصر الراشدي حيث كانت مقيدة في العصر الراشدي وأصبحت شبه مطلقة في العصر الأموي، فضلاً عن أن السلطات في العصر الراشدي كانت مقسمة (سياسية، مالية وعسكرية).

(ث) اتصفت الإدارة الأموية بالحجاز بما فيها المدينة المنورة برابطة مباشرة بدمشق عبر ولاة من الأسرة الأموية أو من لهم علاقة وصلة وثيقة بالأسرة الأموية.

(ج) أضحت المدينة المنورة أهم مركز إداري بالحجاز في العصر الأموي بدليل تركيز معظم المصادر والدراسات التي تناولت فترة صدر الإسلام ذلك.

(ح) لم يخل العصر الأموي في المدينة المنورة من فترات زاهية في مختلف الجوانب كانت فيه المدينة المنورة من أنعم المدن أمناً وطمأنينة، منها فترة ولاية إبان بن عثمان بن عفان (76- 83هـ/695- 702م) وولاية عمر بن عبد العزيز (87- 93هـ/705- 711م) (بدر: 1993: 451).

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- (1) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ، بيروت، 1965م.
- (2) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد: العقد الفريد، شرح وتصحيح أحمد أمين، القاهرة، 1955م، ج1.
- (3) خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة: تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه مصطفى نجيب فواز وحكمت كاشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1955م، ج1.
- (4) السمهودي، نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، المكتبة العلمية، القاهرة، 1955م، ج1، ج2.
- (5) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، مصر، 1960م.
- (6) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري البغدادي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1960م.

ثانياً: المراجع:

- (1) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، القاهرة، 1966م، ج1، ج2.

- (2) حسن وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، لجنة التأليف والنشر والتوزيع، القاهرة، 1978م.
- (3) السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب- تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1993م.
- (4) عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة، 1993م، ج1.
- (5) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي (41- 132هـ/661- 750م)- دراسة سياسية، دار الوفاء، القاهرة، 1984م.
- (6) فتحية النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1985م.
- (7) محمد الخضري بك: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية- الدولة الأموية، دار الفكر، بيروت، 1991م، ج1.
- (8) محمد صالح البليهشي: المدينة اليوم، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، 1402هـ.
- (9) محمد ضيف بطاينة: دراسات في تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999م.

(10) نجدة الخماش: الأوضاع الإدارية في الحجاز في العصر الأموي- دراسة مقارنة، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، 1993م، العددان 47- 48، ص 47- 63.

التصنيف الآثاري وأهميته

د. بكر بن محمد برناوي

قسم اداره موارد التراث و الإرشاد السياحي جامعه الملك سعود

مقدمة:

يُعد التنظيم والترتيب للأشياء بشكل عام أيًا كان نوعها سمة أساسية وضرورية من ضروريات الحياة، ويمكن القول بأن التصنيف بمفهومه العام هو أحد أسس التنظيم سواء في الحياة اليومية للإنسان، أو ضمن العلوم والمعارف المختلفة التي يتعامل معها الإنسان، ويحتاج إليها بوصفها تشكل جزءاً مهماً في حياته العملية والمعرفية والثقافية.

يستخدم التصنيف كأداة ومنهج للحياة، ومن أهدافه تنظيم الأشياء والأفكار ومحاولة وضعها في ترتيب منطقي مقبول، يستطيع الإنسان من خلاله التعامل مع الأشياء بشكل عملي له معنى⁽¹⁾.

يمكن تعريف التصنيف بصفة عامة على أنه وضع الأدوات التي تتشابه في خصائص معينة وفق ترتيب معين عبر عملية ذهنية يتم من خلالها التعرف على المتشابه والمتوافق اعتماداً على هذا التشابه، أو الاختلاف، كما أنه فكرة تعطي معنى للشيء والذي قد يكون معنى وظيفياً، أو شكلاً.

ولعل نظرتنا وتصرفاتنا نحو الحياة والمعطيات المختلفة التي تدور حولنا تستدعي عملية تصنيف للأشياء والمعلومات وغيرها. ويقوم الإنسان بتصنيف أنواع الأطعمة المتعددة والأدوات المستخدمة في صنع هذه الأطعمة، وكذلك الأدوات التي يتناولها بها الطعام حسب اختلاف استخدامات هذه الأدوات، ومن خلال ذلك يحفظها في أماكن مختلفة ضمن دواليب المطبخ في المنازل والمطاعم والمطابخ، وكذا الألوان والأشكال والأحجام.

(1) تكتسب الأشياء معانيها بعد تحديد سماتها التي تميزها، والعين والعقل يضعان فواصلًا ومعالمًا للأشياء تربطهما بمعنى يترسخ في ذاكرة الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه.

لم يكن التصنيف عند الإنسان مقتصرًا على ما يتعامل معه من أدوات أو طعام أو ملابس، وإنما اهتم بتصنيف العلوم والمعرفة الإنسانية بأنواعها، ولقد كان التصنيف بالنسبة لبعض الفلاسفة والمفكرين عبر العصور المختلفة نوع من الرياضة الذهنية، ويظهر ذلك واضحاً في أعمال الكثيرين ممن اهتموا بهذا الجانب حتى أن البعض منهم قال بأن تصنيف الشيء هو أول العلم به.

وفي هذا الإطار يمكن القول بأن أفلاطون وأرسطو وهيجل وغيرهم من أوائل من كان لهم باع طويل في هذا المجال، فقد حاول أفلاطون في كتابه "الجمهورية" تصنيف المعرفة إلى قسمين وهما: العلوم الطبيعية، وعلوم الرياضيات، وصنف أرسطو العلوم إلى ثلاثة أقسام، وهي: العلوم النظرية، والعلوم العلمية، والعلوم الإنتاجية (Bloom, 180: 1991).

علوم المكتبات والمعلومات أيضاً من المعارف التي تعتمد بشكل كبير على التصنيف بمختلف أنواعه، فتتظيم الكتب وأوعية المعلومات الأخرى في المكتبات سواء العامة منها أو المتخصصة قائم على أساس علمي متبع عالمياً. ولعل تصنيف ديوي العشري من أقدم نظم التصنيف في عالم المكتبات وأكثرها انتشاراً واستخداماً (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1984م: 90).

وفي الوقت الحاضر نجد أن المتاحف بمختلف أنواعها هي الأخرى تستخدم التصنيف، حيث يمكن القول بأن الكثير من محتويات المعارض المتحفية موزعة وقائمة حسب تصنيفات معينة، فعلى سبيل التمثيل نظام حفظ المجموعات المتحفية داخل المستودعات الخاصة بها هو مثال للتصنيف، والذي يُعدّ وسيلة عملية يمكن من خلالها الحصول على أية قطع عند الحاجة إليها بكل يسر وسهولة، وتستخدم بعض المتاحف نظام التسلسل الرقمي للمجموعات، أو مواقع وجود تلك المقتنيات، وبعضها الآخر يستخدم نظام التخزين المعتمد على تصنيف المجموعات حسب الفترة الزمنية التي صنعت فيها تلك المجموعات، أو على أساس الشكل أو نوع المادة أو الوظيفة أو الثقافة، وهكذا.

من خلال ما تم استعراضه، يتضح أن التصنيف هو من أساسيات العلوم، وعلم الآثار ليس بعيداً عن هذه العلوم التي تستخدم التصنيف، الذي أصبح جزءاً مهماً في منهجية هذا العلم ووسيلة من وسائل التأريخ النسبي فيه، ونتيجة لذلك ظهرت آراء ونقاشات وأطروحات فكرية مختلفة بين علماء الآثار حول تصنيف الآثار، وأهميته، وهو موضوع هذا البحث.

تتناول هذه الدراسة مجموعة من الجوانب تتلخص في الآتي: تعريف مصطلح التصنيف في علم الآثار، وبدايات التصنيف والمحاولات الأولى في هذا المجال من قبل الأثاريين، ثم تناقش الجدل بين الأثاريين حول التصنيف، ومدى فاعليته في إعطاء المعلومات التي تساعد على فهم ثقافات المجتمعات المختلفة.

كما يتضمن البحث أيضاً المشكلات ذات العلاقة بالتصنيف الأثاري، ثم الانتقال إلى أهداف التصنيف، وأنواعه، وأخيراً الخلاصة والنتائج التي يمكن استنتاجها من خلال هذه الدراسة.

التصنيف الأثاري:

يُعد التصنيف الأثاري دراسة لظاهرة أو مجموعة ظواهر أثرية بهدف معرفة حقيقة تلك الظواهر وعناصرها، ووظائفها، كما أنه أداة لترتيب الأشياء الأثرية من حيث المكان والزمان، ومن ثم أصبح وسيلة من وسائل التأريخ النسبي في علم الآثار. (Fagan,1991:131)، فعن طريق المقارنة بين المعثورات يمكن فرز المجموعات الأثرية كلٌ حسب خصائصها وسماتها التي تمتاز بها، ويعد التصنيف الأثاري أيضاً أحد الوسائل والطرق التقريبية لتحديد تاريخ المعثورات والثقافات القديمة، والتي تمثل في كثير من الأحيان الحجر الأساس في العمل الأثاري.

وأولى الخطوات التي يقوم بها الأثاري لفهم المادة الأثرية التي سيقوم بدراستها هي تصنيف وترتيب هذه المادة في أنواع ومجموعات حسب خصائص ومواصفات معينة يحددها الباحث، ثم ينطلق من خلال ذلك بفرز السمات المميزة لكل معثورة.

من أقدم محاولات التصنيف الأثاري كانت من قبل الدنماركي كريستان

طومسون (Christian Thomson) عام 1836م، الذي كان يعمل أميناً للمتحف القومي في كوينهاجن، فقد قام بتصنيف قطع المعثورات الأثرية في متحفه إلى ثلاثة مجموعات اعتماداً على نوعية المادة الخام التي صنعت منها؛ إضافة إلى مكان وجودها والمعلومات الواردة منها وصنف تلك المجموعات: مواد حجرية، مواد برونزية، ومواد حديدية (Serratt, 1980: 80).

قوبل ذلك التصنيف بالكثير من الاعتراضات، حيث رأى البعض أن تنوع الأدوات هو انعكاس لاختلافات طبيعية في المجتمع، ولا يمثل اختلافات زمنية، ولكن أثبت هذا التصنيف جدواه.

في عام 1865م جاء البريطاني جون لوبك (J. Lubbock)، الذي أقترح في كتاب "أزمان ما قبل التاريخ" تقسيم العصر الحجري إلى عصر حجري قديم وعصر حجري حديث من خلال ملاحظته لتباين في الأدوات التي ترجع إلى العصر الحجري بشكل عام. ويُعدّ هذا أيضاً نوعاً من التصنيف الآثاري، والذي اعتمد أساساً على تصنيف معثورات كل دور من هذه الأدوار المتعاقبة (بدوي، د.ت: 89).

في عام 1902م قام بتري (F. Petrie) بدراسة مقابر الأسرات في مصر وتتبعتها حسب أنواع الفخار حيث لم يكن هناك تسلسل زمني لها قبل دراسته تلك وكانت تلك الدراسة مثلاً للتأريخ التقريبي، ونوعاً من أنواع التصنيف (Petrie, 1902: 75).

قام الفرنسي بوردرز (F. Bordes) في الخمسينات من القرن الماضي بدراسة العديد من المجموعات الموسستيرية ومقارنتها بمثيلاتها في خارج فرنسا، وكذلك من المواقع المهمة في شرق المتوسط مستخدماً التصنيف وعرف هذا التصنيف (بطريقة بوردرز في التصنيف"، والتي تُعد مدرسة جديدة، وذلك لأنه اعتمد وسيلة أكثر تحديداً من خلال استخدامه التصنيف الكمي ثم التفصيل وتحديد مواصفات كل نوع، ويرى بوردرز أن التقنية المستخدمة في إنتاج الأدوات يجب أن تفصل عن أشكال الأدوات نفسها وأن التقنية الصناعية تؤثر فيها نوعية المواد الخام، وهذه بالتالي غير مفيدة كثيراً في تحديد معالم ثقافة المجموعات أو معرفة المجموعات من دراسة المجموعات الأثرية.

ووضع بوردرز قائمة من (63) نوعاً مشيراً إلى مواصفات كل نوع، ثم حدد النسب والنسبة المئوية، ثم بعد ذلك عمل رسم بياني لها (Bordes, 1923: 220).

وجاء الأمريكي بنفورد (L. Binford) بعده والذي عارض الفرنسي بوردرز (Bordes) في تحليله وتفسيره للمجموعات المستيرية آنفة الذكر. مضيفاً إليها مجموعة أخرى من فلسطين، بطريقة تحليلية مختلفة تماماً عن سابقه الفرنسي، قام بنفورد بتصنيف ودراسة نفس المجموعات فقد استخدم الحسابات الرياضية في عملية التصنيف التي قام بها مستعيناً في ذلك بالحاسوب، وتوصل إلى أن وحداتها تختلف عما ذكره بوردرز (Bordes)، كما اتبع بنفورد (Binford) في تفسيره وتصنيف للمجموعات النظرية والوظيفية المعروفة في الانثروبولوجيا الثقافية (Binford, 19638: 180).

إن هذه المحاولات للتصنيف الأثري لها أهمية في هذا المجال حيث قامت بعض التصنيفات على أساسها إلا أنها لم تخل من النقد واختلاف الآراء حولها من بعض الأثريين.

لقد شغل الجدل حول التصنيف الأثري الكثير من الأثريين وأصبح في فترة من الفترات قضية محورية في علم الآثار، ولعل الجزء التالي من هذا البحث يستعرض هذه القضية والآراء المختلفة لعلماء الآثار حولها.

الجدل بين الأثريين حول التصنيف الأثري:

كان اهتمام المؤرخين في القرن التاسع عشر الميلادي بموضوع التصنيف الثقافي بسبب نجاح البليونتولوجين وهم المهتمين بأشكال الحياة في العصور الجيولوجية السابقة وأيضاً الجيولوجيين في استخدام نظرية "Index Fossil"⁽¹⁾.

ومن خلال هذا الاهتمام بدأ المؤرخون باستخدام أنواع من أدوات حجرية معينة، وأنواع من الفخار للإشارة إلى عمر الوجود البشري على ضوء النظرية السابقة.

كان الأثريون أمثال جاليسكو بيزن (Galisteo Basin) ون سي نيلسون

(1) دليل أو فهرس تصنيف بقايا الحيوانات أو النباتات المتحجرة والأصفورات من العصور الجيولوجية.

(N. C. Nelson) من الأوائل الذين قاموا بعمل التصنيف النوعي المنظم لأعراق التاريخ في أمريكا الشمالية ولكن لم يصبح هذا التصنيف ممارسة شائعة إلا في وقت متأخر (Nelso, 1875: 190).

كما شهد العقد الثالث من القرن العشرين (1920 - 1930م)، ظهور مخلفات أثرية كبيرة من الفخار وغيرها من المعثورات مما أدى إلى الاهتمام بالتصنيف وهذا الانفجار من الأنشطة الأثرية ربما كان سبباً في ظهور ما يسمى بالجدل في مجال التصنيف في أمريكا وغيرها.

لعالم الأنتروبولوجي و الآثار الأمريكية آدمز وآدمز (Adams and Adams, 1991) رأى حول التصنيف الآثاري حيث يذكران:

أولاً: الدراسات التي كانت تهيمن على علماء الآثار الأمريكيين قبل نحو 1940م، حيث كان الاهتمام الرئيسي لهؤلاء يتركز حول كشف الفترة التاريخية والتصنيف الزمني لثقافة ما قبل التاريخ. ومن أمثلة هؤلاء الأثنولوجي الأمريكي جون ويلسي بويل (John Wesley Poweell, 1879)، حيث كان اهتمامه القيام بعمل تصنيف لقبائل أمريكا الشمالية.

ويلاحظ أن الآثاريين الأمريكيين لم يصلوا إلى مثل هذا التصنيف إلا بعد حوالي أربعين سنة وكانت أعمالهم الأثرية من حفريات وغيرها تقتصر على التقارير عن المواقع منفردة دون المقدره في ربط المعلومات بالبيئة المحيطة والتي تؤدي بالتالي إلى معنى أو هدف أكثر من الإشارة إلى صورة عامة عن حياة الهنود في ما قبل التاريخ، واستمر ذلك حتى القرن العشرين عندما بدأ الجدل حول ثقافة ما قبل التاريخ (Adams and Adams, 1991: 180).

شهدت الفترة من 1920 - 1950م وبشكل كبير ما سماه آدمز وآدمز (Adams and Adams, 1991)، بالتصنيف المتأخر، وكانت فترة الثلاثينات الميلادية فترة نشاط، فيما يتعلق بآثار ما قبل التاريخ في أمريكا وأيضاً التصنيف

الآثاري، بدءاً بالأدوات والمساكن والمدافن منفردة ثم مزج هذه الأشياء ضمن الثقافة. ويمكن القول بأنه إلى جانب هذه الفترة المليئة بالمعلومات عن آثار ما قبل التاريخ في أمريكا كانت هناك أيضاً، نقاشات حول مبادئ وأسس التصنيف، وإن لم يكن هذا النقاش والجدل حول صفات أنواع معينة، كما أنه لم تكن هناك أسئلة واستفسارات حول صحة وأهمية عمل التصنيف الآثاري عندما كان واضحاً بأنه يخدم في ذلك الوقت الأهداف الأساسية لعلم الآثار.

ثانياً: الجدل بين مؤيدي التصنيف الشكلي⁽¹⁾ والتصنيف الوظيفي⁽²⁾ حيث

ظهرت في منتصف القرن العشرين مجموعتان في حقل الدراسات الأثولوجية.

المجموعة الأولى: هي مجموعة التصنيف الوظيفي وهي سائدة في بريطانيا ولها موالين أيضاً في أمريكا الشمالية. وتهتم هذه المجموعة بالمجتمع أكثر من عناصر الثقافة المادية في تحليلاتهم، ويركزون على أهمية السؤال: ماذا يفعل الإنسان؟ أكثر من السؤال فيما يفكر ويقول؟ ويفكرون في الثقافة بوصفها مصطلحاً للسلوك فقط.

وأخذت الأجيال اللاحقة من هذه المجموعة تهتم بالتصنيف الذي يقوم على أساس

التصنيف المنهجي، الذي يقوم به الباحث نفسه وهو المصطلح المعروف بالـ (Etic Classification) وهم عكس مجموعة (Emis Classification)، والذي يقوم على تقسيم الأشياء حسب تصنيف صانعيها. ومن المشهورين المتمسكين بهذا التصنيف مارجريت ميد (Margaret Mead) وروث بندكت (Ruth Benedict) وأيضاً كليد كلوهن (Clyde Kluckhohn).

وبالرغم من أن Kluckhohn من القلائل الذين ليس لهم علاقة بعلم الآثار إلا أنه

أصبح خلال الثلاثينات والأربعينات من المنتقدين لأقرانه من علماء الآثار لكونهم لا

(1) التصنيف الشكلي: يقصد به وضع المعثورات ذات الطبيعة الواحدة من حيث الشكل في مجموعة واحدة.

(2) التصنيف الوظيفي: يقصد به وضع المعثورات ذات الاستخدام والوظيفة الواحدة أو المعتمدة في مجموعة

يعملون ما يعمله هو وزملائه في مجال الأثولوجي، وآثار قضية الجدل في مجال التصنيف الأثاري وسط علماء الآثار عندما كتب في عام 1939م العبارة التي تقول "تعددت أنواع التصنيف وتكاثرت دون الاهتمام بما قد تعنيه الأفكار التصنيفية من حقائق عن السلوك الإنساني" (Kluckhohn, 1951: 120).

المجموعة الثانية: هي مجموعة التصنيف الشكلي، وهم عكس المجموعة الأولى في التصنيف فهم يهتمون بما يفكر الإنسان ويقول أكثر من اهتمامهم فيما يفعل. يميل هؤلاء إلى التصنيف الذي يقوم على أساس من صنع الأدوات نفسه أو ما يسمى (Emis Classification).

مع منتصف القرن العشرين كان هناك شبه تأكيد بأن الأثاريين قد تأثروا بالنظريات المتعلقة بكلا المجموعتين، مجموعة التصنيف الوظيفي ومجموعة التصنيف الشكلي، وبدأ الأثاريون يشيرون إلى القيم الثقافية والسلوكية في معلوماتهم ودراساتهم، أو بمعنى آخر بدأوا يصنفون النوع ضمن المحتوى الثقافي وليس منفرداً كنوع فقط.

لا يوجد في علم الآثار وضوح في الفرق بين الوظيفة والشكل كما هو في علم الأثولوجي والسبب كما يراه آدمز وآدمز (Adams and Adams, 1991) أن الأثاريين اعتادوا دمج مظاهر ثلاث نظريات ثقافية، والتي سماها لينتون (Lintion, 1936) الوظيفية، والاستخدام، والمعنى.

ظهرت في عام 1960م مجموعة من الانتقادات من بعض علماء الآثار في محاولتهم لتوجيه علم الآثار إلى الاتجاه العلمي الصحيح ويرى الباحثان آدمز وآدمز (Adams and Adams, 1991) أن هناك مجموعة من الحقائق التي ربما كان لها تأثير في ظهور مثل هذا الاتجاه مثل:

1. ثورة الأثاريين الشباب الذين رفضوا الأهداف التي وضعها من هم قبلهم.
2. الهالة والهيبة التي تمتعت بها العلوم الطبيعية بعد الحرب العالمية الثانية.

3. نشأة المؤسسة الوطنية للعلوم (NSF) والتي تُعد، وعلى مر السنين، المؤسس لبحوث ما قبل التاريخ في أمريكا الشمالية (Adams and Adams, 1991: 80).

وتحت هذه المؤثرات، نادى الكثير من الآثاريين بضرورة أن يسير علم الآثار في الاتجاه العلمي الصحيح، بما في ذلك التصنيف الآثاري باعتباره الأداة الأولى في البحث الآثاري. ومن أمثلة المنادين لهذا الاتجاه في بداية الستينات (1962 - 1968م) بنفورد (Lewis Binford)، ولم تكن هذه المناداة من الآثاريين الأمريكيين فقط ولكن حتى من بعض الآثاريين في بريطانيا، أمثال ديفيد كلارك (David Clarke, 1968)، والذي كان من أوائل من استخدم الحاسوب في التصنيف، ولكنه أخفق في أن يدرك أن نظام التصنيف الكمي (العددي) بشكل عام لا يعطي أنواع، بالمعنى الذي يفهمه هو للنوع، وفي حقيقة الأمر مثل هذا العمل أحياناً لا يمكن أن يعطينا أنواع تسهم في التصنيف.

المؤرخ الآثاري الفرنسي جيم جاردن (Jean-Claude Gardin) والذي كتب من المؤلفات والمقالات في نظريات علم الآثار ومناهجه مثل كتاب (Archaeological Constructs) (1980م)، باللغة الإنجليزية، والذي ضمن فيه آرائه في التصنيف حيث يرى أن الهدف الرئيسي للتصنيف هو أداة مساعدة لمعرفة الثقافة التاريخية وليس هناك احتمالات أخرى في هذه الناحية. يُعد جاردن من أوائل من أدخلوا الحاسوب في علم الآثار في فرنسا إلا أن مناقشاته حول هذا الموضوع كانت قليلة بالإضافة إلى إنه كان الشخص الوحيد الذي تعرف على العلاقة الجدلية في تأسيس فكرة النوع والعلاقة الاسترجاعية بين الأشياء الملموسة وفكرتنا عنها (William, 1991: 86).

وعند الإشارة إلى محدودية جاردن (Claude Gardin)، في معرفة أهداف أخرى غير الأسباب التاريخية لتصنيف الأدوات نرى أنه غامض إلى حد ما في إيضاح العلاقة بين التصنيف والتفسير، وأيضاً أخفق مثل غيره من الأمريكيين في التفريق بين تصنيف الأدوات وتصنيف الثقافة (Artifact Typologies and Cultural

(Classification)، بالإضافة إلى بعض المعاني والمصطلحات التي استخدمها، والتي هي غير واضحة للمهتمين في هذا المجال.

ويلاحظ أن الجدل في موضوع التصنيف لم يكن قائماً فقط في أمريكا وفرنسا وبريطانيا وإنما كان هاجساً أيضاً عند الكثيرين من علماء الآثار في أماكن مختلفة من العالم، فالآثاري الروسي ليو كلجن (Leo Klejn)، الذي يُعد من أميز المختصين في فترات ما قبل التاريخ في روسيا وشرق أوروبا كان أحد الذين اهتموا بالتصنيف بوصفه قضية آثارية وقد أخرج أعمالاً في هذا المجال ومنها كتابه التصنيف الآثاري (Archaeological Typology, 1982).

(William, Y, 1991:86-87)

يُشير آدمز و آدمز (Adams and Adams) إلى أن هناك ثلاثة مفاهيم خاطئة

فيما يتعلق بالتصنيف الآثاري وهي:

1. سوء فهم للطبيعة الأساسية للنظرية الاجتماعية.
2. سوء فهم للعلاقة الصحيحة بين النظرية والمنهج.
3. سوء فهم لطبيعة التصنيف في حد ذاته.

ناقش آدمز و آدمز النظرية الاجتماعية وعلاقتها بنظرية العلوم الطبيعية وتأثير الثانية على الأولى، وأشاروا إلى أن العلوم الاجتماعية ما زالت تفقدها النظرية وليس المنهج وهذا عكس العلوم الطبيعية.

وبالتالي ظهر لدى آدمز و آدمز نوع من الشك في أن شروط النظرية الفلسفية في العلوم الطبيعية وإمكانية تطبيقها بحذافيرها على العلوم الاجتماعية وأشاروا أيضاً إلى أن هناك فجوة فيما بين النظرية الآثارية وتنفيذ المنهج في التصنيف والتطبيق الفعلي للتصنيف (Adams and Adams, 1991: 90).

هذا بالطبع لا يعيب النظرية الآثارية في حد ذاتها، لأنه ساد في علم الآثار، منذ القرن التاسع عشر الميلادي، أكثر من نموذج فكري، مثل: التطويرية، والتطورية الحديثة، والوظيفية ومع وجود هذه النماذج والنظريات المختلفة، استمر التصنيف

مستخدمًا في علم الآثار.

أكد آدمز و آدمز أيضاً أن الجانب النظري ليس في الواقع مقابلًا للجانب العملي وهو التصنيف كما تشير العلاقة الجدلية بينهما، فالتصنيف يمكن أن ينظر إليه بوصفه شيء قائم بذاته وليس بالضرورة أن يقدم تفسيراً حول الظاهرة الثقافية، ولكن يظل التصنيف ضرورياً بوصفه نقطة بداية لتطوير النظرية، وبالرغم من أن التصنيف يمر بعلاقة جدلية مع النظرية ولكنه في حد ذاته ليس بنظرية (Adams and Adams, 1991: 91).

وإذا نظرنا إلى ظهور التيار الحديث لعلم الآثار بعد عام 1960م والمناداة بأهداف جديدة مثل الدراسة والبحث في حركة الثقافة وكذلك تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع، وأمور الفكر والأيدولوجيا ودورها في تكوين وتطور الثقافة، وأيضاً التركيز على التغيير الثقافي وتفسير الظاهرة الثقافية بدلاً من وصفها فقط. إن الابتعاد عن التصنيف الآثاري كقضية آثارية لا يعني تركه ولكن استخدامه على أسس ومبادئ ومناهج جديدة متطورة موجهة لتحقيق أهداف معينة. كما أن استخدام الحاسوب ودوره في عملية التصنيف الآثاري قضية مهمة قد تساعد في حل الكثير من الجدل حول التصنيف واختلاف الآراء فيه.

مشكلات التصنيف الآثاري:

التصنيف الآثاري كما ذكر سابقاً هو ترجمة لبعض الحقائق الموجودة في المخلفات الأثرية، وقد يكون التصنيف مبنياً على الآراء والأفكار التي يكونها الآثاري بعد دراسته وتصنيفه للأدوات، فخارية كانت أو غيرها. قام الآثاريون بتصنيف الأدوات بهدف إجراء المقارنة بين هذه الأدوات في الموقع الواحد، أو المواقع المختلفة ومن خلال ذلك يستطيعون فهم العلاقات الثقافية والتسلسل التاريخي والتنوع الاختلافي لتلك المعثورات.

صاحبت هذه المحاولات المبكرة للتصنيف الآثاري بعض السلبيات التي منها عدم تحديد المواصفات التي اتبعها المصنفون في عملية التصنيف حتى يستفيد منها من يريد

القيام بعمليات التصنيف فيما بعد، وحتى يضمن تكرارها والحصول على النتيجة نفسها، وأيضاً تأثر عمل هؤلاء الأوائل من الأثاريين للتصنيف بالانطباع الشخصي والتجربة الذاتية وبالتالي كثيراً ما تكون المعلومات التي جمعت عبارة عن تسجيل للعلاقة (الانطباعية) بين الباحث والأشياء التي جمعها.

ويستعمل غالبية الأثاريون أسس ربما غير واضحة لتصنيف المعثورات، وكما أنه لا يوجد هناك اتفاق عام بين جميع علماء الآثار على نظام تصنيف واحد لمجموعات الآثار، وبذلك قد يتفاوت التصنيف في العديد من الجوانب والتفاصيل، وأيضاً الاستنتاجات التي ربما لا تكون صحيحة، والتي تأتي ربما من الافتراضات الخاطئة، وذلك لأن طريقة التصنيف أحياناً تكون غير قياسية للمادة بعد الدراسة وأيضاً احتمالات التطابق والاختلاف بين أنظمة التصنيف المختلفة. ومن مشكلات التصنيف الأثاري أيضاً إهمال العناصر المؤثرة الأخرى في فهمنا للثقافات القديمة.

كما أن الاعتماد على الأدوات وحدها في عملية التصنيف فيه شيء من النقص، لأن المعثورات هي جزء فقط من ظواهر ثقافية كثيرة وبالتالي لا يجب أن تكون الأدوات هي محور التفكير الأساسي أو الوحيد للأثاري، وكما أنه عن طريق التصنيف وحده، لا يمكن الوصول إلى نتائج مرضية ومقنعة حول فهم تطور الثقافات القديمة والعلاقات والنظم الثقافية بين المجتمعات.

يظل التصنيف الأثاري قائماً مهما تخلله من مشكلات وسلبيات يؤدي أهداف معينة يستفاد من خلالها الوصول إلى معلومات وإن كانت هذه المعلومات محدودة. كما أن للتصنيف أهداف مختلفة بعضها أهداف عملية واضحة والآخر يضعها

الباحث نفسه حسب ما يراه مناسباً لما يقوم به.

أهداف وأنواع التصنيف:

أولاً: أهداف التصنيف:

قسمت أهداف التصنيف، بشكل عام، إلى أهداف أساسية وأهداف عملية

(Sharer, 1979:276-277).

1. الأهداف الأساسية وتتلخص في الآتي:

- أ - الوصف: ويعتمد على السمات والظواهر المرئية للمواد المراد تصنيفها.
- ب - المقارنة: ويتم ذلك عن طريق عمل مقارنات تصنيفية من مواقع ومناطق مختلفة، أوفترات وحقب مغايرة.
- وبالرغم من أن الهدفين المقارن والوصفي هما وسيلة معلوماتية، فقد يكونان في بعض الأحيان متضادين أو يحدث صراع بينهما. فالتصنيف الوصفي يعتمد على مجموعة واحدة، بينما الهدف المقارن وجد لمقارنة مجموعات مختلفة.
- وإذا كانت المقارنة من الناحية الكمية فهنا يدخل الهدف الوصفي أيضاً في عملية التصنيف ويصبح ضرورياً ومهماً.
- ج - التحليل: ويعتمد على طرح أسئلة واستفهامات متعددة للمواد المراد تصنيفها مثل متى؟ وكيف؟ ولماذا؟ وجميع هذه الاستفهامات تعطي تحليلات وأهداف حقيقية لعملية التصنيف، كما أن كل سؤال من هذه الأسئلة يمكن أن يقود إلى أنواع مختلفة للتصنيف معتمداً على دراسة السمات المختلفة.
- د - التفسير: ويقصد به الأشياء بعد تصنيفها، حيث لا تقتصر اهتمامات الأثاريين وعلماء الأنثربولوجي على المواد المكتشفة فقط، وإنما أيضاً على أفراد المجتمع الذين صنعوا هذه المواد ومستعمليها. ومن هنا يصبح التصنيف بهدف تفسير حياة المجتمع بما فيه من أدوات ومصنوعات وظواهر أخرى من أهم الأسس لفهم المجتمع الذي استخدم تلك المعثورات.
- هـ - التأريخ: ويقصد به الوصول إلى معلومات زمانية من خلال التصنيف الذي يضع هذا الهدف، بمعنى دراسة التطورات والتغيرات التي حدثت في الزمان والمكان لأشياء مختلفة، وقد قامت دراسات تصنيفية متعددة للوصول إلى تحليل التغيرات التي حدثت في صناعات معينة، خلال القرون التاريخية في

كثير من المجتمعات القديمة والبدائية، وخير مثال لذلك تصنيف الفخار.

2. الأهداف العملية وتقسم إلى:

أ - الهدف المساعد: ويستخدم للوصول إلى أهداف أخرى حقيقية يضعها الباحث أو المصنف للأدوات.

ب - الهدف الطارئ: ويقصد به ما يحدث أثناء التصنيف الذي يتم فقط بوصفه وسيلة عملية يمكن من خلالها تأريخ مجموعات معينة من غير وجود أهداف معينة، فتظهر بذلك أثناء عملية التصنيف أهداف لم يكن مخطط لها أصلاً.

ج - الأهداف المتعددة: ويقصد بها تعدد الأهداف أثناء عمليات التصنيف، ويمكن من خلالها الوصول إلى معلومات مختلفة لمجموعات واحدة حسب خطة الباحث أو الدارس لتلك المجموعات.

د - يقسم فيجن (Fagan) أهداف التصنيف إلى ثلاثة هي:

(1) وضع المعلومات بطريقة منظمة، وهي الخطوة المبدئية والأولية في تحليل المعلومات، وتقوم عادة على تقسيم المعثورات على أساس المواد الخام مثل (الحجر - العظام وغير ذلك) أو حتى فصل الأدوات عن بقايا الطعام مما يساعد في خطوة تالية إلى التصنيف المفصل والموسوع.

(2) وصف النوع، وذلك بمعرفة السمات أو الخصائص الفردية للأدوات ويستطيع الأثاري أن يصنف تلك المعثورات حسب السمات المشتركة، أو العامة إلى أنواع قليلة إلى حد ما، وتمثل هذه الأنواع أنماط مختلفة، ويساعد هذا على وصف المجموعات الكبيرة من الأدوات.

(3) معرفة أو تعيين العلاقة بين الأنواع ووصفها، لإعطاء ترتيباً تسلسلياً للعلاقة بينهما (Fagan, 1991: 130).

ثانياً: أنواع التصنيف:

هناك أنواع مختلفة من التصنيف، وهي متداولة بين علماء الآثار، ومن هذه

الأنواع، التصنيف الوظيفي، والتصنيف الشكلي، والتصنيف المعتمد على المعلومات لصناع المعثورات أنفسهم، ويهدف هذا النوع من التصنيف إلى معرفة الإدراك الحسي والذهني لدى هؤلاء الحرفيين. وهناك أيضاً التصنيف المنهجي القائم على أساس ما يضعه الباحث من أهداف.

أنواع التصنيف من الموضوعات الجدلية التي أثرت أيضاً في قضية التصنيف الآثاري بشكل عام، ومدى فاعلية هذه الأنواع بوصفها أداة بحث في علم الآثار، وكطرق علمية يمكن من خلالها الوصول بنتائج منطقية في التنوع الاختلافي للأدوات والمعثورات الأثرية المختلفة، وأيضاً هل هناك أهداف حقيقية يمكن تحقيقها عن طريق تنوع التصنيف، وهل هناك نوع أفضل من آخر.

وهناك أيضاً جدل ونقاش حول الاكتشاف والاختراع في موضوع أنواع التصنيف، والجدال يدور حول التصنيف الطبيعي والتصنيف الصناعي بمعنى هل الأشياء مصنفة في حد ذاتها في الطبيعة أم أن الإنسان قام بتصنيفها.

انقسم المهتمون بهذا الموضوع إلى فريقين:

فريق يؤمن بأن الأنواع هي موجودة بشكل طبيعي دون تدخل من الإنسان في ذلك، وإنما هو اكتشفها كما هي (ومثال ذلك الكائنات الحية والنباتات بمختلف أنواعها). هؤلاء هم مؤيدو التصنيف الطبيعي. الفريق الآخر يرى بأن الأنواع هي ابتداء أكثر من أنها اكتشاف (ومثال ذلك تصنيف الكائنات الحية إلى مجاميع محددة تحمل خصائص مشتركة مثل الفصيلة، الجنس، النوع وهكذا).

وهناك من يرى أن الأنواع ربما تكون جزئياً مبتدعه وجزئياً مكتشفة (ومثال ذلك التصنيف في علم الجيولوجيا. صخور، معادن)، وبشكل عام يمكن القول بأن البيئة قد أوجدت بعض النماذج، ولكن المصنفون اختاروا من هذه النماذج التي تتصف ببعض النقص من ناحية المعلومات، وذلك لأسباب تهمهم وأيضاً نحن الذين وضعنا أو رسمنا حدوداً بين هذه النماذج الموجودة في البيئة لغرض التصنيف، بينما هي لم تكن موجودة في الأصل، كما أن الدرجات بين الإبداع والاكتشاف قد تتباين أو تختلف من

نوع إلى آخر ولكن بنفس النظام.

تصنيف النوع أيضاً من النقاط المهمة في موضوع التصنيف الأثاري، ولذلك يرى الباحث من الأهمية بمكان التطرق لهذا الجانب هنا، وكما يقول آدمز وآدمز، عندما نقوم بالتصنيف دون أن تكون هناك أسباب معينة لهذا التصنيف، دائماً ما ينتج عن ذلك أنواع كثيرة ربما تكون مفيدة أو غير مفيدة.

وللأنواع خاصيتان هما الهوية والمعنى، وتكمن هذه الهوية بالخاصية الحقيقية للنوع، بينما يتكون المعنى بالخاصية الخارجية للنوع. والتصنيف العملي لأبعاد الأنواع لا يتم على أساس الاعتماد على الخاصية الحقيقية وحدها.

ويجب أن توصف الأنواع قبل تحديد الفائدة منها، فقد حدد آدمز وآدمز موقفهما الفكري فيما يتعلق بالأنواع، وهو أن الأنواع يمكن أن تعدّ على أسس لتحقيق هدف معين، ومثال ذلك فخار النوبة الوسطى، الذي كان الغرض من تصنيفه ودراسته تحديد الزمان بالنسبة للموقع، الذي يعود إليه الفخار، وبالتالي يصبح الفخار مؤشراً لشيء آخر يقع خارج صفاته بوصفه نوعاً.

ويمكن أن يُعرف النوع بأنه مجموعة أبعاد وخصائص مادية وذهنية متصلة ومتداخلة في آن واحد، ولكل واحد منها عدد من العناصر الداخلية (Adams and Adams, 1991: 180).

وتحدد الأنواع بطرق مختلفة منها:

1. جمع الأنواع في مجموعات أو تقسيمات أدق وذلك باستخدام الحاسوب.
2. ترتيب الأنواع على أساس كرونولوجي.

أدرك علماء الأحياء كما يقول هكسلي (Huxley) بأنه لا يوجد هناك معيار أو مقياس واحد للعينة، وبعد فترة من الزمن بدأ الأثاريون يعرفون أيضاً أن ذلك صحيحاً في تصنيف معظم الأدوات، وخاصة تصنيف الفخار (Huxley, 1978: 120).

ولعل أحد الإشكالات التي يراها الأثاريون في قضية النوع وتصنيفه، بالإضافة إلى ما سبق ذكره من جدل حول هذا الموضوع، هي كيف يمكن أن تحدد الأنواع؟

ويأتي السؤال لعدة أسباب منها:

أولاً: أن الكثيرين من الأثاريين يضعون بعض التأثيرات من ثقافتهم على المواد الأثرية. ثانياً: الأسماء التي يسمى بها الأثاريون المعثورات المكتشفة، وأنواع الفخار: هل هي فعلاً بنفس الاسم، أو المعنى عند المجتمعات القديمة؟

ثالثاً: تصنيف النوع على أساس الوظيفة قد يشوبه بعض الإشكالات، ذلك لاختلاف النظر إلى الوظيفة من ثقافة لأخرى، بالإضافة إلى التنوع الثقافي ومحدودية معرفة الأثاري بالأسباب وراء كل خاصية أو سمة في الثقافات القديمة.

رابعاً: قد تصنف الأنواع على أساس افتراضي من أجل البحث والدراسة في التنوع الثقافي، الذي تعكسه المادة قيد الدراسة، وحيث إن بعض هذا التصنيف قد يعتمد على الخبرة في اختيار السمات المميزة التي يعتقد أنها مناسبة، ولكن إذا لم يتوفر تعريف للنوع، فقد يصبح من الصعب إعادة التصنيف على تلك الأسس.

خامساً: لا بد من تحديد التعريف لأنواع التحليل ويقصد هنا تحليل المعثورات حتى يمكن الحصول على مقارنات موضوعية ومفيدة، بمعنى أن تحدد معالم التنوع في السمات بالنسبة للنوع المعين.

ومتى ما وجدت هذه السمات يتحدد النوع، وقد توجد أدوات تقع بين نوعين فإما أن تضاف لأحدهما، أو ينشأ نوع ثالث.

الخلاصة والنتائج:

نستخلص مما سبق أن التصنيف هو أحد الوسائل التقريبية لتحديد تاريخ الثقافات القديمة ويمثل حجر الأساس في العمل الأثاري، حيث من المعروف أن الخطوة الأولى لفهم المادة الأثرية من وجهة نظر الأثاريين تتم من خلال تصنيفها وتبويبها في أنواع حسب مواصفات يضعها الباحث منذ البداية، كما أن هذا الأسلوب يعد أساس المعرفة في العلوم الطبيعية حيث يعطي النظام للأشياء المتنوعة في الكون ويبسط الأشياء المعقدة، إضافة إلى أنه أداة لترتيب مراحل الثقافة، اعتماداً على مدى انتشار نوع أو أنواع معينة من مخلفات تلك الثقافة، وهكذا فأهمية التصنيف الأثاري لا تنحصر في

ترتيب المعثورات الأثرية في مجموعات متسلسلة فقط وإنما محاولة أيضاً لفهم المنظومة الثقافية للحضارات والمجتمعات حيث غالباً ما تشكل البقايا الأثرية جزءاً أو إنعكاساً لها.

ويمكن القول بأن الاتجاه الحديث لعلماء الآثار، فيما يتعلق بالتصنيف الآثاري، يطالب بوضع أسس مناسبة لتحديد الصفات التي على ضوئها يتكون النوع، بحيث يمكن التقليل من دور الخبرة الذاتية والأحكام التي قد تصدر من الباحثين، وأيضاً إمكانية دراسة نفس المادة المصنعة من قبل آثاري آخر. وتكون النتيجة واحدة دون اختلافات استخدام التحليل، أو التصنيف، الذي يقوم على تنوع المتغيرات، والذي يتطلب استخدام الحاسوب، والاستفادة من البرامج المعتمدة على المعادلات الرياضية والإحصائية حتى يمكن بذلك الاقتراب من التصنيف المحدد، والذي يؤدي بالتالي إلى نتائج علمية يمكن الاستفادة منها.

ولعل النتائج الأخرى التي يمكن إدراجها هنا أيضاً هي أن الجميع يتفق على ضرورة التصنيف الآثاري وأهميته في العمل الآثاري، ولكن ضمن أطر ومنهج علمي يحقق الهدف وهو الاستفادة من التصنيف الآثاري في مجال علم الآثار لقراءة وفهم أطلال الماضي وإبداعات الإنسان المختلفه عبر المراحل التاريخية والحضارية. ومن التصورات والأفكار التي يمكن اقتراحها لتسهم في معالجة مشاكل التصنيف الآثاري:

1. أن يكون شاملاً بحيث يغطي أوجه الموضوعات التي يعرضها ويسمح ربما بالإضافة المستقبلية، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، دون إفساد للتتابع العام للتصنيف المتبع.
2. أن يحتوي التصنيف على نسق ومنهج منطقي بحيث يعرض تتابع المفاهيم وتسلسلها بوضوح.
3. أن يقدم روابط واضحة وذات معنى بين الأشياء التي يتم تصنيفها.
4. الابتعاد عن التأثير الشخصي من جانب الباحث في عملية التصنيف.

5. أن يستخدم مصطلحات واضحة وذات معنى للمصنف نفسه والمستفيد من هذا التصنيف.
6. أن لا يكون التصنيف هو الهدف بحد ذاته وإنما وسيلة يمكن للآثاري من خلالها الوصول إلى تفسيرات ودراسات للظواهر الثقافية للمجتمعات.
7. وضع مناهج وأسس متطورة تحقق للتصنيف الآثاري أهداف معينة.
8. الاستفادة من الحاسوب في عمليات التصنيف الآثاري والذي سوف يساعد بدرجة كبيرة على حل مشكلة الأنواع وتداخلاتها في الشكل والخصائص.
9. التصنيف جزء أساسي ومهم في علم الآثار، ولا يمكن الاستغناء عنه، وسيظل مع الآثاريين طالما هم يدرسون مخلفات الماضي.
10. علم الآثار ما زال وسيظل يعتمد على التصنيف وخاصة في تحديد الزمان والمكان. ختاماً يتقدم الباحث بجزيل الشكر والتقدير الى عمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود لدعمها المتواصل للباحثين بالجامعة والشكر موصول الى مركز البحوث بكلية السياحة والاثار للدعم الذي قدمه لإنجاز هذا البحث وتشجيعه المستمر لأنشطة العلمية والبحثية للباحثين من أعضاء هيئة التدريس وطلاب وطالبات الدراسات العليا بالكلية.

المراجع

أولاً: اللغة العربية:

1. الحديدي، خالد، (1969م)، فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
2. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (1984م)، تصنيف ديوي العشري، تونس.
3. بدوي، فتحي عفيفي، (د.ت)، علم الآثار، الجزء الأول، في مفهومه ومراحل تطوره التاريخية، الطبعة الأولى، مطبعة حسان، القاهرة.

ثانياً: المراجع الاجنبية:

1. **Admas, William Y. and Admas, Erenst W.**,(1991), Archaeological Typology and Practical Reality, Cambridge University Press, Cambridge.
2. **Barnawi, Bakr M.**,(1986), The Spear Thrower: An Examination of the Collection of Spear Throwers in the Material Cultural. Unit. Unpublished Research James Cook University. Townsville.
3. **Benedict, Ruth**,(1934), Patterns of Culture, Boston: Houghton Mifflin co.
4. **Binford, Sally R., and Lewis R.**, (1968), New Perspectives in Archaeology. Chicago: Aldine.
5. **Binford, Francois**,(1973), "on The Chronology and Contemporaneity of different Palaeolithic Cultures in France" in The Explanation of Culture Change: Models In Pre-history. Edited by Colin Renfrew, pp.217-26. Pittsburgh: University of Pittsburgh Press.
6. **Clark David**,(1968), Analytical Archaeology, Methuen and co., London.
- F. **Petrie**,(1902), "Prehistoric Egyptian Carvings, Man Zno. 113, (161-62.)
7. **Fagan, M. Brain**,(1978), In the Beginning An Introduction to Archaeology 3rd Edition. Little, Brown and Company, Boston.

8.Fagan, M. Brain,(1991), "Archaeology" A brief Introduction,Havpen Collins Publisher, new York.

9.Fagan, M. Brain,(2000), Ancient lives An Introduction to Method and Theory in Archaeology, Prentice–Hall International (UK) Limited, London.

10.Ford, J. A,(1954), On TheComcept of Types, American Anthropologist, 56, (42–64.)

11.Freemen, Derek,(1983), Margaret Mead and Samoa: The Making and Unmaking of an Anthropological Myth, Cambridge. Harvard University Press.

12.Gallay, A,(1998), Mathematics and Logicism in Archaeology: A Historical approach. In: TABACZYNSK (s), ed. Theory and Practice of Archaeological research, 3: dialogue with the Data The Archaeology of Complex Societies and its Contest in the 90. Warszawa: Inst. Of Archaeology and Ethnol., Committee of pre–and ProtohistOricSci, Polish Acad. of Sci, (115–137).

13.Kluckhohn, Clyde,(1951), "Values and Value– Orientations in The Theory of Action: An exploration in Definition and Classification" in T. Parsons E. Shils (Eds) Toward a General Theory of Action. Cambridge, MA Harvard University Press.

14.Sharer, Robest. J. and Ashmore, Wendy,(1979), Fundamentals of Archaeology. The Benjamin/ Cummings

Publishing Company, London.

15.Siegel, Peter, E.(1996), An Interview With Lrving Rose. Current Anthropology, 37, (671–689.)

16.Spaulding, A. C.,(1953), Statistical Techniques for the Discovery of Artefact Types. American Anthropologist, 18, (305–313.)

17.T. H. Huxley,(1978), Man's Place in Nature, Lincoln: University of Nebraska Press.

18.Bloom, Allan, (1991), The Republic of Plato, Second Edition, Basic Books, Chicago.

19.William, Y, Adams and Ernest, W, Adams,(1991), Archaeological Typology and practical Reality: A Dialectical to Artifact Classification and Sorting, .20Cambridge University Press, Cambridge.

السياحة الأثرية في السودان: المتاحف نموذجاً

بروفيسور عبد الرحيم محمد خبير

قسم الآثار – كلية العلوم الإنسانية

جامعة بحري

مقدمة:

موقع السودان الاستراتيجي في قلب القارة الأفريقية وغناه بالموارد الطبيعية (محميات طبيعية وثروات حيوانية ونباتية ومنتجعات سياحية) والثقافية المتمثلة في التراث المدرس (الآثار) والمعاش (الفلكلور) يجعله دون شك مركزاً مهماً للجذب السياحي. ولعل من نافلة القول أن العصر الحديث قد تميز بإهتماماته السياحية والتي تعتمد في تطورها على مجموعة عوامل إقتصادية وإجتماعية وسيكولوجية (نفسية) حتى أصبحت حقاً ومطلباً للإنسان الحديث. ولقد أصبحت السياحة ظاهرة اقتصادية واجتماعية بل وقطاعاً إنتاجياً بالغ الأهمية حيث تدخل في منافسة العديد من القطاعات الإنتاجية الأخرى وبخاصة في الدول النامية وتؤثر بشكل مباشر في النمو الاقتصادي لما تدره من عملات حرة، بل وأصبحت صناعة قائمة بذاتها ونوعاً من تجارة التصدير حيث تشكل أكبر بند منفرد في حركة التجارة العالمية (مصطفى زروق - 1997). وحسب التقارير الحديثة لمنظمة السياحة العالمية فإن مجمل الحركة السياحية في العالم بلغ 635 مليون سائحاً عام 1998 م، إزداد إلى 700 مليون عام 2000 م، وإرتفع إلى مليار سائح عام 2012م أنفقوا تريليون دولار (خالد - 2003 - 16 - 17)، ويتوقع أن يصل الرقم إلى 1.6 مليار سائح بحلول عام 2020 م ينفقون حوالي تريليوني دولار أمريكي. أولاً: مدخل عام

1-1 ماهية الآثار:

يعرف علماء الآثار "الأثر" بأنه (كل ما تركه الإنسان في الزمان الماضي من مخلفات حضارية صنعها أو وجدها واستخدمها بإضافة منه أو بدونها مستفيداً من خبرة عصره وبيئته). ويعتبر أي مخلف أثراً إذا مضى عليه ثلاثمائة عام وذلك حسب تعريف

هيئة اليونيسكو وبذلك يكون وثيقة حضارية تؤدي رسالتها بالوقوف على جوانب مهمة ومتنوعة من الإنجازات المادية وغير المادية للإنسان في الماضي.

وللآثار عدة أهداف يكاد يتفق حولها المتخصصون في هذا المجال لعل من أهمها: أولاً أنها تسهم بقدر وافر في إثراء معرفتنا بالتراث الحضاري الإنساني، ثانياً؛ إنها تُعنى بتفسير مظاهر السلوك الإنساني، كيف ومتى تشكل هذا السلوك استناداً إلى الموجودات المادية؛ ثالثاً تعمل الآثار على تنمية وإذكاء الحس الوطني وربطه بإنجازات ماضيه التليد؛ رابعاً تساعدنا دراسة الآثار على فهم البيئات سواء أكانت طبيعية أو ثقافية؛ خامساً تميّط الآثار اللثام عن ماهية التطورات الكبرى في التاريخ الإنساني مثل اكتساب اللغة ومعرفة الزراعة وتدجين الحيوان والتعدين والاستقرار في القرى والمدن، أي أنه وسيلة لا غنى عنها لمعرفة أطوار الحياة الإنسانية في مختلف الأزمنة والحقب (خبير- 3).

1 - 2 ماهية السياحة:

1 - 2 - 1 السياحة لغة: وتعني الجري على وجه الأرض فيقال ساح الماء، يسيحُ سيجاناً إذا جرى على وجه الأرض. والسياحة هي الذهاب في الأرض للعبادة والترهب. وساح في الأرض يسيحُ سياحةً وسُيوحاً وسَيحاً وسَيحاناً، أي ذهب. والسائح أيضاً هو الصائم. ويرى أهل التفسير واللغة إن الصائم سمي سائحاً لأن الذي يسيحُ مُتعبداً يسيحُ ولا زاد معه، إنما يطعمُ إذا وجدَ الزَادَ. وقد قال تعالى في محكم التنزيل وصفاً للنساء ﴿سَيِّحَتِ نَيْبَتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (سورة التحريم- 5). كما قال جلّ شأنه وصفاً للمؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿الْمُكْمِلُونَ الصِّحْحُونَ﴾ (التوبة- 112).

السياحة: اصطلاحاً

عرّفت الأمم المتحدة ومنظمة السياحة العالمية السياحة على أنها الانتقال الطوعي من مكان الإقامة الدائم إلى مكان آخر بهدف إشباع حاجة أو رغبة". وهناك تعريف آخر اعتمده مؤتمر الإحصاء التابع للأمم المتحدة ومنظمة السياحة العالمية يتلخص في (مجموع نشاطات الأفراد المسافرين والمقيمين في أماكن خارج البيئة المضادة

لمدة لا تتجاوز العام للاستجمام أو المتاجرة أو لأغراض أخرى). وهذا التعريف الثاني لا يحدد مدة الإقامة بأربعة وعشرين ساعة بسبب المتغيرات التي طرأت على السياحة الدولية مثل التكتلات الاقتصادية التي ساهمت في فتح الحدود وأدت إلى إلغاء القيود على السفر بين دول المجموعة الاقتصادية الواحدة، فضلاً عن اعتماد تأشيرات موحدة لهذه الكتلة للدول من خارج المجموعة، مما يسمح بإمكانية قيام السائح بزيارة عدة دول بقصد زيارة منتجع معين أو مدينة لعدة أغراض مثل التسوق أو حضور المهرجانات أو الاطلاع على معالم حضارية (مشاعل قساونة - 2003م - 104).

ثانياً: السياحة الأثرية

2 - 1 زيارة المواقع والمعالم الأثرية

رغم أن السودان غني بمواقعه ومستوطناته ومعالمه الأثرية، إلا أنها لم تستغل سياحياً ولم يستفد منها ثقافياً واقتصادياً بصورة كافية. وإذا قارنا حالنا بالجارّة الشقيقة مصر، نلاحظ أنها استفادت أيما فائدة من آثارها التاريخية في المجال السياحي، فمئات الآلاف من السياح يفدون سنوياً لمصر للاستمتاع بكنوزها الأثرية بسبب العناصر الجاذبة للسياحة من طرق ووسائل نقل وترحيل وسكن (فنادق وموتيلات) ويدعم كل ذلك إعلام سياحي مكثف. وساعدت مجمل هذه الظروف على تطور السياحة بوجه عام والسياحة الأثرية على وجه الخصوص والتي تدر على مصر أحد عشر مليار دولار سنوياً. أما السياحة الأثرية عندنا فلا تزال في مراحلها الأولى إذ لا يتعدى عدد السياح سوى نذر يسير (أنظر جدول: 1). ولا يتخطى دخلها بضعة ملايين من العملات الصعبة.

2 - 1 - 1 أهم المواقع الأثرية

يعتبر السودان من الدول الغنية بمواقعها ومعالمها الأثرية وتشمل المواقع الأثرية كل الفترات التاريخية بدءاً من عصور ما قبل التاريخ وحتى العصر الإسلامي (انتصار صفيرون 1997 - 117 - 128). وتتوزع هذه المواقع في أقاليم القطر المختلفة (أنظر الخارطة: 1).

- 1- مواقع عصور ما قبل التاريخ (300,000 – 3200 ق. م): لا تعتبر هذه المواقع من الجواذب السياحية رغم أهميتها التاريخية والثقافية ومن أبرزها موقع خور أبو عنجة قرب كبري أمدرمان (العصر الحجري القديم)، موقع مستشفى الخرطوم التعليمي والسروراب (العصر الحجري الوسيط) وموقع الشهبان (شمال مدينة أمدرمان) وموقع الكدادة (شمال مدينة شندي) (العصر الحجري الحديث).
- 2- مواقع حضارة كرمة (2500 – 1500 ق. م): وتقع جنوب الشلال الثالث على بعد 240 كم جنوب سمنة. وتعتبر مدينة كرمة من أهم مواقع الجذب السياحي الأثري سيما وأن آثارها البنائية (الدفوفة الشرقية والغربية) تمثل أحد أبرز الآثار الشاخصة لأول مملكة سودانية.
- 3- مواقع الحضارة المروية (900 ق. م – 350 ق. م): ومن أهمها:
 - أ- الكرو: وتضم الجبانة الملكية للملوك الأوائل للدولة الكوشية الثانية أمثال كشتا وبعنخي وشبكا وشبتكو وتهارقا.
 - ب- جبل البركل: ويضم أهم المواقع الأثرية لهذا العهد أبرزها عدد من المعابد والأهرامات وأهمها معبد آمون الكبير.
 - ج- نوري: وتضم جبانات بعض الملوك المرويين وأبرزهم الملك تهارقا الذي تمثل جبانته أقدم المدافن الملكية في هذه المنطقة.
 - د- صنم أبو دوم: وتقع بالقرب من مدينة مروية الحديثة وتضم مقابر مروية ومعبد للملك تهارقا.
 - هـ- مروية القديمة (البحراوية): وتقع في منطقة شندي بالقرب من مدينة كبوشية الحالية ومن أهم آثارها المدينة الملكية، المدافن؛ أكوام ونفايات الحديد.
 - و- النقعة: وتقع على بعد 50 كم جنوب غرب المدينة الملكية في سهل البطانة وتضم قصرًا وسبعة معابد بنيت من الحجر للملك نتكامني وزوجته الملكة أمانيتيري، كما نجد الكشك الروماني الطراز أمام معبد الأسد. (أنظر اللوحة: 1).

ز- ود بانقا: وتقع على بعد 40 ميلاً أعلى النيل من مروى على الضفة الشرقية للنيل. ويوجد بالمدينة معبد وقصر ملكي وصومعة لحفظ الغلال.

4- مواقع العهد المسيحي (543 – 1504 م):

المواقع الأثرية لحضارة العهد المسيحي متنوعة ومتفرقة في أماكن عديدة بشمال وأواسط السودان غير أن أبرزها:

أ- فرس: وتضم آثار مدافن وقلاع ومعابد وكنائس. ونقلت اللوحات الحائطية لبعض هذه الكنائس إلى متحف السودان القومي كما توجد بعض آثار فرس في متحف وارسو ببولندا.

ب- دنقلا العجوز: وهي عاصمة مملكة المغرة المسيحية ومن أبرز آثارها كنيسة دنقلا العجوز وعدد من الكنائس والرسوم الجدارية.

ج- سوبا شرق: وهي عاصمة دولة علوة آخر الدويلات المسيحية في السودان وتقع جنوب الخرطوم. ومن أهم آثارها بعض الكنائس والمدافن والفخار.

5- مواقع العصر الإسلامي (1504 – 1821 م):

أبرز آثار هذا العصر:

أ- مدينة سنار: تقع على بعد 300 كم جنوب شرق الخرطوم وهي عاصمة مملكة الفونج الإسلامية. وتعتبر سنار القديمة من المواقع الإسلامية التي أهملت حتى زالت مبانيها السطحية لطروف طبيعية وبشرية. وأبرز آثار هذه المملكة المدن والقباب ذات اللون الأبيض.

ب- مدينة سواكن: وهي من أجمل الآثار الإسلامية في شرق السودان وتمتلك طرازاً معمارياً ذا طابع تركي - مصري. وقد أجريت على المدينة الأثرية صيانة وترميم بمساعدة منظمة اليونسكو.

ج- عين فرح: وتقع في شمال دارفور بغرب السودان على بعد 40 كم من مدينة كتم. وتعود مدينة عين فرح لمملكة التجور الإسلامية التي زدهرت من القرن الثالث عشر وحتى السادس عشر الميلادي واستمرت هذه المدينة لفترات تاريخية لاحقة. وأهم آثارها جامعان وقصر وعدد من المباني.

2 - 1 - 2 زوار المواقع الأثرية

يرتبط الموسم السياحي في جميع بلدان العالم بطبيعة الطقس، فالشهور التي يكون فيها الجو معتدلاً هي أكثر الأوقات مناسبة للسياحة سواء آكانت بغرض الإستمتاع بالمناظر الخلابة أو لمعرفة المواقع والمعالم الأثرية أو للترويح عن النفس والتعرف على عادات وتقاليد الشعوب.

وبالنسبة للسياحة الأثرية في السودان ومن خلال بيانات الهيئة القومية للآثار والمتاحف (أنظر جدول: 1) نلاحظ أن نهاية شهر مارس وحتى يونيو يصبح فيها الجو قاتظ الحر وتتحسر بالتالي أعداد السياح كما تستمر نسبة الانحسار في فصل الخريف (يوليو - سبتمبر) بسبب صعوبة المواصلات سيما وأن معظم الطرق المؤدية للمواقع الأثرية غير مسفلتة (ترابية) مما يعوق التنقل وانسياب الحركة السياحية.

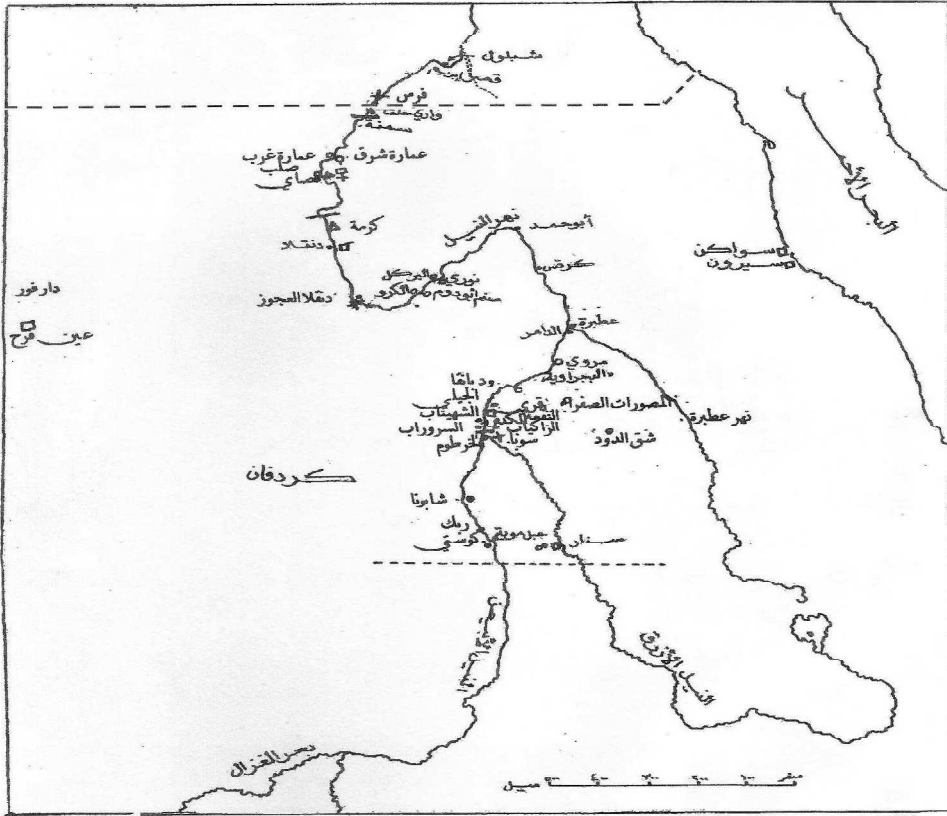
وهناك نوعان من الزيارات للمواقع والمعالم الأثرية في السودان: زيارات إكرامية: ويقصد بها زيارات منسوبي الدوائر الحكومية والسفارات والمنظمات والجامعات وكليات الآداب (أقسام التاريخ والآثار) والهندسة (قسم المعمار). ويلاحظ من خلال إحصائية زوار المتاحف الأثرية بالسودان للأعوام (2000 - 2013 م) (أنظر جدول: 1، أشكال 1- 4) أن نسبة السياح قد ازدادت بشكل لافت للنظر. ويستبان من الإحصائيات المتوفرة (أنظر جداول: 2 - 3) أن هناك زيادة مضطردة في عدد زوار المتاحف خلال السنتين الماضيتين (2012 - 2013 م). ونجد أن هناك إنحسار في عدد زوار المتاحف من الأجانب في الأعوام (2003 - 2004 م) ربما بسبب تداعيات حرب الخليج الثالثة بمنطقة الشرق الأوسط (أنظر الشكل: 3). ورغم أن عدد السياح السودانيين الذين زاروا المواقع والمعالم الأثرية خلال العشر سنوات الماضية مقارنة بنظرائهم الأجانب قليلاً (خبير- 2005 - 118 - 119)، إلا أن نسبتهم قد إزدادت بشكل لافت للنظر خلال الأشهر القليلة الماضية. ويشير ذلك إلى أن الوعي السياحي في السودان قد بدأ يرتفع تدريجياً.

وتشير تفاصيل بعض الإحصائيات الرسمية أن الفرنسيين من أكثر الجنسيات الأوروبية التي زارت السودان خلال السنوات القليلة الماضية بغرض السياحة وذلك لوجود بعض الشركات الفرنسية العاملة في عدد من المشاريع الاستثمارية وبسبب الانفتاح الثقافي لفرنسا والتمثل في المراكز الفرنسية ومعاهد تدريس اللغة الفرنسية، فضلاً عن وجود وحدة الأبحاث الفرنسية للآثار العاملة ضمن برامج المسوحات والحفريات للهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية (خبير، 2005 - 115).

2-2 زيارات المتاحف الأثرية

المعروف أن المتحف يساهم في تلبية رغبات السياح في المعرفة والاطلاع والإكتشاف، فيحرص السياح على زيارته والاطلاع على مجموعاته الأثرية. ولا ريب أن المتاحف في جميع أنحاء العالم تتنافس في سبيل جذب أفواج السياح إليها وإغرائهم بكل ما يسرهم ويبهجهم ويجعلهم يحتفظون بأروع الذكريات والانطباعات عن زيارتهم ورحلاتهم وكتاباتهم (بشير زهوي، 1998م، 66).

وتشير البيانات الإحصائية المتوفرة (أنظر الجدول:1، أشكال1-4) إلى أن عدد زوار متحف السودان القومي قد ازداد خلال الثلاثة عشر عاماً الماضية بصورة لافتة كما زاد عدد الوفود الأجنبية. ويمثل الزوار جميع الفئات العمرية (طلاب زائداً زوار آخرين). وهذه الفئات العمرية تبدأ من سن رياض الأطفال (3 - 5 سنة) ومرحلة الأساس (6 - 15 سنة) حتى المرحلة الجامعية (16 - 23 سنة). هذا فيما يخص الطلاب، أما الفئات العمرية الأخرى من المواطنين والزوار الأجانب فيمثلون أعماراً مختلفة. وتجدر الإشارة إلى أن الفئات العمرية للطلاب تتحقق فيها أهداف المتحف الرئيسية المتمثلة في التعليم والتربية والتثقيف والترفيه. أما بقية المواطنين فعادةً يزورون المتاحف وبخاصة متحف السودان القومي بغية الترفيه والتعرف على ما يحتويه من موجودات أثرية. ولا بد من التنويه إلى أن متحف السودان القومي أصبح قبلة لكل ضيوف البلاد وكبار الزوار خاصة وأنه يمثل الواجهة الحضارية للوطن.



- المفتاح
- مواقع حضارات عصور ما قبل التاريخ
 - ▲ مواقع حضارة كرمة
 - ⊗ مواقع الحضارة المروية
 - ⊕ مواقع العهد المسيحي
 - ⊠ مواقع العصر الإسلامي

خارطة: 1 = أهم المواقع الأثرية في السودان

أما المتاحف الولائية (أنظر الجداول: 2- 3، أشكال: 5- 6)، فهي تشمل متاحف البركل وكرمة (الشمالية)، شيكان (الأبيض) والسلطان علي دينار (الفاشر) فالزيارة فيها بدون رسوم تأكيداً لرسالة المتحف الثقافية والتربوية. ويتضح من إحصائيات الأعوام الأخيرة (2012- 2013م) أن هناك إزدياد ملحوظ في عدد الزوار من المواطنين كما وأن نسبة الزوار الأجانب شكلت ارتفاعاً بارزاً في العام 2013م مقارنة بالعام السابق له.

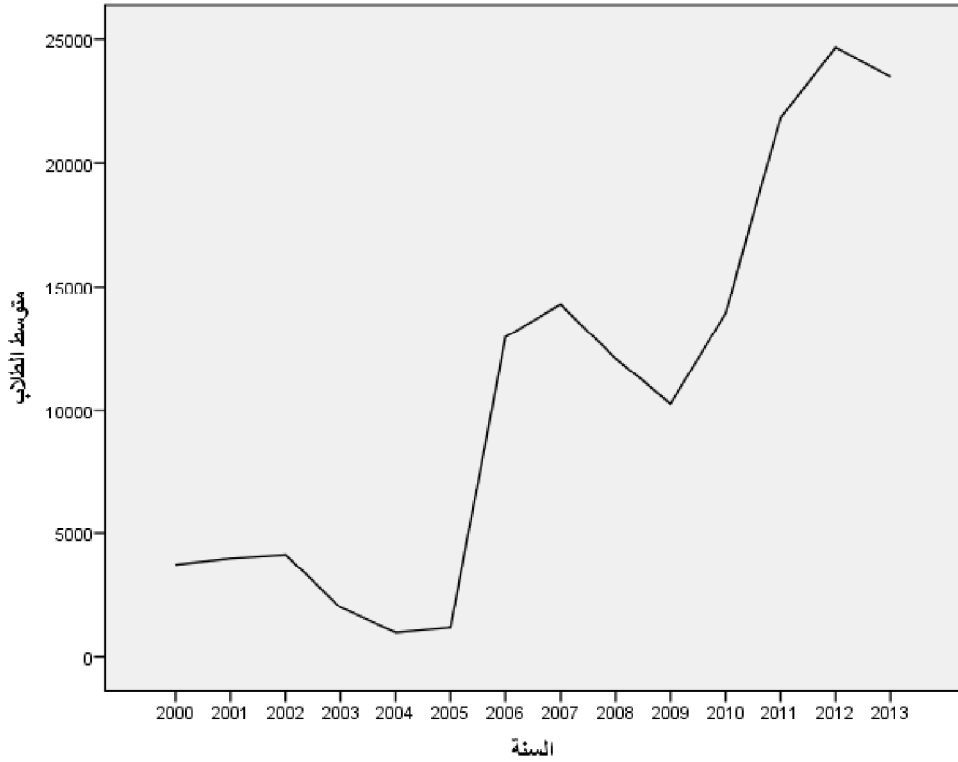
تفتح المتاحف أبوابها للزوار جميع أيام الأسبوع عدا الاثنين الذي يمثل يوماً عالمياً للمتاحف بالإضافة إلى العطلات الخاصة والمناسبات الدينية. وهناك فترتان للزيارة صباحية وتبدأ من الساعة التاسعة وتنتهي عند الساعة الواحدة والنصف وأخرى تبدأ من الواحدة والنصف وتنتهي عند الساعة السادسة والنصف. أما يوم الجمعة فتبدأ الفترة الأولى من الساعة التاسعة صباحاً وتنتهي عند الساعة الثانية عشرة ظهراً والثانية من الثالثة ظهراً وحتى الساعة السادسة والنصف مساءً.

جدول: (1) إحصائية زوار متحف السودان القومي (2000 - 2013م)

أفراد	عدد الوفود	الوفود	الزوار	الطلاب	المدارس	فترات الزوار السنة
250	25	19875	3750	120	2000	
230	23	11394	4000	90	2001	
270	27	12785	4150	121	2002	
150	15	8580	2000	130	2003	
-	-	492	1000	180	2004	
120	12	13386	1200	145	2005	
320	32	17300	12972	111	2006	
450	45	20190	14279	139	2007	
500	50	21214	12104	162	2008	
250	25	23163	10266	149	2009	
400	40	22770	13927	281	2010	
620	62	25084	21829	446	2011	
580	58	25525	24681	520	2012	
2363	55	30895	23495	432	2013	

❖ إحصائية من إعداد الهيئة القومية للأثار والمتاحف السودانية (بعد استئذان الهيئة).

شكل: (1) إحصائية زوار متحف السودان القومي (2000 - 2013م) - الطلاب



المصدر: الباحث

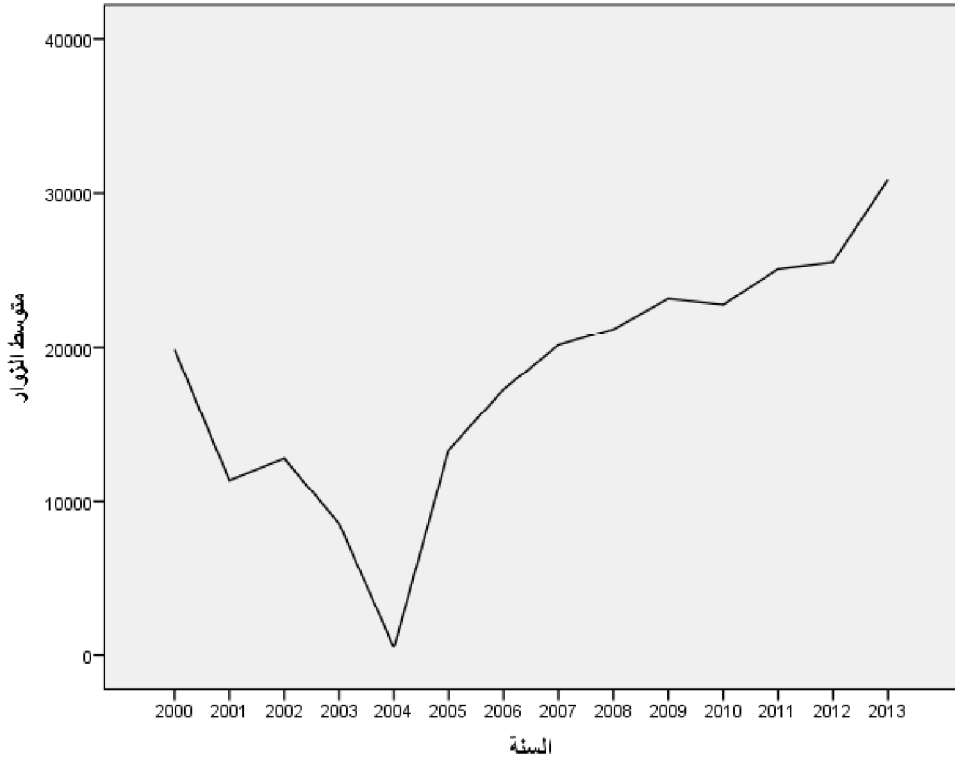
جدول: (2) إحصائية زوار المتاحف السودانية القومية والولائية

الفترة من يناير - ديسمبر 2012م

رقم	فئات الزوار	متحف السوداني القومي	متحف بيت الخليفة عبدالله	متحف كرمة	متحف البركل	متحف شيكان	متحف السلطان علي دينار
1	الزوار المحليون	25525	4112	13403	1820	582	3606
2	الزوار الأجانب	2580	250	1480	540	1942	90
3	الطلاب	24681	12933	988	2580	2963	230
4	الوفود الرسمية	58	19	5	14	1	-

❖ إحصائية من إعداد الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية (بعد استئذان الهيئة)

شكل: (2) إحصائية زوار متحف السودان القومي (2000 - 2013م) - الزوار



المصدر: الباحث

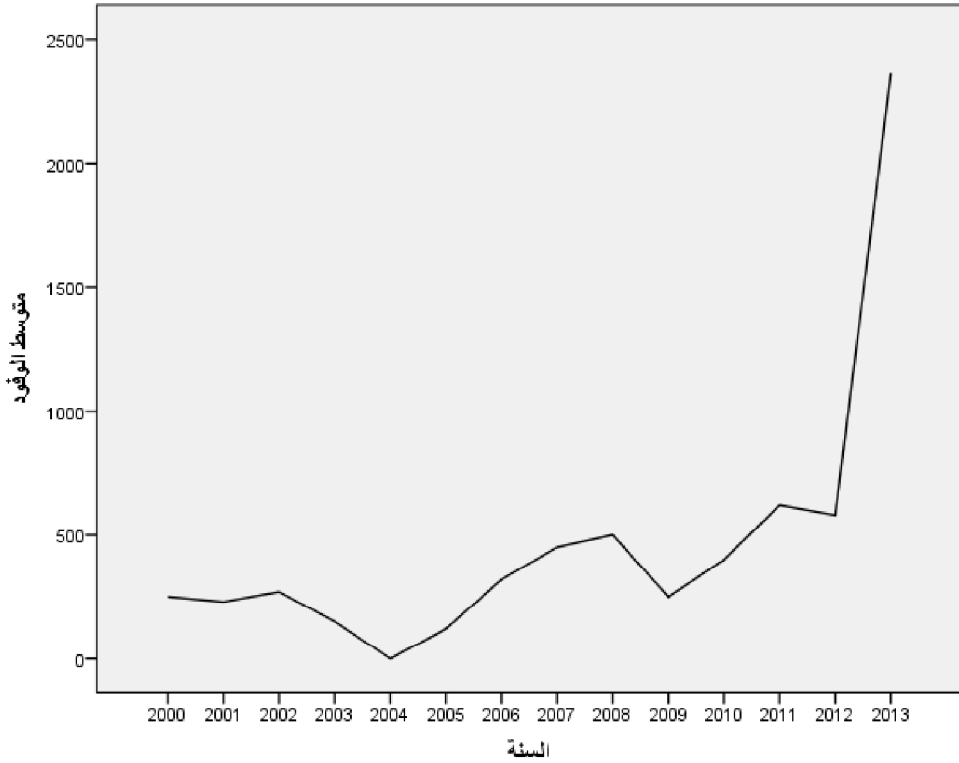
جدول: (3) إحصائية زوار المتاحف السودانية القومية والولائية

الفترة من يناير – ديسمبر 2013م

رقم	فئات الزوار	متحف السودان القومي	متحف بيت الخليفة عبد الله	متحف كرمة	متحف البركل	متحف شيكان	متحف السلطان علي دينار
1	الزوار المحليون	28532	4081	21485	2586	3078	5180
2	الزوار الأجانب	2363	60	380	387	20	35
3	الطلاب	23495	9580	968	1585	877	609
4	الوفود الرسمية	55	20	10	22	5	-

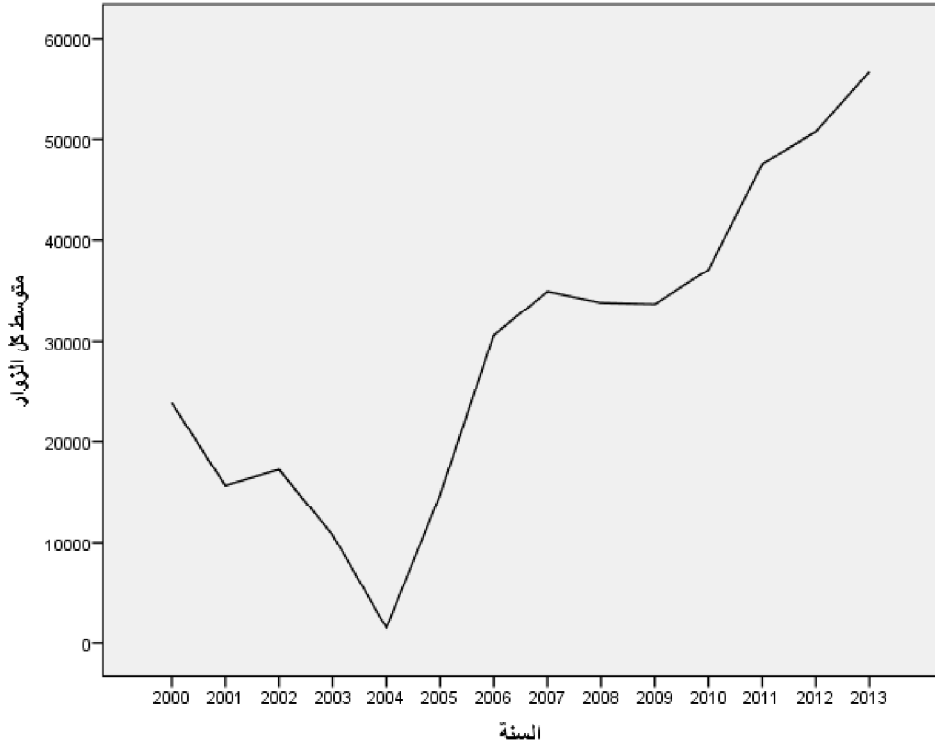
❖ إحصائية من إعداد الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية (بعد استئذان الهيئة).

شكل: (3) إحصائية زوار متحف السودان القومي (2000 - 2013م) - الوفود



المصدر: الباحث

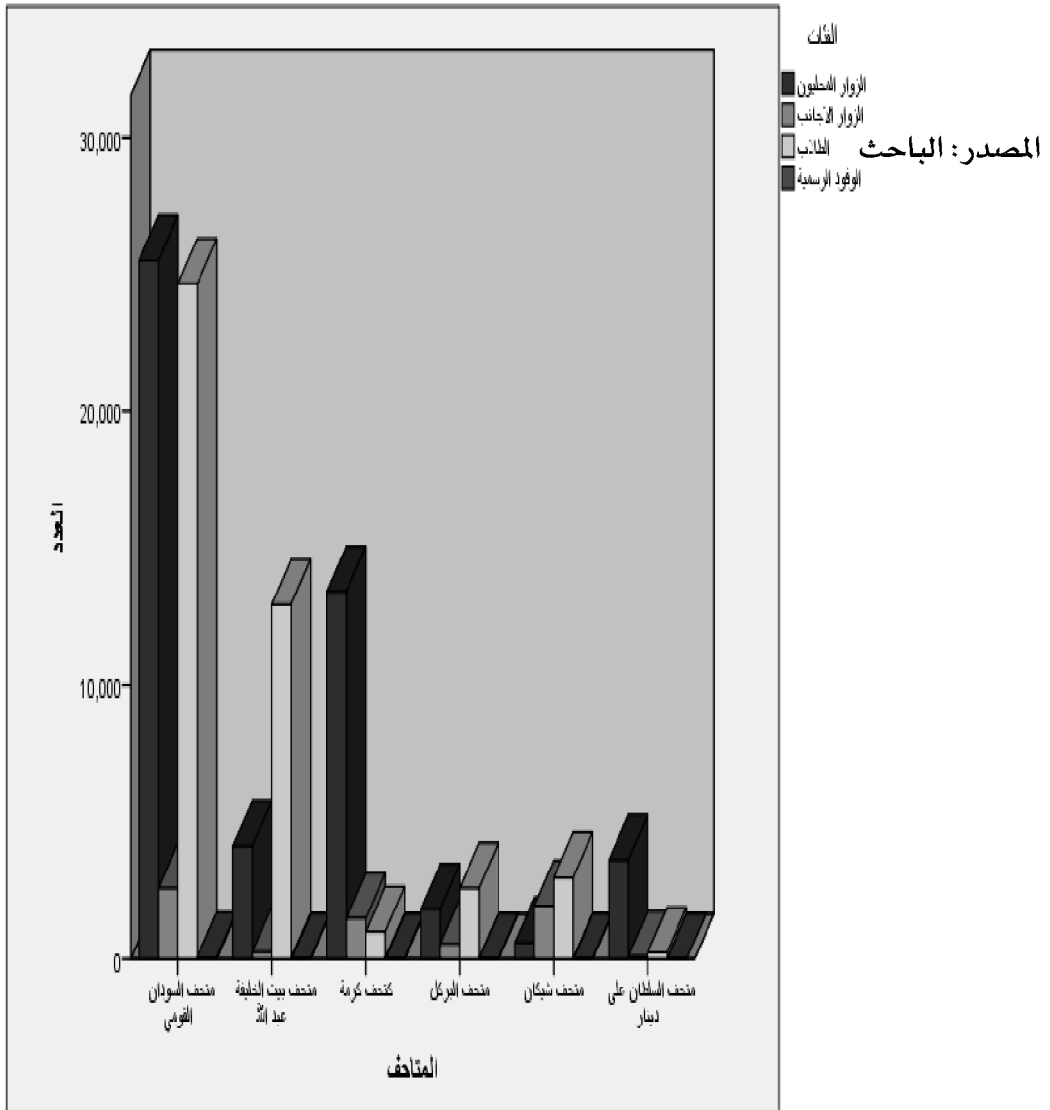
شكل: (4) إحصائية زوار متحف السودان القومي (2000-2013م) - كل الزوار



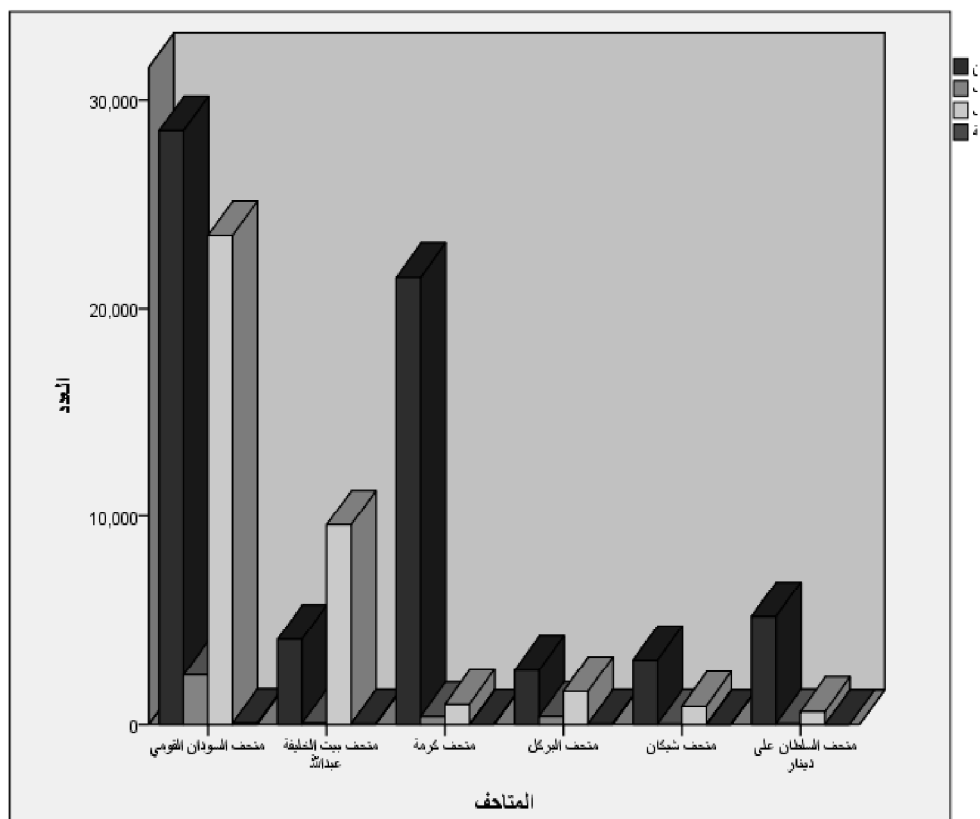
المصدر: الباحث

شكل (5): إحصائية زوار المتاحف السودانية القومية والولائية

الفترة من يناير - ديسمبر 2012م حسب الفئات و المتاحف



شكل (6): إحصائية زوار المتاحف السودانية القومية والولائية
الفترة من يناير - ديسمبر 2013م حسب الفئات و المتاحف



المصدر: الباحث

3.2 الترويج للسياحة الأثرية

يمكن الترويج للسياحة الأثرية باعتبارها عنصراً مهماً من عناصر التنمية من خلال الآتي:

1- زيارة المتاحف:

تمثل المتاحف أهم عوامل الجذب السياحي الأثري لذلك لا بد من الإهتمام بمتاحفنا وبخاصة متحف السودان القومي الذي يقع في أجمل منطقة سياحية في العاصمة الخرطوم وهي منطقة المقرن والتي أثارت إعجاب الكثيرين لعل من أبرزهم الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين إبان زيارته للسودان عام 1978 م لحضور مؤتمر القمة الأفريقي حيث ذكر أن المنطقة الممتدة من مكان إقامته (فندق كورال/ الهيلتون سابقاً) وإلى مقر المؤتمر (قاعة الصداقة) - يقصد بالطبع منطقة مقرن النيلين - تعتبر من أجمل بقاع الدنيا التي زارها في حياته واستمتع بالمشي راجلاً فيها من مقر سكنه إلى قاعة المؤتمر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الهيئة القومية للآثار والمتاحف قد زودت بقوة من جنود الشرطة التي تلقت تدريباً خاصاً بغرض الحراسة وتأمين المنشآت الأثرية أطلق عليها إسم " شرطة السياحة والآثار". وبالمثل فإن بقية المتاحف الأثرية في ولايات البلاد (متحف بيت الخليفة عبد الله بأمدرمان، متحف شيكان (الأبيض) والسلطان علي دينار (الفاشر)، متحف البركل (مروي)، ومتحف كرمة (الشمالية) تحتاج إلى ذات العناية والإهتمام بمظهرها ومحتوياتها وإجراءات تأمينها لتظهر بصورة لائقة حافظة لتراث هذا الوطن الممتد الجذور في أغوار التاريخ.

وفي مجال المقتنيات الأثرية في متحف السودان القومي يجب أن يعاد النظر في أنماطها وكمياتها وتوزيعها الجغرافي وإكمال النقص في المعارض المتحفية ليشمل كل ولايات السودان.

2 - زيارة المواقع الأثرية:

ورغم أن السودان غني بمواقعه ومستوطناته والمعالم الأثرية، إلا أنها لم تستغل سياحياً ولم يستفاد منها ثقافياً واقتصادياً بصورة كافية. وإذا قارنا حالنا بجمهورية مصر العربية، نلاحظ أنها استفادت أيما استفادة من آثارها التاريخية في المجال السياحي، فمئات الآلاف من السياح يفدون سنوياً لمصر للاستمتاع بكنوزها الأثرية بسبب توفر العناصر الجاذبة للسياحة من طرق ووسائل نقل وترحيل وسكن (فنادق وموتيلات) ويدعم كل ذلك إعلام سياحي مكثف (بشير زهدي، 1998). وساعدت مجمل هذه الظروف تطور السياحة بوجه عام والسياحة الأثرية على وجه الخصوص والتي تدر على مصر أحد عشر مليار دولار سنوياً.

وعلى الصعيد الداخلي وبرغم شح الإمكانيات للترويج السياحي لزوار المواقع الأثرية قامت الهيئة القومية للآثار والمتاحف بإعادة فتح حجرات الدفن لبعض الأهرامات بغرض الترويج والجذب السياحي مثل حجرة الدفن رقم (10) بالجبانة الجنوبية في مروي (البجراوية) والخاصة بالملكة المروية بارتاري (260 - 250 ق.م) وهي مزينة برسومات ملونة رائعة يمكن أن تشكل عنصر جذب سياحي (صلاح الصادق، 2006م).

3. قيام البنيات الأساسية للسياحة:

وتشمل هذه البنيات:

3 - 1 إقامة منشآت السياحة الداخلية سواء أكانت وسائل إيواء مناسبة من فنادق وموتيلات وقرى سياحية وبيوت شباب... الخ، أو خدمات الطعام والشراب وخاصة في الأماكن التي تلاقي طلباً سياحياً كبيراً (مهنا حداد، 194 - 197).

3 - 2 تنشيط مكاتب السياحة ومنظمي الرحلات السياحية بهدف توفير حزمة من المنتج السياحي والعمل على الترويج لها على شكل برامج سياحية إلى البلدان الأخرى (مهنا حداد، 197).

3 - 3 إعطاء تسهيلات للحصول على تأشيرات الدخول على الحدود للسياح كمجموعات وأفراد.

3-4 تشجيع الاستثمار في القطاع السياحي وبخاصة الأثاري بالاستفادة من مكاتب الخبرة والاستشارات الاقتصادية والإدارية.

3-5 الاستفادة من المؤتمرات والمهرجانات ووسائل الإعلام الخارجي لجلب السياح للسودان.

4 - المعلوماتية والإنترنت:

لا بد من الاهتمام بالمعلوماتية من أجل توفير الزوار والسياح الذين يفدون للبلاد بغرض السياحة وحضور التظاهرات الثقافية والمعارض التجارية (فعاليات معرض الخرطوم الدولي السنوية) وتعريفهم بما يحتويه هذا القطر من آثار عريقة (ثابتة ومنقولة) وذلك بتجهيز المطبقات والدليل السياحي الأثاري والذي يتضمن معلومات وافية عن أهم المعالم والمواقع الأثرية والمتاحف مع تبيان كيفية الوصول إليها بدءاً من تذاكر السفر وانتهاءً بالفنادق والموتيلات والاستراحات.

وثمة اقتراح يتواءم وروح عصر المعلوماتية وهو ضرورة إطلاق موقع على الإنترنت بلغات حية (العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية) يعد متحفاً رقمياً شاملاً للآثار السودانية منذ عصور ما قبل التاريخ (300,000 - 3200 ق.م) وإلى العصور الكوشية الفرعونية (2500 ق.م - 350م) وعصور الكونفدراليات المسيحية (543 - 1504م) والإسلامية (1504 - 1821م) والدولة المهديّة (1885 - 1898م) مثلما فعلت جمهورية مصر العربية مؤخراً حيث أنشأت هذا المتحف الرقمي الشامل بالتعاون مع إحدى كبريات شركات الكومبيوتر العالمية. وبما أن مثل هذا المشروع يستغرق زمناً ليس بالقصير (3 - 5 سنوات)، فبالإمكان أن تكون البداية إطلاق موقع عادي على الإنترنت مصحوباً بتعليق مكتوب بغرض التتوير العام على أن يكمل مثل هذا المشروع الكبير بعد (3 - 5 سنوات) ليتضمن بالصوت والصورة (وتجسيد ثلاثي الأبعاد) بانوراما للأماكن الأثرية والشخصيات التاريخية السودانية عبر أكثر من أربعة آلاف عام ليؤدي هذا المتحف الرقمي الفضائي دوره الإيجابي في إثراء التعليم والسياحة والنهضة الثقافية في السودان (خبير - 2005 - 121 - 122).

5- تأهيل الكادر السياحي الأثري:

وهذا يتطلب إضافة إلى التأهيل العلمي النظامي، فتح أقسام للسياحة والفندقة في المؤسسات الجامعية السودانية، ضرورة تدريب الإداريين والمرشدين السياحيين السودانيين في مجال العمل السياحي الأثري وصقل تجربتهم بالدورات المهنية في الدول المتقدمة في مجال السياحة مع زيادة الجرعة التدريبية الداخلية والخارجية(صلاح الصادق- 2008 -152).

الخلاصة

- 1- السودان غني بالجاذب السياحية المتمثلة في الموارد الطبيعية (محميات طبيعية وثروات حيوانية ونباتية ومنتجات سياحية) والثقافية المتمثلة في الآثار الثابتة (أهرامات، مدافن، معابد، كنائس ومساجد تاريخية) والمنقولة (صناعات فخارية ونحاسية وحديدية، غزل ونسيج...الخ)، فضلاً عن التراث الشعبي (الفلكلور) الذي يتميز بالتنوع والثراء (غناء، رقصات شعبية، أزياء، مصنوعات شعبية ووسائل سفر تقليدية وعمارة شعبية... الخ).
- 2- تشير الأدلة الإحصائية (أنظر أعلاه) أن السياحة الأثرية في السودان (زيارات المتاحف والمواقع والمعالم الأثرية) لا تزال في بداياتها مقارنة بالعديد من البلدان الأفريقية والعربية والتي أصبحت فيها إحدى مصادر التنمية الأساسية بل وتدر عليها عشرات الملايين من العملات الصعبة. بيد أننا نلاحظ في ذات الوقت أن زوار المتاحف والمعالم الأثرية من السودانيين قد إزداد بشكل مضطرد رغم قلة الإيرادات السياحية إذ لا تتخطى بضع ملايين من العملات الصعبة. ومن جهة أخرى، نجد أن زوار المتاحف الأثرية يشكلون نسبة مرتفعة مقارنة بزوار المواقع والمعالم الأثرية بسبب سهولة زيارة المتاحف مقابل رسوم رمزية(متحف السودان القومي) أو بدون رسوم بالنسبة لمتاحف الولايات شيكان (الأبيض) السلطان علي دينار (الفاشر)، البركل (مروي) وكرمة (الشمالية).
- 3- الترويج للسياحة الأثرية في السودان باعتبارها عنصراً أساسياً من عناصر التنمية الاقتصادية والاجتماعية يتطلب الاهتمام بالعديد من الجاذب، لعل من أهمها المتاحف

باعتبارها أحد أبرز عوامل الجذب السياحي والعمل على إعادة تأهيلها وصيانتها وترميم محتوياتها الأثرية بصورة دورية..

4- لا مشاحة أن أحد أهم دعائم العمل السياحي الأثاري في هذا العصر الذي يتقدم بخطى متسارعة في جميع المجالات الاستفادة من المعلوماتية والإنترنت.

5- الإهتمام بقيام البنيات الأساسية للسياحة الأثرية التي تشمل وسائل الإيواء المناسبة (فنادق وموتيلات وقرى سياحية وبيوت شباب) وقيام شركات السفر والسياحة بتسهيل إجراءات الحصول على تأشيرات الدخول والاستفادة من المؤتمرات والتظاهرات الثقافية والمعارض ووسائل الإعلام (المقروءة والمسموعة والمرئية) لجلب السياح للبلاد.

6- تأهيل الكادر السياحي الأثاري بالتأهيل العلمي وإنشاء تخصصات للسياحة والفندقة في الكليات الجامعية السودانية مع تأهيل وتدريب الإداريين والمرشدين السياحيين في مجال العمل الأثاري داخل وخارج السودان.



أهرامات الحضارة المروية - البجراوية



آثار النقة - مملكة مروي (900 ق.م - 350 م)

الهوامش:

1. مصطفى حسن زروق، "الإستثمار السياحي في السودان"، في: السياحة في السودان: دراسات وتوصيات مؤتمر أركويت الثاني عشر، أركويت 15 - 17 ديسمبر (تحرير: الطيب أحمد حياتي) (الخرطوم، مطبعة جامعة الخرطوم، 1997).
2. خالد مقابلة، "السياحة صناعة عالمية" في: مجلة أنباء، كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك (الأردن 2003م).
3. عبد الرحيم محمد خبير (بدون تاريخ) ماهية علم الآثار (مقال غير منشور) ص3.
4. سورة التحريم، الآية رقم(5).
5. سورة التوبة، الآية رقم (112).
6. مشاعل خصاونة، "الجانب الإقتصادي للتنمية السياحية" في الأردن والسياحة: مشكلات وهموم على الساحة، منشورات معهد الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك (تحرير مهنا الحداد) (الأردن 2003م).
7. إنتصار صفيرون الزين، "المواقع الأثرية في السودان"، في: السياحة في السودان: دراسات وتوصيات مؤتمر أركويت الثاني عشر، أركويت 15 - 17 ديسمبر 1997م.
8. عبد الرحيم محمد خبير، "الآثار والتنمية السياحية في السودان"، في "دراسات أفريقية"، مجلة بحوث نصف سنوية، جامعة أفريقيا العالمية، العدد الثالث والثلاثون، السنة الواحد والعشرون، يونيو 2005م.
9. المرجع السابق.
10. بشير زهدي، المتاحف: دراسات ونصوص قديمة (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1998م ص66.
11. عبد الرحيم محمد خبير، "الآثار والتنمية السياحية في السودان"، في "دراسات أفريقية"، مرجع سابق.
12. معلومة مبلغة شخصياً من الأستاذ صلاح عمر الصادق: الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية 2006م.
13. مهنا حداد "التوصيات"، في: الأردن والسياحة: مشكلات وهموم على الساحة، مرجع سابق.
14. المرجع السابق.
15. عبد الرحيم محمد خبير، "الآثار والتنمية السياحية في السودان"، في "دراسات أفريقية مرجع سابق.
16. صلاح عمر الصادق، دراسات سودانية في السياحة. مكتبة الشريف الأكاديمية للنشر والتوزيع الخرطوم.

مؤشرات الفقر الريفي بولاية النيل الأبيض - دراسة منطقة الجزيرة أبا

في الفترة من (1991م-2012م)

د/دفع الله الطيب يوسف الحسين

د/ أحمد عبد المولى أحمد المكاشفي

كلية الآداب - جامعة بخت الرضا

كلية الآداب - جامعة الإمام المهدي

د. طارق أحمد حسن الشيخ

كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري

مستخلص

تناولت الدراسة مؤشرات الفقر الريفي بولاية النيل الأبيض - منطقة الجزيرة أبا في الفترة من (1991 - 2012 م). هدفت للتعرف على الموارد الطبيعية والبشرية والوقوف على المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية للفقر الريفي بمنطقة الدراسة.. وقد اتبعت المنهج التاريخي - والوصفي - والإحصائي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى أن هنالك عوامل طبيعية واقتصادية وسياسية متداخلة أسهمت في تدهور الأوضاع الحياتية للسكان والتي تبرز أهم مؤشراتهما في ارتفاع معدلات الفقر الريفي بنسبة 90% ويعاني من نقص الغذاء 90,8% وبلغت نسبة البطالة 62,8%، والأفراد المهاجرين 12%. توصي الدراسة بضرورة تحسين أوضاع السكان الاجتماعية والاقتصادية من خلال مشروعات الأسر المنتجة ، والاهتمام بتطوير الصناعات اليدوية التقليدية التي تعتمد علي موارد البيئة المحلية، وإعادة تأهيل المشروع الزراعي بتوفير التمويل اللازم والاهتمام بالثروة الحيوانية والرعاية البيطرية، و تطوير الخدمات الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: الفقر الريفي، المؤشرات الاقتصادية - الاجتماعية، الأوضاع الحياتية

1:1 مقدمة:

تبرز مشكلة الفقر الريفي في أن نسبة 79% من السكان في الدول النامية يعيشون في المناطق الريفية ، و 21% في المناطق الحضرية ويظل هذا الأمر باقياً حتى عام 2025م وذلك إذا استمرت معدلات التنمية في الدول على حالها دون حدوث تغيير (الصندوق الدولي للتنمية الزراعية ، 2001م). أما الدول العربية والإسلامية تعاني بدرجات متفاوتة من ظاهرة الفقر خاصة المادي وان نسبته تتفاوت في ما بين 7% إلى 40,3% (برنامج الأمم المتحدة للتغذية ، 2002م). ويمثل سكان الريف في الوطن العربي حوالي 48% من مجموع السكان، وتعتمد الغالبية منهم في نشاطها الاقتصادي على الزراعة وبلغت نسبة العمالة الزراعية في الوطن العربي في عام 1995م 36% من إجمالي القوى العاملة، وهذه النسبة تراجعت كثيراً بسبب الهجرة من الريف إلى المدن وذلك بسبب ضعف الخدمات الأساسية في الريف وتدني عوائد القطاع الزراعي (بخيت، 2011م). ويتركز الفقر في السودان في المناطق الريفية، ففي عام 2002م بلغ عدد من يعيشون دون خط الفقر حوالي 20 مليون نسمة، وتشير التقديرات إلى أن نحو 19 مليون نسمة أو 85% من سكان الريف هم تحت وطأة الفقر (منظمة إيفاد ، 2007م). وقد ارتبط تدهور موارد البيئة الطبيعية وتدني القدرة الإنتاجية للموارد الزراعية بمنطقة الدراسة بظاهرة الجفاف، وفشل إدارة المشاريع الزراعية المروية مما أدى إلى تدهور كبير في القطاع الزراعي الريفي وتدني الإنتاج ومن ثم السقوط في براثن الفقر وتدهور الأوضاع الحياتية للسكان. فانخفاض الدخل والإنفاق وانعدام الأمن الغذائي وفقر الغذاء وانتشار الأمراض وارتفاع معدلات الأمية والظروف الغير صحية المتدهورة ونقص المياه وتدهور صحة البيئة والمؤسسات الصحية و التعليمية ونقصها وفقر المسكن جميعها تتفاعل مع بعضها البعض وتظهر إفرازاتها في تعمق الفقر الريفي وارتفاع معدلاته بالمنطقة.

1. 2 مشكلة الدراسة:

- هل هناك ارتفاعاً كبيراً في معدلات الفقر بمنطقة الدراسة؟
- هل أدى التدهور البيئي وانخفاض معدلات الأمطار في تدهور الأوضاع الحياتية للسكان بمنطقة الدراسة؟
- هل ساهم تضارب السياسات الزراعية وسوء إدارة المشاريع المروية في ازدياد معدلات الفقر بالمنطقة؟

1. 3 أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- التعرف على الموارد الطبيعية والبشرية بمنطقة الدراسة.
- التعرف على عوامل وأسباب الفقر الريفي بمنطقة الدراسة.
- الوقوف على المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية للفقر الريفي بمنطقة الدراسة.

1. 4 أهمية الدراسة:

- الاهتمام العالمي والإقليمي بقضايا الفقر الريفي.
- الوقوف على المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية للسكان بمنطقة الدراسة.

1. 5 فروض الدراسة:

- إن هناك ارتفاعاً كبيراً في معدلات الفقر بمنطقة الدراسة.
- إن التدهور البيئي ساهم في انخفاض معدلات الأمطار ومن ثم تدهور الأوضاع الحياتية للسكان بمنطقة الدراسة.
- إن سوء إدارة المشاريع المروية لعب دوراً كبيراً في ازدياد معدلات الفقر وسط السكان.
- إن ازدياد معدلات الفقر ساهم في تدهور الأوضاع الصحية والتعليمية والخدمية بالمنطقة.

1. 6 حدود الدراسة:

- الحدود المكانية: تقع منطقة الدراسة بين خطي طول 2 - 35 - 32 شرق وخط طول 17° - 40 شرقاً وبين دائرتي عرض 40 - 22 - 13 شمال ودائرة عرض 31° - 12 - 13 شمالاً.

الحدود الزمنية: تم اختيار الفترة من 1991م - 2012م والتي ظهر فيها أثر التغيرات المناخية السالبة وحدوث الجفاف وما صاحبها من نشاط جائر للإنسان تجاه النظم البيئية والإيكولوجية، فتدهور القطاع الزراعي وتدني الدخل وانخفضت مستويات المعيشة فانعكس كل ذلك سلباً على أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.

1.7: منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي: لتوضيح التغيرات التي حدثت في المنطقة خلال مراحلها المختلفة الأمر الذي يساعد على التحليل والربط والتفسير والخروج بالنتائج ومعرفة تأثيرها على الفقر الريفي و تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لسكان الدراسة. كما اعتمدت على المنهج الوصفي: في ملاحظة البيئة الطبيعية والبشرية، ووصف الخدمات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية وأوضاع البيئة السكنية. واستخدمت المنهج الإحصائي التحليلي: وذلك من خلال الاعتماد على الإحصاءات العامة والبيانات التي تم جمعها عن طريق الدراسة الميدانية وتحليلها.

مصادر وطرق جمع المعلومات:

- المصادر الثانوية: مثل المصادر والمراجع والكتب وتقارير الأمم المتحدة والدوريات والنشرات والمجلات والجرائد بالإضافة إلى الخرائط والصور الجوية والتعدادات السكانية.
- المصادر الأولية: تعتمد هذه الدراسة على أساليب عدة لجمع البيانات بالملاحظة والمراقبة الميدانية المباشرة والمقابلات الشخصية.
- عينة الدراسة: تم اختيار عينة الدراسة والبالغ حجمها 120 أسرة بنسبة 2.1 % من مجتمع الدراسة والبالغ 5594 أسرة، وزعت على جميع الأحياء والقرى بمنطقة الدراسة (الجدول (1)).

جدول (1): توزيع حجم العينة علي أحياء وقرى منطقة الدراسة

العدد	الأحياء والقرى	عدد السكان	عدد الأسر	حجم العينة	النسبة %
1	الرحمانية ج/غ	4855	783	17	14.0
2	الرحمانية ج/ق	5412	872	19	15.6
3	الرحمانية ش/غ	5814	937	20	16.7
4	الرحمانية ش/ق	5104	823	18	14.7
5	قبا	4122	664	14	11.9
6	أرض الشفاء	1542	249	5	4.5
7	دار السلام	916	149	3	2.4
8	الحلة الجديدة	742	120	3	2.4
9	طبية	2440	394	8	7.0
10	المنار	522	84	2	1.5
11	أركويت	519	84	2	1.5
12	تكسبون	2696	435	9	7.8
	المجموع	34684	5594	120	100 %

المصدر: إدارة الإحصاء السكاني ولاية النيل الأبيض (2010م)

الإطار النظري: الفقر الريفي: Rural poverty

1.2 مفاهيم الفقر:

جاء في لسان العرب أن الفقر لغة ضد الغنى وهو كل ما دل على الضعف واللين (ابن منظور، 1956م). و الفقر لغة هو الحاجة، والفقر هو المحتاج (الزبيدي، 1306هـ) والفقر في اللغة ضد الغنى مثل الضعف والفقر: العوز والحاجة يقال أفقر الله فلاناً: أي جعله فقيراً؛ وافتقر: صار فقيراً وافتقر إلى الأمر: أي احتاج إليه. والفقر: هو

من كسر فقار ظهره ومنه اشتق اسم الفقير وأطلق على الشخص المحتاج، فالفقر هو الحاجة والمصدر الافتقار، والنعت فقير والجمع فقراء. والفقير في الاصطلاح عدم ملك الشيء أو ملكه أقل القوت، وقله الدخل وكثرة النفقة الضرورية وعدم إشباع الضروريات اللازمة لاستمرار الحياة والبؤس وشده الحاجة وعدم إشباع الحاجات إشباعاً كاملاً. ويعتبر الفقر ظاهرة يكتنفها الغموض وهي ذات أبعاد متعددة ومتداخلة في مفهومها وتضمن جوانب اقتصادية واجتماعية وبيئية وثقافية وتاريخية وقد أظهرت هذه الاهتمامات المتشعبة أكثر من مفهوم للفقر وهو على النحو الآتي:

يعرف الفقر بأنه تلك الأحوال المعيشية التي تسود نتيجة لسوء التغذية والجهل والمرض وارتفاع وفيات الأطفال وقصر العمر الافتراضي. وأن للفقر خصائص اجتماعية ونفسية تمنع الفقير من تحقيق متطلباته على أكمل وجه (سعد، 1998م). كما أن تعريف الفقر يعتمد على ثلاثة أبعاد أساسية هي:

أ- الفقر من منظور الحاجات الأساسية: وهو الحرمان من المتطلبات المادية اللازمة لتلبية الحد الأدنى المقبول من الاحتياجات الإنسانية بما في ذلك الأغذية.

ب- الفقر من منظور الدخل: لا يصنف الشخص فقيراً من منظور الدخل إلا إذا كان مستوي دخله دون خط الفقر المحدد.

ج- الفقر من حيث القدرة: ويعني عدم وجود القدرات الأساسية علي الأداء وان تتاح للشخص فرصة بلوغ بعض المستويات الدنيا المقبولة لهذا الأداء والتي تتراوح بين الصور ذات الطابع المادي مثل الحصول علي الغذاء الجيد، الكساء، المأوى الملائم، تجنب المرض الذي يمكن الوقاية منه، وبين الصور الأكثر تعقيداً للأداء المتصل بالمنجزات الاجتماعية مثل المشاركة في المجتمع الذي يعيش فيه الشخص.

أورد (جلال الدين، 2003م) مفهوم للفقر بدافع مداخل متباينة وأوضح انه يعني الحرمان الذي يتضمن المعايير غير النقدية مثل التغذية المتوازنة والصحة والتعليم والخصائص الثقافية، وأن الفقر هو حالة يعيشها الفرد، والأسرة، والجماعة، والمجتمع ويرتبط بمستوي معيشي منخفض لا يصل حد الكفاية لقله الدخل وضعف النشاط ولا تفي

بالاحتياجات الأساسية للأسرة من حيث الإعاشة والسكن والخدمات التعليمية والصحية والبرامج الاجتماعية الأخرى. وعرف الفقر من حيث القدرة بأنه عدم امتلاك الوسائل اللازمة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والمادية (مسودة مناهضة الفقر في السودان، 2001م). وارتبط مفهوم الفقر عبر التاريخ بالمناطق الريفية لذلك يصفه البعض بأنه ظاهرة ريفية.

2.2 مفهوم الفقر الريفي:

أورد كورين (Cowren: 1987) في كتابه الفقر والتخطيط والتحول الاجتماعي، باعتباره حرماناً للكثرة ووفرة للقلة. وعرف الفقر الريفي بأنه ظاهرة اجتماعية اقتصادية تستخدم بمقتضاها الموارد المتاحة لمجتمع ما لإشباع رغبات القلة. وعرفه ولكر (Walker;1989) بأنه عملية اجتماعية تتسبب في زيادة البؤس بين فئات المجتمع الأكثر هشاشة والأقل مكانة لدرجة تصبح معها الحياة الكريمة أمراً مستحيلاً، وذكر (الشيخ، 2002م) أن الفقر الريفي من منظور الرؤية الجغرافية المتكاملة إحساس بالنقص في الحقوق بشتى أنواعها مما يجعل الحياة بائسة وغير مرغوب فيها، ويوجد في الريف والبادية خصوصاً في الأرياف النائية ومناطق الزراعة التقليدية والمناطق المتأثرة بالجفاف والتصحر والنزاعات الأهلية، والإعسار الاقتصادي عامة، واعتماد فقراء الريف في توفير سبل عيشهم علي الزراعة وصيد الأسماك وتربية المواشي وما يتصل بها من خدمات وصناعات صغيرة (الليثي، 2001م). هذا بجانب علاقة الأواصر القوية التي تقوم علي اللقاء المباشر بين الناس والتعاون والتكافل الدائم والتفاهم المشترك وفي الأفراح والأتراح (بدر، 1982م).

3.2 مقاييس ومؤشرات الفقر:

تتمثل مقاييس الفقر بصورة تقليدية بالحرمان المادي الذي يعتمد بصورة عامة على مستويات الدخل والاستهلاك، وتشكل المسوحات الخاصة بالدخل والإنفاق على مستوى الأساس لتقديرات الفقر في الدول حيث يتم عند هذه المسوحات رسم خط الفقر الذي يعتمد علي سلة استهلاك أساسية وضرورية لسد الحد الأدنى لمستوي المعيشة

الأسرة معينة والأسر التي تقع خلف خط الفقر تعتبر أسرة فقيرة مع ملاحظة أن خط الفقر هذا يختلف من بلد إلى آخر (أرسولاغرانت، 2000م).

المؤشرات النقدية للفقر:

في معظم الدراسات التي تناولت فقر الدخل مقارنة بالاحتياجات الأساسية ركزت علي خط الفقر وهي كالتالي:

أ/ خط الفقر الدولي:

تستخدم هذه الطريقة في أغراض المقارنات حيث تظهر الفوارق القائمة بين الدول من حيث فقر القوة الشرائية، وتقوم هذه الطريقة علي أساس أن الفرد الذي لا يمكنه الحصول علي حزمة استهلاكية شاملة بقيمة دولار أمريكي واحد في اليوم مقوماً بالقوة الشرائية الثابتة لعام 1993م يعتبر فقيراً واستناداً لما سبق فإن إنفاق أقل من دولار يومياً يمثل حد الفقر الأدنى، وإنفاق أقل من دولارين يومياً يمثل حد الفقر الأعلى. ولكن وفقاً لتقرير (البنك الدولي، 2010م) لمراقبة أسعار الغذاء أن 1,25 دولار أمريكي تعادل القوة الشرائية لبقاء الفرد علي قيد الحياة تمثل خط الفقر الأدنى.

ب/ خطوط الفقر الوطنية:

حددت العديد من البلدان النامية خطوطاً وطنية للفقر تقوم باستخدام طريقة الفقر الغذائي وتبين هذه الخطوط عدم كفاية الموارد الاقتصادية لتلبية الاحتياجات الغذائية الأساسية، وهناك ثلاثة طرق لقياس الفقر الغذائي هي:

- طريقة تكلفة الاحتياجات الأساسية

- طريقة الطاقة الغذائية

- طريقة حصة الأغذية

ج- مؤشر نسبة الفقر: Headcount Index ويسمى هذا المؤشر أيضاً معامل تعداد الأفراد، وهو عبارة عن ناتج قسمة عدد السكان الفقراء على عدد السكان الكلي. ويقاس هذا المؤشر مدي انتشار الفقر ويستخدم في تقسيم السياسات التي تهدف إلى إزالة الفقر. ومن عيوبه انه لا يقيس عمق الفقر وإنفاق الفقير ويتجاهل التباين في توزيع الدخل بين الفقراء.

د- مؤشر فجوة الفقر: Poverty Gap

يقيس هذا المؤشر عمق الفقر وهو الفجوة بين دخل أو إنفاق الشخص الفقير كنسبة من خط الفقر، مثلاً إذا كانت قيمة هذا المؤشر 60% فهذا يعني أن دخل أو إنفاق الشخص الفقير يفي بحوالي 40% من حاجاته الأساسية، وهذا المؤشر يقيس عمق الفقر لكنه يتجاهل عدد الفقراء وتوزيع الدخل بينهم وعادة ما يستخدم في سياسات إزالة الفقر عن طريق تجسير الفجوة بين الدخل وخط الفقر.

ه- شدة الفقر: Poverty Severity Index ويقاس هذا المقياس عدد الفقراء تحت 50% من خط الفقر.

و- مؤشر سن: Sin Index وهذا المؤشر يقيس انتشار وعمق الفقر إضافة إلى التباين في توزيع الدخل أو الإنفاق بين الفقراء، أي يقيس الفقر النسبي والمطلق.

ز- مقياس الفقر باستخدام مؤشرات مجمعة: إن مؤشرات قياس الفقر تطورت وأصبح التوجه الصحيح لقياس الفقر من خلال الاعتماد على العديد من المؤشرات التي قد يكون الدخل احدها إضافة إلى مؤشرات التعليم والصحة والترفيه والمسكن وغيرها (طالب، 2000م).

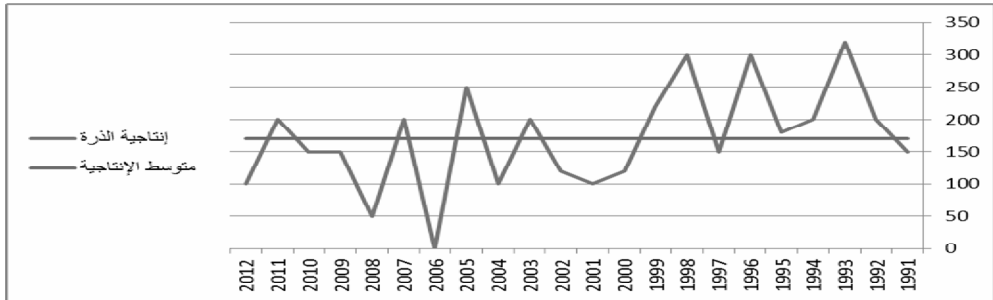
3- التحليل ومناقشة النتائج:

3- 1 الإنتاج الزراعي: تعتبر حرفة الزراعة الحرفة الأساسية إلى جانب حرفة الرعي بولاية النيل الأبيض، وهي زراعة تقليدية اكتفائية بشقيها المروي والمطري والتي تعتمد على المحاصيل الغذائية مثل الذرة والدخن وبعض المحاصيل النقدية كالسمسم وزهرة الشمس. ويسعى المزارع عادة إلى أن ينتج ما يكفيه لغذاء أسرته ولكنه في حالات نادرة الحدوث مثل السنوات التي يسود فيها الجفاف، يلجأ إلى شراء الدخن والذرة لسد النقص، وفيما يلي استعراض للإنتاج الزراعي:

أ- الزراعة المطرية: لقد انخفض متوسط إنتاج فدان الذرة والدخن عن متوسطهما العام للفترة من 1991 - 2012م حيث انخفض متوسط إنتاج الذرة في بداية ومنتصف التسعينات من القرن الماضي والعام 2001م وحتى 2004م والعام 2006م، 2008م

عن المتوسط العام في القرن الحالي حيث شهد أدنى متوسط إنتاج له في العام 2006، 2008م وبلغ متوسط إنتاج الفدان نصف جوال الشكل(1). إن حدوث فترات الجفاف وانخفاض معدلات هطول الأمطار دون المعدل المطلوب لسنوات كثيرة تفوق التي ترتفع في معدلاتها عن المعدل العام - في فترة زمنية محددة - سبب اختلالاً هيدرولوجياً انعكس سلباً على القطاع الزراعي بشقيه الحيواني، والنباتي. وأوضح العمل الميداني أن 100% من أفراد عينة الدراسة أكدوا على تناقص وتذبذب كمية الأمطار والتي تعد المصدر الرئيسي الذي تعتمد عليه مناطق الزراعة المطرية ومصدر شرب للإنسان والحيوان إلا أن التناقص الشديد والتذبذب الواضح في كمية الأمطار في السنوات الأخيرة زاد من معاناة الإنسان والحيوان بمنطقة الزراعة التقليدية، لاعتمادها على الحفائر التي تتغذى من مياه الأمطار، فانخفضت معدلات الأمطار من 523، 457، 401 ملم علي التوالي للعام 1989، 1993، 1998، إلى 205، 195، 188 ملم علي التوالي للعام 2000، 2001، 2004م، وقد بلغت في العام 2006م كمية الأمطار السنوية 242 ملم وتركز أكثر من 180 ملم منها في شهر أغسطس وسبتمبر مما أدى إلى عدم توفر مياه الشرب في الحفائر بداية الموسم الزراعي، وقد أدى ذلك إلى فشل الإنتاج الزراعي المطري لمحصولي الذرة والدخن.

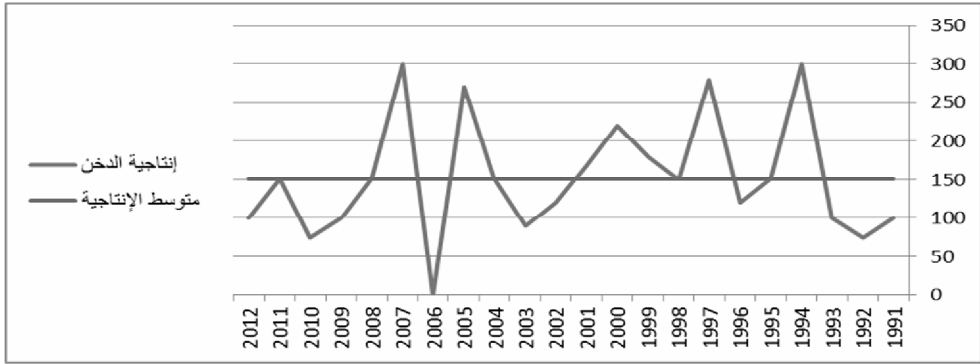
شكل (1): انخفاض إنتاج الذرة بالزراعة المطرية بمنطقة الدراسة (1991-2012م)



المصدر: الإدارة الزراعية - كوستي 2012م

كما انخفض متوسط إنتاج الدخن في أواسط التسعينات والفترة من 2000م وحتى 2003م والعام 2004، 2006، 2008، 2010م حيث بلغ ادني متوسط إنتاج له في العام 1992م، 2006م، 2010م علي التوالي 75، صفر، 100، كجم للفدان الشكل (2)، وذلك نسبة لانخفاض معدلات الأمطار وتأخر سقوطها وتركزها بأكثر من 70% في شهر يوليو وأغسطس، مما أدى إلى فشل الموسم الزراعي وتدني الدخل وزيادة حدة الفقر بين السكان الريفيين بالمنطقة.

شكل (2): انخفاض إنتاجية الدخن بالزراعة المطرية بمنطقة الدراسة (1991-2012م) بالكيلو جرام



المصدر: الإدارة الزراعية - كوستي 2012م

ب- الزراعة المروية: تمارس الزراعة المروية في منطقة الدراسة منذ عام 1927م، والتي تقدر مساحتها بـ 7500 فدان، حيث تضم مشروع طيبة الزراعي في الجنوب، ومساحته 5000 فدان، ومشروع الرحمانيات في الشمال ومساحته 2500 فدان. وتتبع الدورة الثلاثية وتبلغ مساحة الحيازة الزراعية للمزارع 7.5 فدان، ويبلغ عدد المزارعين 650 مزارعاً، والمحاصيل التي تتم زراعتها القمح والذرة (إدارة مشروع أبا الزراعي، 2010م). وتشير الإحصاءات إلى أن متوسط إنتاجية الفدان للقمح والذرة على التوالي 375، 556 كجم للعام من 2012/91م مع ارتفاع تكاليف الإنتاج العالية لفدان القمح والذرة علي التوالي 560، 450 جنيه الجدول (2).

جدول (2): تمويل فدان القمح والذرة بالزراعة المروية بالجنيه بمنطقة الدراسة

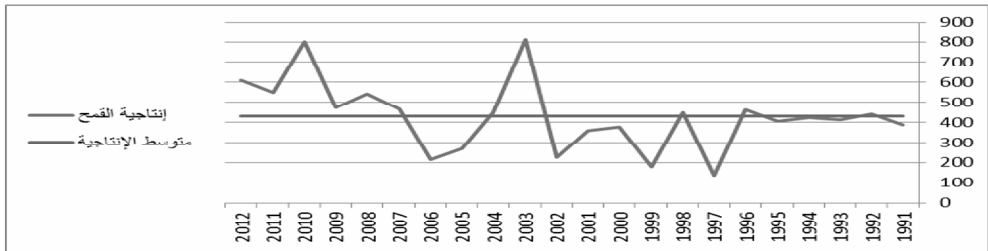
الذرة	القمح	المتغيرات
165	125	النظافة وإعداد الأرض
45	45	التقاوي
60	100	الري
60	150	السماد
40	40	الحراسة من الحيوان
50	100	الحصاد
450	560	المجموع

المصدر: العمل الميداني، 2012م

وقد تدنى إنتاج القمح بمنطقة الدراسة حيث انخفض متوسط إنتاج الفدان عن متوسطه العام للفترة من 91 / 2012م في الفترة من أواسط التسعينات ونهايتها حتى 2002م والعام 2005، 2006م حيث بلغ أدنى متوسط إنتاج في العام 1997، 1999م على التوالي 135، 180 كجم الشكل رقم (3) إن التدني الواضح في إنتاج القمح والذرة بالزراعة المروي يعزى إلى تأخر التمويل، وكثافة انتشار المسكيت مما يؤدي إلى إعاقة التحضير للعمليات الزراعية وتأخر الموسم الزراعي.

شكل رقم (3) انخفاض إنتاجية القمح بالزراعة المروية بمنطقة الدراسة (1991-

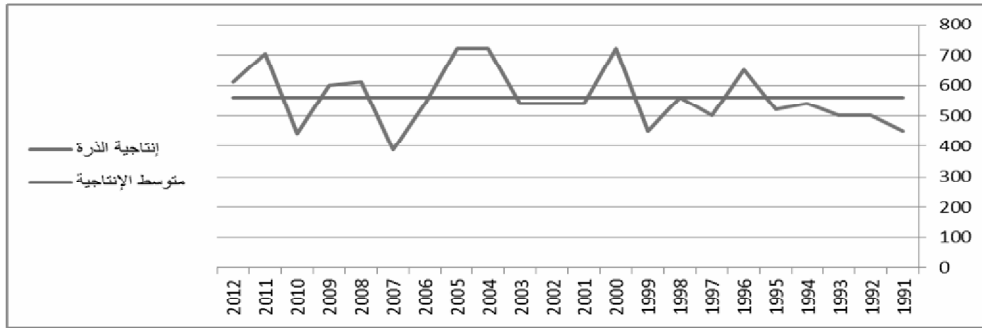
2012م) - متوسط إنتاج الفدان كجم.



المصدر: الإدارة الزراعية - كوستي 2012م

كما انخفض متوسط إنتاج الذرة عن متوسطه العام للفترة من 91 / 2012م في بداية التسعينات ونهايتها والفترة من 2001 وحتى 2003م والعام 2007م حيث بلغ أدنى متوسط إنتاج له في العام 1999م، 2007م على التوالي 450 ، 387 كجم الشكل (4)

شكل رقم (4:11) انخفاض إنتاجية الذرة بالزراعة المروية بمنطقة الدراسة (1991-2012م).

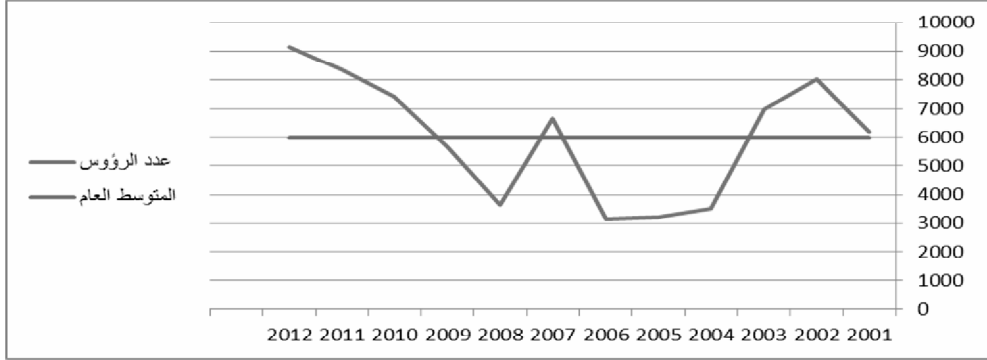


المصدر: الإدارة الزراعية - كوستي 2012م

2.3 الثروة الحيوانية:

يعد الحيوان مصدراً رئيسياً للغذاء بمنطقة الدراسة ووسيلة للتنقل ويدخل في بعض الصناعات اليدوية مثل الأحذية الجلدية (المراكيب) والمنتجات الصوفية ومستخرجات الألبان كالروب والسمن ، بجانب ذلك هو مصدر اقتصادي من خلال بيع الألبان والحيوان ويوفر حاجيات الأسرة من النقد (المكاشفي، 2003م). لا توجد إحصاءات دقيقة عن أعداد ورؤوس الحيوانات بمنطقة الدراسة حيث أظهرت إحصاءات الحملات التطعيمية - الشكل (5) عن تناقص أعداد الحيوانات في الفترة من العام 2004م ، 2006م ، 2008م حيث بلغ ادني متوسط أعداد لها في العام 2006م حيث وصل إلى 3150 رأس وذلك نسبة لتناقص معدلات الأمطار في السنوات الأخيرة وتذبذبها مما أدى إلى تدهور المراعي ونفوق الحيوانات وحركة بعضها إلى حدود ولاية أعالي النيل جنوباً بحثاً عن المراعي الجيدة.

شكل (5): انخفاض أعداد الثروة الحيوانية بمنطقة الدراسة (2001- 2012م)



المصدر: الإدارة البيطرية - كوستي 2012م

3.3 الثروة السمكية:

تعتبر الثروة السمكية من الموارد الاقتصادية المهمة لمنطقة الدراسة ويمتثلها 2.5% من السكان، وتتمارس عملية صيد الأسماك في المياه المتاخمة والمحيطة بمنطقة الدراسة للنيل الأبيض خلقت ظروف مناسبة لممارسة الصيد، والذي يبدأ في الفترة من أول يوليو حتى أواخر فبراير (أحمد عيسى ، 2011م). تعاني الثروة السمكية خلال العقدين الآخرين تدهوراً مريعاً حيث انخفضت الإنتاجية عن العام 1990م بنسبة 50% في العام 2010م، إضافة إلى صغر حجمها وتغير لونها واختفاء بعضها ونفوقها، ويعزى هذا التدهور إلى تلوث المياه وتركز المخلفات الصناعية السائلة الغير معالجة في مياه النيل بمنطقة الدراسة في الفترة التي ينخفض فيها إلى أدنى مستوياته ما بين أبريل ومايو بمنطقة الدراسة (أحمد محمد ، 2011م). ونسبة للتدهور الذي لحق بالزراعة بمنطقة الدراسة، بشقيها التقليدي والمروي واعتماد أكثر من 84.1% عليها جعل أغلب السكان يعيشون في فقر مدقع. تتمثل مؤشرات الفقر الريفي بمنطقة الدراسة في تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتي تتضح من خلال المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية وهي علي النحو الآتي:

4.3 بعض المؤشرات الاقتصادية:

❖❖❖❖1 - قلة الدخل: إن متوسط الدخل الإجمالي يتكون من بعض الأنشطة الأولية (الزراعة المطرية والمروية ، والرعي ، وصيد الأسماك) تمثل نسبة 51,7%. بينما الأعمال

الحررة بنسبة 32.4 % والوظيفة 11.7% والتجارة 4.2%. وأن إجمالي متوسط دخل الفرد بلغ 57 جنيه سوداني في الشهر ما يعادل 19 دولار أمريكي و228 دولار في السنة. وأن متوسط دخل الأسرة في الشهر وصل إلى 356 جنيه ما يعادل 118 دولار في الشهر أو 1424 دولار سنوياً لأسرة تبلغ في متوسطها 6.2 شخص - جدول (3).

جدول (3): إجمالي الدخل الشهري للأسر بمنطقة الدراسة بالجنيه

النسبة	إجمالي متوسط دخل الأسرة	عدد الأسر	الفئات بالجنية
12.2%	5215	35	أقل من 150
26.6%	11400	38	من 150 - 300
23.2%	9900	22	من 300 - 450
17.0%	7200	12	من 450 - 600
21.0%	9000	12	من 600 - 750
—	—	00	أكثر من 750
100%	42.715	120	المجموع

المصدر: العمل الميداني 2011م

وفقاً لتقرير (البنك الدولي 2010م) أن 1.25 دولار أمريكي تعادل القوة الشرائية لبقاء الفرد علي قيد الحياة، وعليه فإن 90% من جملة عينة الدراسة يعيشون تحت خط الفقر المدقع. وقد بلغ حجم الإنفاق علي الغذاء 70% من الدخل مقابل 8% للصحة 11.5% للتعليم 4.5% للملبس 6% مياه الشرب. تكشف هذه الإحصاءات بمنطقة الدراسة عن مستوى دخل متدني ووضع معيشي بائس ونسبة فقر مرتفعة.

2- العجز في الإنفاق على الحاجيات الأساسية:

إن تدني مستويات الدخل بين سكان الدراسة أدى إلى العجز في الإنفاق علي الصحة والتعليم والملبس ومياه الشرب نسبة لعدم مقدرة رب الأسرة بالإيفاء نحو المتطلبات والخدمات الأساسية وان الدخل لا يكفي للإنفاق على الغذاء والخدمات الأساسية مما جعلهم يلجئون إلى سد النقص من السوق 92.5%، ومن الأهل والأصدقاء 5%، ومن الزكاة 2.5%، وهذا يوضح تدني الدخل وانخفاض مستوى

المعيشة، والتي أدت إلى الحد من القدرة في التعليم والثقافة والترفيه وأثرت في تدهور العادات والتقاليد حيث لجأ الأفراد للبحث عن توفير الاحتياجات الضرورية في أضيق الحدود فيؤثر ذلك في الصحة والأخلاق (النمر، 1994م). إن تدني الدخل وانخفاض مستويات المعيشة والعجز في الإنفاق على الاحتياجات الضرورية والخدمات الأساسية للأسر بمنطقة الدراسة تؤكد فقر الدخل والإنفاق.

3-انعدام الأمن الغذائي:

يعرف الأمن الغذائي بأنه تأمين حصول كل قطاعات المجتمع والأفراد على الطعام المطلوب كمّاً ونوعاً لمقابلة الاحتياجات الغذائية، كما عرف الصندوق الدولي للتمية الزراعية الأمن الغذائي للأسرة بأنها آمنة غذائياً عندما يتوفر لها غذاءً كافياً لتأمين الحد الأدنى الضروري من التغذية لكل فرد من أفراد الأسرة وهو ما يعرف بالحد اليومي الضروري الموصى به (بابكر، 2007م). تعاني منطقة الدراسة من نقص حاد في الغذاء وفقر الوجبة الغذائية لتأمين الحد الضروري من التغذية لسكان الدراسة. تشير نتائج العمل الميداني أن نقص الغذاء لأسر الدراسة مرتبط بارتفاع الأسعار حيث أكد علي ذلك 90,8% من أفراد الدراسة، وأصبحوا الآن يلجئون إلي تناول وجبات رخيصة وفقيرة من الناحية الغذائية، إذ يعتمدون في وجباتهم علي الذرة والويكة 70% ، بينما الخضروات 12%، واللحمة 10% ، والذين يتناولون الألبان 8%، وأصبح اللبن يباع بغرض سد النقص المادي وتوفير أعلاف الحيوان.

يتضح من خلال الغذاء المتناول لسكان الدراسة الفقر الكمي والنوعي للغذاء الذي لا يتناسب مع كمية الطاقة المبدولة في الأعمال الزراعية التي تتسم بالمشقة ، مما عزز من أسباب انعدام الأمن الغذائي والتي تُعد ذات بعد اقتصادي متعلق بارتفاع أسعار السلع والمواد الضرورية، وبعد اجتماعي متعلق بالثقافة الغذائية والعادات والتقاليد وفي ظل ارتفاع نسبة الأمية والتي بلغت 19.1% من شأنها أن تؤثر في الغذاء كمّاً ونوعاً، وقاد هذا إلى تفشي الأمراض المرتبطة بالجوع وأدى إلى ضعف القدرة على الإنتاج

وانخفاض مستوى المعيشة وجعلهم أكثر قابلية للإصابة بالأمراض والتعرض للضعف الجسدي.

4. العطالة والهجرة:

تُعرف العطالة على أنها حالة خلو العامل من العمل مع مقدرته عليه بسبب خارج عن إرادته ولا سلطان له عليه (أبكر، 2004م). تشير نتائج العمل الميداني بأن الفئة النشطة اقتصادياً لسكان الدراسة بلغت 62.8% والعاملين 27.5% وغير العاملين 35.3% منهم نسبة 23.2% هم طلاب في المدارس الثانوية والجامعات و 12.1% عاطلين عن العمل مما أدى إلى ارتفاع نسبة الإعاقة حيث بلغت 72.5% للأطفال وكبار السن والعاطلين عن العمل وأن تفشي العطالة في مجتمع سكان الدراسة لمن هم في سن العمل أدى إلى ارتفاع الإعاقة بين أسر الدراسة نسبة للتدهور الذي لحق بالقطاع الزراعي وتدني عائداته مما أجبرهم على ترك العمل خوفاً من الخسارة والفقر.

أما عن الهجرة والتي هي التغير الدائم أو شبه الدائم لمكان الإقامة بغض النظر عن المسافة المقطوعة سواء كانت طويلة أو قصيرة أو كونها إجبارية أو اختيارية داخلية أو دولية (إسماعيل، 2001م). أوضحت نتائج العمل الميداني أن 42,5% من عينة الدراسة حدثت هجرة أفراد من أسرها إلى المدن التي توفر لهم أدنى متطلبات الحياة من الحاجيات الأساسية والخدمات الضرورية حيث هاجر بدافع العمل 86,7%، وبدافع الدراسة 13,3%، وبلغ عدد المهاجرين من أفراد الدراسة 12%، وذلك نتيجة لتدني الدخل وانخفاض مستويات المعيشة، أجبرهم على الهجرة وتركوا مزارعهم لكبار السن الضعفاء الذين لا يقدرّون إلا على زراعة جزء صغير من الأرض، مما أثر ذلك على الأعمال الزراعية، كما أن هجرة كثير من الأسر نهائياً من منطقة الدراسة وتحولت مساكنهم إلى مهجورات وأوكار وأخرى أنقاض من التراب المتراكم.

5:3 تدهور الخدمات الاجتماعية:

1- التعليم:

وقفت الدراسة علي المعينات التعليمية والبيئات المدرسية من خلال تأثيرها على مستوى التعليم بمنطقة الدراسة ، و تضم منطقة الدراسة 17 مدرسة أساس، 8 مدارس للبنين و 7 مدارس للبنات و2 مدرسة مختلطة موزعة على أحياء وقرى الدراسة إضافة إلى أربعة مدارس ثانوية، ومعهد تقني، وكلية الشريعة والقانون، والآداب، وتنمية المجتمع. وتشير إحصاءات الجدول (4) إلى انخفاض معدلات القبول السنوية عن سابقها والتي تقاس بمعدل القبول بعدد المقبولين بالنسبة لعدد الأطفال في سن ستة سنوات وتبلغ نسبة الاستيعاب السنوية بـ 11,7% وهي نسبة ضئيلة جداً وأن من شأنها التمهيد للأمية (المكاشفي 2003م)، ويصل عدد المعلمين بمدارس تعليم الأساس 325 معلم أي بمعدل معلم لكل 20 تلميذ.

جدول (4): أعداد التلاميذ وأنواعها بمدارس الأساس بمنطقة الدراسة

الصف	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن	المجموع
ذكور	364	438	461	473	396	355	361	311	3132
إناث	376	469	353	429	505	406	371	359	3268
المجموع	740	907	814	902	901	761	732	670	6400

المصدر: إدارة تعليم مرحلة الأساس - كوستي ، 2010م

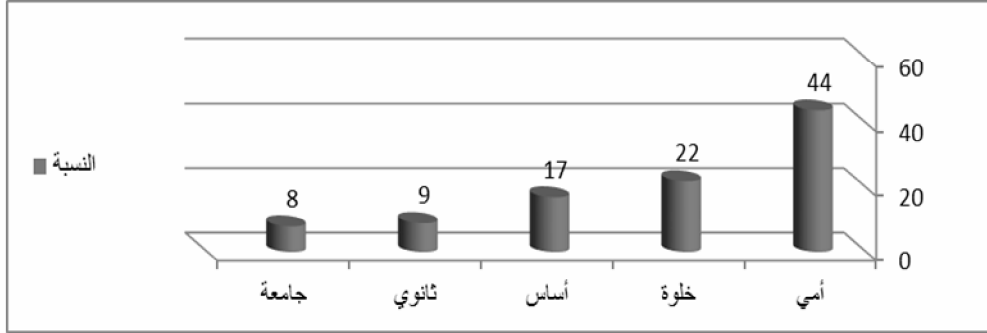
تعاني مؤسسات تعليم الأساس بمنطقة الدراسة من انخفاض معدلات الاستيعاب، وتسرب التلاميذ بأعداد كبيرة في المراحل العليا مقارنة بالإناث، والنقص في الكتب والوسائل التعليمية، وارتفاع كثافة الفصل وضيق المساحة المخصصة لكل تلميذ في الفصل إضافة إلى أن منطقة الدراسة تتميز بمناخ مداري جاف شبه صحراوي مما يساعد ذلك علي انتشار الأمراض المعدية في داخل المدرسة. ونقص الأوكسجين وارتفاع ثاني أكسيد الكربون مما يقود إلى نقص (عمليات البناء والهدم في جسم الإنسان) كما أن الاحتكاك الكبير بين التلاميذ ينتج عنه حدوث بعض السلوكيات السيئة

والاضطرابات السلوكية وعدم استطاعة المعلم لإدارة الصف مما يقود إلى انخفاض مستوى التحصيل الدراسي ويؤدي إلى ارتفاع معدلات التسرب المدرسي لبعض التلاميذ (مهنا، 2000م).

أن الوضع البيئي المتدهور لمؤسسات التعليم بمنطقة الدراسة و في ظل التدهور الاقتصادي الذي عزز من تدني مستويات التعليم التي من شأنها أن تقود إلى انخفاض التحصيل الأكاديمي للتلاميذ وهذا يعني مدخلات تعليمية وتغذية راجعة سيئة ينتج عنها الثالوث المرعب (الجهل، و المرض، و الفقر) في علاقات متبادلة تقود إلى العزلة الاجتماعية والاقتصادية التي قد تؤدي إلى مزيداً من التدهور الاقتصادي والاجتماعي بمنطقة الدراسة. من خلال عرض وتحليل الموارد الطبيعية والبشرية بمنطقة الدراسة اتضح أنها تعاني من تدهور واضح نتيجة للعلاقة الغير متوازنة والمتبادلة بين الموارد والسكان والتي أسهمت في الحد من رفاهية إنسان المنطقة وعدم حصوله علي الدخل الكافي لتوفير الاحتياجات الأساسية والخدمات الضرورية والعيش. تشير إحصاءات العمل الميداني إلى أن أهم المشكلات التي تواجه أسر الدراسة في التعليم الرسوم الدراسية 53,4%، وعدم توفر الإجلالاس 12,5%، والكتب 23,3%، والمعلم 10,8%.

يعاني التعليم بمنطقة الدراسة تدهوراً مريعاً في مؤسساته التعليمية وبيئاته المدرسية مما زاده من قابلية التعرض للعزلة الاجتماعية والاقتصادية وأدى إلى ارتفاع معدلات الفقر. ومن خلال هذا العرض المتناول لعوامل مؤشرات الفقر الريفي بمنطقة الدراسة يتضح أنها تتداخل مع بعضها وتعضد من بعضها البعض في علاقات ترابطية تكاملية تفضي لارتفاع معدلات الفقر وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والتي بدورها تصبح أسباب معززة للفقر وإفقار سكان الدراسة. أشارت إحصاءات العمل الميداني لأرباب الأسر أن الأميين بلغت نسبتهم 44%، والذين تلقوا تعليمهم بالخلوى 22%، ومرحلة الأساس 17%، والثانوي 9%، والجامعة 8%، الشكل (6).

شكل (6): النسبة المئوية للمستوى التعليمي لأرباب الأسر بمنطقة الدراسة



المصدر: العمل الميداني ، 2011م

إن ارتفاع نسبة الأمية لأرباب الأسر بمنطقة الدراسة ساهم في تدهور الإنتاج حيث لا يستطيع المزارع في ظل انخفاض المستوى التعليمي أن يتعامل مع التقنيات الحديثة، ولتحليل ارتباط المستوى التعليمي لأرباب الأسر مع دخلهم باستخدام معامل الارتباط لإسبيرمان، توصل الباحث إلى أن هنالك علاقة طردية موجبة قوية دالة عند مستوى 0.00 وبلغت قيمة الارتباط 0.355 وهذا يشير إلى أنه كلما تدني مستوى التعليم لأرباب الأسر انخفض الدخل.

أما مستوى التعليم لأفراد منطقة الدراسة اتضح أن نسبة الأمية بلغت 19,1 % من جملة سكان منطقة الدراسة والذين درسوا حني مرحلة الأساس 47,2 % ، والذين درسوا حني المرحلة الثانوية 25,1 % ، أما الجامعيين تمثل نسبتهم 8,6 % ، وهذا يظهر انخفاض نسبة الالتحاق بالثانوي والجامعة ، وذلك لعدم مقدرة أولياء الأمور علي تحمل نفقات التعليم خاصة بعد أن رفعت الدولة يدها عن ذلك ، وتبلغ كثافة الفصل 47 تلميذ وهي كثافة عالية جداً بمعدل (6.4) تلاميذ في المقعد ، ويشترك من (4.2) تلاميذ في الكتاب الواحد ، هذا إضافة إلى نقص الوسائل التعليمية.

من خلال عرض وتحليل مؤشرات تدهور الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية للفقر الريف بولاية النيل الأبيض منطقة الجزيرة أبا تبين أن سكانها يعانون من ارتفاع معدلات الفقر بينهم، وتدهور أوضاعهم الحياتية المتمثلة في انخفاض الدخل، و القوة الشرائية،

وانعدام الأمن الغذائي، والعطالة، والهجرة، وتدني الصحة العامة وصحة البيئة، وفقر المسكن وتدهور بيئته، وانخفاض مستويات التعليم، والتي ترجع مجملها إلى مجموعة من العوامل المتداخلة (الطبيعية والاقتصادية والسياسية) التي يصعب معها الفصل والتحديد والتي أسهمت بدرجات متفاوتة في إحداث هذا التدهور.

2. الصحة:

عرفت (منظمة الصحة العالمية ، 1978م) الصحة بأنها ليست مجرد خلو الجسم من الأمراض المعدية بل حالة من التوازن والكمال الجسدي والعقلي والنفسي والاجتماعي. وتعتبر الصحة هي الركيزة الأساسية للإنتاج الاقتصادي وتساوي القدرة علي العمل وان نجاح العملية الإنتاجية يتطلب سلامة جميع أفراد الأسرة إذ أن منطقة الدراسة تعتمد في اقتصادها على الزراعة المرورية والمطرية والرعي والأعمال الحرة التي تتطلب صحة جيدة وجهد بدني عالي. تعاني المؤسسات الصحية بمنطقة الدراسة من تدهور مريع حيث انهارت معظم المؤسسات الصحية العاملة بالقرى بنسبة 80% وتوقفت عن العمل ما عدا مركز صحي طيبة - الجدول (5) ، وقاد هذا إلى الضغط في مستوي خدمات المستشفى ووصلت نسبة الذين يتلقون العلاج فيها 95,2% ، إضافة إلى النقص الحاد في أعداد ونوعية الكوادر المتخصصة، حيث يوجد طبيب عمومي واحد مقابل 34864 نسمة، وسرير مقابل 623 نسمة، وقابلة مقابل 8716 نسمة ، ومساعد طبي مقابل 11621 نسمة.

الجدول (5): المؤسسات الصحية ومواقعها وحالتها الراهنة بمنطقة الدراسة

نوع الوحدة	موقع الوحدة	الحالة الراهنة
مستشفى الجزيرة أبا	الرحمانية ش / ق	بحالة جيدة
شفخانة	قبا	انهارت مبانيها
وحدة صحية	الغار	انهارت مبانيها
نقطة غيار	ارض الشفاء	انهارت مبانيها

نقطة غيار	دار السلام	انهارت مبانيها
نقطة غيار	تكسبون	انهارت مبانيها
مركز صحي	طيبة	بحالة جيدة

المصدر: العمل الميداني 2011م

إن تدهور المؤسسات الصحية بقري الدراسة والضغط الكبير في مستوى خدمات المستشفى والنقص الحاد في أعداد ونوعية الكوادر المتخصصة أدى إلى تدني مستويات الصحة وانتشار الأمراض والأوبئة بين سكان الدراسة وعرضهم إلى الضعف الجسدي وعدم القدرة على العمل في ظل اقتصاد ريفي يعتمد على الصحة الجسدية مما عمق من أسباب العزلة الاقتصادية والاجتماعية. يشير العمل الميداني أن أكثر الأمراض انتشاراً هي الملاريا والالتهابات 80% والتيفويد 11,7% والإسهالات 5,8% والسل 1,7% والأنيميا 0,8%. وأكثر الأمراض المتسببة في وفيات الأطفال دون سن الخامسة هي الملاريا 76,5% والالتهابات 23,5% (مستشفى الجزيرة أبا، 2009م). إن انتشار الأمراض أدى إلى الضعف الجسدي و زاد من قابلية السكان للإصابة بالأمراض وانخفاض روحهم المعنوية مما يقود إلى التغيب المتكرر عن العمل في ظل اقتصاد ريفي يعتمد على الصحة الجسدية والبدنية العالية في العملية الإنتاجية و يؤدي إلى تدني الإنتاج وانخفاض مستوى المعيشة ورفع معدلات الفقر بمنطقة الدراسة.

6.3 تدهور صحة البيئة:

تعرف صحة البيئة بأنها السيطرة علي جميع العوامل الطبيعية في بيئة الإنسان التي تؤثر علي حياته ورفاهيته والاستمرار في المحافظة علي سلامته. أشارت إحصاءات العمل الميداني أن 100% من سكان الدراسة يقومون بالتخلص من النفايات المنزلية الصلبة داخل القرى والأحياء بجهد اسري خالص، ما أدى إلى تراكم وانتشار النفايات المنزلية في جميع أحياء وقرى الدراسة وبالقرب من المؤسسات الاجتماعية ذات التواجد البشري الكثيف التي أصبحت مرتعاً للحيوان ومصدر دخل بائس للأطفال من خلال جمع القوارير البلاستيكية والمعادن الصلبة حتى ينهكهم التعب من البحث والإعياء وبيعها ليسدوا بها جزء من رمق جوعهم. وتظهر عملية التخلص من النفايات في جميع أحوالها بمنطقة الدراسة فقر البيئة الصحية مما قاد إلى انتشار الجراثيم والأمراض، والمجتمعات الجاهلة بسبل العناية الصحية والنظافة تحظى بأكبر قدر من الأمراض المتعلقة بالتخلص غير السليم للنفايات (الأمين، 2003م).

7.3 فقر السكن وتدهور بيئته:

تعرف البيئة السكنية بأنها أبنية فيزيائية يستخدمها الإنسان مأوي ويحتاج للبيئة تلك البنية المتضمنة لكل الخدمات والتسهيلات والأجهزة الضرورية المرغوب فيها للصحة البدنية والعقلية وللوجود الاجتماعي للأسرة والفرد (الأمين، 2003م). إن سكان الدراسة يسكنون في منازل قوامها من الطين اللبن 95.3%، ومن الطوب الأحمر 4.7%، ويبلغ متوسط عدد الحجرات حجرتان للأسرة متوسط عدد أفرادها 6.2 فرد وعدد الأشخاص المتواجدين ليلاً في الحجرة ما بين 3 - 4 أفراد في المتوسط. إن ارتفاع درجة التزاحم لسكان أسر الدراسة في المسكن إضافة إلى الغرف التي تبني من الطين (اللبن) تحتفظ بالرطوبة ولا تكون شديدة الحرارة في فصل الصيف وارتفاع الرطوبة مع الدفء النسبي داخل الغرف تمثل درجة مثلى لتواجد البعوض والحشرات خاصة في فترات الحرارة الشديدة في الصيف والبرودة في الشتاء كما أن تمدد المساكن العمراني نحو الأراضي الزراعية المشثقة إضافة إلى عدم احتمال الطين

الذين لظروف البيئة الطبيعية المتمثلة في تركيز الأمطار في شهر يوليو وأغسطس بنسبة 73% وتمدها وانكماشها في الصيف والشتاء، مما أدى إلى تدهور المساكن، وعدم مقدرة أرباب الأسر للقيام بتكاليف الصيانة المرتفعة. كما يعتمد الغالبية من سكان منطقة الدراسة على المصادر الطبيعية للوقود، فالذين يعتمدون على الحطب وصلت نسبتهم 46.7% و الفحم و 15.8% والحطب والفحم 11.7% والغاز 25.8%، ويرتبط نوع الوقود المستخدم بمستوي دخل السكان بالمنطقة ويعتمد عليه 74.2% من سكان الدراسة بالرغم من توفر الغاز وانخفاض أسعاره وهذا يشير إلى تدني مستويات الدخل مما أضر بالبيئة وصحة إنسان المنطقة. كما أوضحت نتائج العمل الميداني أن عملية التخلص من النفايات نهائياً تتم بحرقها 79.2% والذين يقومون بتركها نسبة 20.8%، أما فيما يختص بمياه الشرب فإن الذين يحصلون على مياه الشرب من المواسير 80%، ومياه النيل 9.2%، وعلى الجيران 10.8%، وأكد 41.7% من أفراد عينة الدراسة أن مياه الشرب لا تكفي لأسباب اقتصادية 54.2% وفنية متعلقة بالشبكة 45.8%.

أما عملية التخلص من الفضلات الآدمية فالذين يتخلصون من فضلاتهم الآدمية في حفرة عادية 85.8%، والسيفونون 1.7% والذين ليس لهم أماكن للتخلص من الفضلات 12.5% واتضح من خلال الزيارات الميدانية أن أعماق الحفرة العادية تتراوح ما بين 3 – 4 أمتار، هذا العمق المحدود يساعد على انتشار الجراثيم وتوالد الحشرات التي تسبب العدوى للإنسان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مما يؤدي إلى انتشار الكثير من الأمراض مثل الكوليرا والتيفود والإسهالات.

جدول(6): أماكن التخلص من الفضلات الأدمية بمنطقة الدراسة

المتغيرات	عدد الأسر	النسبة
حفر عادية	103	85,8%
سايضون	2	1,7%
لا يوجد	15	12,5%
المجموع	120	100%

المصدر: العمل الميداني 2011م

إن التدهور في المسكن وبيئته الصحية والمتمثل في التخلص غير الجيد من الفضلات الأدمية والنقص في مياه الشرب والتراحم في المسكن واستخدام الوقود النباتي وانتشار المخلفات المنزلية والمسكيت في الأحياء والقرى والميادين الرياضية ، وتدهور مظهره العام ما هي إلا انعكاس للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التي قادت إليها قلة الدخل وتدني المستوى المعيشي لسكان الدراسة والتي تتضح من خلال فقر المسكن ومظهره العام لمنطقة الدراسة.

8.3 التدهور البيئي:

تعرضت موارد البيئة الطبيعية بمنطقة الدراسة إلى تدهور مريع خلال العقود المنصرمة من القرن الماضي وأكد علي ذلك 98.3% من أفراد عينة الدراسة.

1- تدهور التربة: فقد تعرضت التربة خلال الأربعة عقود الأخيرة إلى تدهور مريع، فقد اتضح من خلال العمل الميداني أن التناقص والتذبذب في كمية الأمطار عن متوسطها العام وأشار إلى ذلك 100% من أفراد عينة الدراسة مما أدى إلى تفكك التربة السطحية التي يعول عليها في الإنبات والنمو وانجرافها بواسطة الرياح. أشارت نتائج العمل الميداني انتشار المسكيت في مشروع أبا الزراعي بنسبة 98.3% مما أدى إلى إفقار التربة الزراعية بالمشروع وأكد علي ذلك 76.7% من عينة الدراسة. واتضح من خلال المقابلة الميدانية أن المزارعون بالزراعة المطرية يقومون بزراعة محصول الذرة

والدخن بصورة دورية مستمرة لفترات طويلة مما أفقد التربة خصوبتها وأدى إلى تدني إنتاجها الذي يعتمد على موارد البيئة المباشرة. أن زراعة الذرة بصورة مستمرة أدت إلى بعض السلبيات أهمها:

1- ظهور الكثير من النباتات ومن أشهرها البودا التي تطفل على نبات الذرة في الأيام الأولى فتقلل من إنتاجه.

2- يقلل من كمية الماء والرطوبة في التربة لشدة امتصاصه للماء والأملاح المذابة.

3- جذوره تستنزف النتروجين الموجود في التربة لاحتوائها علي كميات كبيرة من الكربوهيدرات والسكريات التي تساعد علي تكاثر الأحياء الدقيقة في التربة إن اعتماد السكان على زراعة الدخن تعمل على إجهاد التربة مع ضعف قدرة السكان على مكافحة الآفات تنعكس سلباً على الإنتاج ويزيد من هشاشة السكان ويرفع من قابليتهم للتعرض للفقر. إن زراعة محصولي الذرة والدخن لفترات طويلة عمل على إجهاد التربة وتدهورها في ظل الأساليب التقليدية للإنتاج وتناقص كميات الأمطار وتذبذبها مما انعكس سلباً علي الدخل فتدنى المستوى المعيشي لأسر سكان الدراسة مما أدى إلى الفقر وارتفاع معدلاته.

2- تدهور الغطاء النباتي: وقد شهد الغطاء النباتي تدهوراً واضحاً، حيث تعرضت الغابات لعمليات إبادة واسعة منذ بداية القرن الماضي وأشار 100% من أفراد عينة الدراسة أن هذه الغابات تدهورت نتيجة للتوسع الزراعي بنسبة 65% والحاجة للوقود والبناء بنسبة 35% وتتمثل مظاهر التدهور في قلة كثافة الأشجار واختفاء بعضها وظهور بعض الأشجار ذات القيمة الاقتصادية المتدنية وان أكثر الأشجار انتشاراً في السابق هي السنط والطلح بنسبة 80.8% والسدر والكر بنسبة 13.3% والشا بنسبة 2.5% والهشاب بنسبة 0.8%. أما أكثر الأشجار انتشاراً حالياً هي شجرة المسكيت بنسبة 90.8% في الأراضي الزراعية وتغطي 5000 ألف فدان من المساحة الكلية للمشروع وهي شجرة صحراوية تتميز بتحمل الجفاف، وتصعب محاربتها بالصورة التقليدية نظراً لحركة الحيوان داخل المشروع والذي يؤدي إلى انتشارها بصورة كثيفة

تمنع نمو أي نباتات بجوارها وتعمل علي سحب الماء والأملاح المعدنية من التربة وتؤدي إلى إفقارها هذا إضافة إلى أنها تعمل علي إعاقة عملية تطهير قنوات الري وتأخير التحضير للعمليات الزراعية لانتشارها الواسع (علوان، 2011م).

إن التدهور المريع الذي تعرض له الغطاء النباتي بمنطقة الدراسة بسبب التوسع الزراعي والحاجة للوقود والبناء ساعد على تفكك التربة وتعرضها إلى أشعة الشمس المباشرة الأمر الذي أدى إلى ارتفاع نسبة التبخر وانخفاض مستويات الرطوبة في التربة وفقدانها لمادتها العضوية إضافة إلى تأثير الغطاء النباتي في كمية الأمطار الساقطة وأثرها على نمو المحاصيل مما أدى إلى تدني الإنتاج وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان بمنطقة الدراسة.

3- تدهور مصادر المياه: يعتبر النيل أهم مورد اقتصادي ومصدر رئيسي للمياه بمنطقة الدراسة إلا أن مياهه ولعقود طويلة ظلت تعاني من مخلفات الصرف الصناعي الغير معالجة التي تتدفق إلى النيل مباشرة دون أية معالجات تجنب الإنسان مخاطرها بعد اختلاطها بمياه النيل، الأمر الذي جعل سكان المناطق حول كنانة وعسلاية مرضى إما بالفشل الكلوي أو السرطانات، وحتى الأسماك والأبقار لم تسلم من الموت، وفشلت زراعة الخضروات تماماً على ضفتي النيل، وهجر معظم مزارعي الخضروات وأصحاب الجروف هذه المهنة، لأن خسرواتهم تصاب بأمراض غير معروفة، وتحرق وتموت (علي، 2011م).

النتائج:

توصلت الدراسة إلى أن سكان منطقة الدراسة يعانون من تدهور واضح في أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وهي على النحو الآتي:

- ارتفاع معدلات الفقر الريفي وسط سكان الدراسة حيث وصلت نسبته إلى 90% دون خط الفقر المدقع ،
- انعدام الأمن الغذائي، حيث أكدوا ارتفاع أسعار الحبوب والمواد الغذائية بنسبة 90,8% ، منهم وأشار 87,5% بأن دخلهم لا يفي باحتياجاتهم من

- الحبوب والمواد الغذائية ، هذا إضافة إلى اعتماد 70٪ على الذرة والويكة في وجباتهم الأساسية ،
- وارتفاع الهجرة الخارجة بين أفراد الأسرة بنسبة 12٪ كما هاجرت أسر بأكملها من المنطقة.
 - تدهور المؤسسات الصحية حيث توقفت نسبة 71٪ منها عن العمل بقرى الدراسة ،
 - ارتفاع معدلات انتشار الأمراض المستوطنة حيث بلغت نسبة الإصابة بالمalaria والالتهابات 80٪.
 - تدهور صحة البيئة حيث توصلت الدراسة أن نسبة 100٪ من سكان الدراسة يتخلصون من نفاياتهم المنزلية داخل القرى والأحياء بجهد أسري مما أدى إلى تراكم وإنتشار النفايات المنزلية في جميع القرى والأحياء بمنطقة الدراسة.
 - فقر المسكن توصلت الدراسة ان 95٪ يسكنون في منازل قوامها من الطين اللبن
 - نقص مياه الشرب وعدم كفايتها للاستخدامات الإنسانية والمنزلية أشار بذلك أكثر من 40٪ من أفراد عينة البحث.
 - تدني مستويات التعليم حيث تعاني مؤسسات التعليمية بمنطقة الدراسة من تدني واضح في مستوياتها ويتضح ذلك من خلال النقص الجاد في الكتب ، والوسائل التعليمية ، والتزاحم في الفصل، وارتفاع نسبة الأمية التي وصلت إلى 19,1٪ و ارتفاع معدلات التسرب، مما قاد إلى العزلة الاجتماعية وتدني الدخل وانخفاض مستويات المعيشة وإفقار سكان منطقة الدراسة

التوصيات:

وتوصي الدراسة بالآتي:

- ضرورة الاهتمام بالأنشطة الاقتصادية والخدمات الاجتماعية في خطط التنمية القومية وإعطاء السكان الفرصة للتعبير عن مشاكلهم وتحديد أولوياتهم.

- ضرورة الاهتمام بالمشاريع الزراعية المروية وتأهيلها وتوفير التمويل اللازم.
- ضرورة تحسين أوضاع السكان الاقتصادية من خلال مشروعات الأسر المنتجة بتمليكهم وسائل الإنتاج والمتابعة والتقييم لكل هذه المشروعات وفق الرؤى العلمية.
- ضرورة الاهتمام بتطوير الصناعات اليدوية والتقليدية التي تعتمد علي موارد البيئة المحلية مثل صناعة دباغة الجلود وصناعة الأحذية والصناعات الفخارية والصناعات السعف وصناعة المراكب.
- ضرورة الاهتمام بترقية الخدمات الصحية والتعليمية ومياه الشرب بمنطقة الدراسة.

المراجع

أولاً: الكتب العربية:

- 1- ابن منظور ،أبي الفضل جمال الدين (1956م) لسان العرب، الجزء الثامن عشر المجلد الخامس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.
- 2- أحمد، زينب العبيد(2000م)المجتمع وتدهور الأرض ،تأليف بليكي وهارولد بروكفيلد، بحث ماجستير في الترجمة (غير منشور)، جامعة الخرطوم ، الخرطوم.
- 3- أرسولا غرانت (2000م) الدولة والفقير، دار الشروق للترجمة والنشر ،بيروت.
- 4- بدر، عبد المنعم محمد (1982م) ريفنا النامي، مطبعة الجهاد، الإسكندرية.
- 5- جلال الدين، محمد العوض (2003م) إنجاز التنمية المستدامة ومناهضة الفقر في السودان، المعهد العربي للتخطيط ، الكويت
- 6- الزبيدي ، محمد مرتضي (1306هـ) تاج العروس في جواهر القاموس منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- 7- سعد، محي محمد (1998م) نظام الزكاة بين النص والتطبيق، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، الاسكندرية.
- 8- طالب، احمد زكريا (2000م) البطالة والفقير ،مؤسسة عبدالحميد شومان للطباعة والنشر، عمان.

- 9- عبدالحى، سعدالدين (2002م) محاضرات في طريقة جمع وتحليل بيانات الفقر، التاكا للطباعة والنشر، الخرطوم
- 10- الليثي، هبة (2001م) ظاهرة الفقر، الطبعة الاولى، جامعة القاهرة. ثانياً: الرسائل الجامعية:
- 11- أبكر، علي صديق (2004م) مظاهر وأبعاد التدهور الحضري في ولاية النيل الابيض، دراسة حالة مدينة الجزيرة أبا رسالة، ماجستير (غير منشورة) جامعة أمدرمان الاسلامية.
- 12- إسماعيل، إسماعيل الصايفي (2001م) أسباب وعوامل الهجرة الاستيطانية الوافدة إلى محافظة القلابات بولاية القضارف، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة الخرطوم.
- 13- الأمين، شذي إسماعيل (2003م) أثر العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية علي أمراض الملاريا والإسهالات والتايفيد، دراسة جيو طبية محافظة المناقل، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الخرطوم.
- 14- بابكر، هناء محمد (2007م) الأمن الغذائي بين التوزيع الدخلي والواقع التحليلي لمؤشرات الفقر لبعض ولايات السودان، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الخرطوم
- 15- بخيت، سعيد محمد سعيد (2011م) عوامل تدهور النظام الزراعي منطقة أم جر محلية الدويم ولاية النيل الأبيض (1998 - 2010م) رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الإمام المهدي.
- 16- الشيخ، عبدالعزيز الأمين (2002م) الهشاشة والفقر الريفي في المجتمعات الريفية، دراسة حالة محافظة بارة، رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة الخرطوم.
- 17- العبيد، عبد الكريم (2008م) سياسات الحد من الفقر في الريف العربي رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة أمدرمانا الإسلامية.
- 18- محمد، عبد الله خادم الله (2007م) تقويم جهود محاربة الفقر في ظل التحرير الاقتصادي في السودان، دراسة تحليلية في الفترة (1992 - 2002م)، رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة امدرمان الإسلامية.

- 19- المكاشفي، أحمد عبد المولى أحمد(2003م) تدهور نظم الاقتصاد الريفي بوحدة قلي محلية كوستي، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الخرطوم.
- 20- المكاشفي، أحمد عبد المولى أحمد(2010م) دور الزراعة المطرية في الحد من الفجوة الغذائية بمحلية كوستي - ولاية النيل الأبيض - السودان في الفترة ما بين (1975-2008)، رسالة دكتوراه (غير منشورة) في الجغرافيا جامعة الخرطوم مارس 2010م.
- 21- مهنا، هنادي عيسي (2000م) سوء التغذية العوزي لدي تلاميذ مرحلة الأساس وعلاقته بالتوافق الشخصي والاجتماعي والتحصيل الدراسي والمستوي الاقتصادي - الاجتماعي لأسر التلاميذ، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة أمدرمان الإسلامية.
- ثانياً: التقارير والمؤتمرات وأوراق العمل:**
- 22- الإدارة الزراعية (2012م) إحصاءات إنتاجية القطن والذرة والقمح للعام 73/84 - 2012م، كوستي
- 23- الإدارة البيطرية (2012)، كوستي
- 24- إدارة الإحصاء السكاني ولاية النيل الأبيض(2010م) الكتاب السنوي للإحصاء (2008م) ولاية النيل الأبيض، كوستي.
- 25- إدارة تعليم مرحلة الأساس (2010)، كوستي
- 26- الحنيطي والكرابلية، دوخي عماد(2010) دراسة العلاقة بين قوة العمل والفقير في مجتمعات ريف جنوب الأردن، الجامعة الأردنية، عمان.
- 27- برنامج الأمم المتحدة للتغذية (2002م) تقرير عن حالة انعدام الأمن الغذائي في العالم، الولايات المتحدة، نيويورك.
- 28- البنك الدولي (2010م) تقرير عن مراقبة أسعار الغذاء في العالم، واشنطن.
- 29- الصندوق الدولي للتنمية الزراعية (2001م) تقرير حول تقييم الفقر الريفي في دول الشرق الأدنى وشمال أفريقيا

- 30- منظمة الصحة العالمية (1978م) تقرير مبادئ الرعاية الصحية الأولية (آما آتا) الإتحاد السوفيتي.
- 31- منظمة إيفاد (2007م) تقرير عن الفقر الريفي في السودان.
- 32- مستشفى الجزيرة أبا (2010م).
- 33- مسودة مناهضة الفقر في السودان (2001م) البرامج الاستراتيجية الشاملة لتخفيف وطأة الفقر في السودان.
رابعاً: الدوريات، والمجلات والصحف:
- 34- النمر، نادية سالم (1994م) المجلة المصرية للتنمية والتخطيط المجلد الثاني العدد الثاني.
- 35- علي، هدية (28 يونيو 2011م) صحيفة الانتباه العدد 1913
خامساً: المقابلات الشخصية:
- 36- أحمد عيسي، عبد الله (2011م) رئيس صيادين ، الجزيرة أبا.
- 37- أحمد محمد، خالد (2011م) مدير الزراعة المطرية ، ربك.
- 38- علوان، محمد علي (2011م) مدير مشروع أبا الزراعي، الجزيرة أبا.
سادساً: المراجع الإنجليزية:
- 39- Walker:(1989); Famine relief among pastoralists in Sudan.
- 40-Cowren ,A,G: (1987) ; Poverty and planning and social change ,The press ,London.
- 41-Joshi ,Niraj:(2010); A Study on Rural Poverty Using Inequality Decomposition in Western Hills of Nepal: A Case of Gulmi Distract, Hiroshima University, Nepal.

The Benefits of the Combination of Buprenorphine and the Twelve-Step Program for the Treatment of Drug Addicts

Assistant Professor: Abualola, Turkey Hassan

Umm Al Qura Univeristy

Literature Review

Sources of the Literature

The literature search for this dissertation was cumulative in that articles and book chapters have been collected across the span of the researcher's doctoral program, but particularly in the comprehensive exam and dissertation phases. Searches of the American Psychological Associations, PsycARTICLE and PsycBOOK databases have been most useful. Additionally, the Capella University Ebrary, ProQuest, Medline, Academic Search Premier, Science Direct, and EBSCOHost databases have been productive. Search terms used included "opioid dependence and personality", "MCMI-III and substance abuse", "substance abuse treatment outcome", "substance abuse and personality", and variations of these themes. Additionally specific authors were entered including "Millon", "Cloninger", "Eysenck", "Widiger", and "Verheul", among others.

Introduction

Opioid dependence has been a continuous public health problem throughout the last century, and shows no evidence of decline at the beginning of the 21st century, indeed a new epidemic appears to be in progress (Stine, 1998, p 457). During the 1990s, heroin incidence rates rose to a level not reached since the 1970s. The annual number of new users ranged from 55,000 to 69,000 between 1989 and 1992. However, there were 110,000 new heroin users in 1994 and 146,000 in 2000. (Office of Applied Studies (OAS), 2003, P 42). Nationwide, there were 93,519 heroin Emergency Department (ED) admissions during 2002, up slightly from 93,064 in 2001. Between 1995 and 2002, the number of heroin ED admissions increased 34.5% (SAMHSA, 2004, p 6). During the period from 1994 to 2001 ED visits related to opioid analgesics increased 117% and these compounds were involved in 14% of all drug abuse-related ED visits in 2001. Among the named narcotics hydrocodone was most often named followed by oxycodone (Crane, 2003, p 8.)

Since the enactment of the Drug Addiction Treatment Act of 2000 (DATA) the prescription of buprenorphine by family physicians has brought a new and rapidly growing population into substance abuse treatment. Compared in aggregate to the

existing methadone maintenance population, these patients are younger, have abused opioids for a shorter period of time, and are less severely impaired in life functions such as employment and relationships (Center for Substance Abuse Treatment (CSAT), 2004, P 6). While a significant number of these patients have abused multiple substances, they may be roughly divided into two presenting groups based on their demonstrated preference for either heroin or narcotic analgesics as a drug of choice. This enacted preference bespeaks a number of behavioral and socio-cultural patterns including the extent of criminal activity, high health risk behaviors, and disparate ability to succeed in relationships.

Another defining dimension among substance abusers in general is personality, with numerous studies completed comparing personality pathology between alcoholics and drug abusers (Barnes, 2000, p 3). Antisocial personality as well as traits of neuroticism and impulsive sensation seeking have been studied extensively in substance abusers (Zuckerman, 1978, p 139). The family physician treated group of patients presenting dichotomously as dependent on either heroin or narcotic analgesics creates a new opportunity for research into the manifestation of personality in drug culture as well as treatment response.

The 'Self-support Program' is one of the most common treatment methods worldwide and is based on 12 steps in providing services for its members. The philosophy is that drug addicts are not normal individuals. They are seen as being different mentally, physically and socially, and their bodies are more sensitive so that as soon as these individuals start using drugs, their bodies become addicted. The main objective is to convey the messages of drug addicts who are still suffering from addiction. Effective participation in self-support meetings is a vital part of the treatment.

Background

Substance abuse patients presenting with opioid dependence have traditionally been a difficult population to engage and sustain in treatment. There are two general approaches to the medication-assisted treatment of opioid addiction: medically supervised withdrawal (detoxification), and opioid maintenance treatment (CSAT, 2004, p 42). A number of pharmacological therapies have been developed to assist patients through a safer, more comfortable withdrawal. These involve the use of opioid agonists (e.g. methadone), alpha-adrenergic agonists such as clonidine, opioid antagonists (e.g. naloxone hydrochloride), and buprenorphine in the agonist/antagonist formulation (Stine, 1998, p 86). Following

detoxification, the most effective treatment for the disorder is opioid maintenance with medications such as methadone or buprenorphine (CSAT, 2004, 43).

Methadone, introduced in the 1960s, was the first significant breakthrough in the medical treatment of addiction. Methadone maintenance proved safe and effective and enabled patients to lead functional lives, something that was often not possible using only drug-free approaches. Within a few years of its introduction, however, new laws and regulations in the United States, including the Methadone Regulations in 1972 and the Narcotic Addict Treatment Act of 1974, effectively limited methadone maintenance treatment to the context of the Opioid Treatment Program (OTP) (i.e., methadone clinic) setting. These laws and regulations established a closed distribution system for methadone that required special licensing by both Federal and State authorities. The Drug Addiction Treatment Act of 2000 established a new paradigm for the medication-assisted treatment of opioid addiction. For the first time opioid medications are available which may be prescribed by family practitioners in addition to those formerly dispensed by federally approved Opioid Treatment Programs (methadone clinics) (CSAT, 2004, p 42). This creates a new population for

substance abuse treatment programs characterized by medication enhanced stability and optimism.

Buprenorphine has been approved for outpatient therapy by specially trained family practitioners since 2003. Patients who are medically suited by level of physiological dependence to enroll in outpatient buprenorphine programs experience upon induction immediate relief from the cycle of drug administration and withdrawal. To many patients all of their problems seem to be solved. After approximately 6–10 weeks into therapy the initial sense of euphoria wanes as they become aware of secondary psychological problems and related liabilities. It is at this point that many begin to challenge treatment protocols, miss appointments, adapt through the use of other classes of substances, or drop out of treatment entirely.

The stabilization of mood, reduction of drug cravings, and interruption of the withdrawal/relief cycle which are achieved through buprenorphine therapy offer an opportunity for psychological interventions. While mechanisms of action as well as withdrawal symptoms are similar across different opioid agents, cultural factors and environmental associations vary significantly between intravenous injection (IV) heroin addicts and those dependent on opioid analgesics. This has implications for the provider of psychotherapeutic services, as

treatment is not routinely differentiated between these two populations. Among other considerations, marked heterogeneity is possible within therapy groups. While numerous studies have investigated personality factors in opioid dependence (Ball, et al., 2002, p 177), the influence of personality profile on route of administration and use of illicit vs. licit opioid substances has not specifically been addressed in the population treated with buprenorphine.

Buprenorphine

Buprenorphine has three major advantages over the currently available alternatives (Fiellin, 2001, 158). First, because it is a partial opioid agonist, the associated withdrawal syndrome is milder than with methadone and eventual tapering of the medication may be easier to accomplish. Second, because it is long lasting, dosing can be limited to 2–3–day intervals, necessitating less frequent office visits, even without take–home doses. Third, it can be combined with the opioid antagonist naloxone and taken sublingually .

Buprenorphine is a partial agonist at the μ -opioid receptor which tightly binds to the site but only partially activates it. By manipulating the dose, the agonist effects reach a ceiling resulting in antagonist function to other opioids that approach

the receptor (Franklin, 2004, p 19). Both buprenorphine and methadone demonstrate some effectiveness as antidepressants in depressed mood opioid addicts and have been compared in this dimension with mixed results (Dean, Bell, Christie, & Mattick, 2004, p 3-512 ; Howell, 2004, p 3-512). Buprenorphine has also been used as an analgesic in numerous countries other than the United States (CSAT, 2004, p 43) offering a broad analgesic profile and the opportunity to treat different pain conditions including neuropathic pain (Christoph et al., 2008, p 3.)

Maintenance treatment with buprenorphine has three stages of application: induction, stabilization/maintenance, and withdrawal. The induction stage is critical in that the dose is slowly titrated to simultaneously maximize the mildly euphoric agonist properties while initiating the antagonist function without producing withdrawal syndrome. During induction the client is systematically withdrawn from the drug of abuse by replacement of buprenorphine. The goal of induction is to find the minimum dose of buprenorphine at which the client discontinues or markedly diminishes use of other opioids and experiences no withdrawal symptoms, minimal or no side effects, and no uncontrollable cravings for drugs of abuse (CSAT, 2004, p 42). Induction generally requires about a week and is complete when

the patient is no longer experiencing the aforementioned symptoms. The stabilization phase (usual duration approximately 1 to 2 months) is begun when the patient is experiencing no withdrawal symptoms, is experiencing minimal or no side effects, and no longer has uncontrollable cravings for opioid agonists. As with any pharmacotherapy, the goal of buprenorphine treatment is to treat with the minimum dose of medication needed to address target signs, symptoms, desired benefits, and laboratory indices while minimizing side effects (CSAT, 2004, p 42). The longest period that a patient is on buprenorphine is the period of maintenance. This period may be indefinite. It is easy for physicians to lessen their vigilance during this period, but significant considerations still must be addressed. Attention must be maintained to the psychosocial and family issues that have been identified during the course of treatment (CSAT, 2004, p 42).

Overview of Substance Dependence Theory

Substance abuse and dependence are the most prevalent psychiatric disorders for males in the United States (Zuckerman, 2000, p 68). The destructive paradox of substance abuse is that behavior which is often initially recreational and prosocial gradually intensifies and leads to problems, but instead of ceasing the behavior the individual becomes obsessed with

finding solutions inside the problem, i.e. doing more of the same while hoping for different outcomes. Theories of the etiology of Substance Use Disorders (SUDs) fall into three broad categories: the cognitive, the self-attributional, and the physiological.

Self support program (12 step programme)

The ‘Self-support Program’ is one of the most common treatment methods worldwide. The philosophy is that drug addicts are not normal individuals. They are seen as being different mentally, physically and socially, and their bodies are more sensitive so that as soon as these individuals start using drugs, their bodies become addicted.

The ‘Self-support Program’ is based on 12 steps in providing services for its members. The main objective is to convey the messages of drug addicts who are still suffering from addiction. Effective participation in self-support meetings is a vital part of the treatment. Patients who continue in the Program normally remain sound and enjoy their lives, whereas those who do not attend are subject to relapse a short time after recovery. It is imperative to attend regular meetings if treatment is to be successful (saad 2006, 23).

The nature of the program

Addicts support each other through their experiences and loathing towards drug addiction. The addict goes through the very hard phase of drug withdrawal then begins the phase of rehabilitation treatment. The Self-support Program is used during this phase. The addict affiliates with one of the groups of treatment that applies during the 12 steps, committing to the meetings and program rules .

There are two types of meetings: open meetings attended by any person (not necessarily addicts), including family members and friends; and restricted meetings attended only by members of self-support programs. Meetings also take different formats, the main ones being discussion meetings, talking meetings, reading meetings, meetings to study the 12 steps and new members meetings, as summarized below:

.1Discussion meeting: Members participate by discussing a topic (related to drugs) selected by all members or one member .

.2Talking meeting: One member is requested to discuss his or her experiences, aspirations and addiction stories. They also outline the problems they have had to deal with.

Other members facing similar dilemmas are invited to discuss their experiences

.3Reading meetings: Include reading a certified book related to the program and talking about the types of treatment to increase members' zeal to escape from their addiction. Members are encouraged to read a part of the book and discuss it

.4Studying the 12 steps meeting: The members read and study one of the 12 steps linked to the program and talk about their intention to use it in their life.

.5New members meeting: Those who have finished treatment or are affiliated to the program guide new members to join. They discuss the first three steps with the new members, talking about their feelings at the beginning of the program. At the end of the meeting, the manager encourages the members to attend program meetings, commit to them and acknowledge their importance. The manager then closes the meeting

It is totally clear that the addicts' talks, whether face-to-face, by video, or by other means, are very important in the addicts' social rehabilitation (saad 2006, 23.)

Cognitive Theories of Substance Abuse

The cognitive revolution that transformed psychology in the 1970s has more recently influenced research on addictive processes (Sayette, 2001, p 409). Cognitive therapy of substance abuse (Beck, Wright, Newman, & Liese, 1993, p 212) is based on the premise that substance abuse involves numerous complex behaviors driven largely by drug-related beliefs. These behaviors involve the acquisition and consumption of substances as well as actions to avoid the negative consequences of substance abuse. Drug-related beliefs involve positive beliefs about the effects of substance use as well as negative beliefs about the effects of refraining from substance use.

The terms craving and urge are sometimes used interchangeably and while the research literature distinguishes between them the subjective nature of the phenomena blurs definitions. Craving is a clinically useful descriptive term and has been part of the diagnostic criteria for dependence since 1987 (APA, 1987; Tiffany, 1990, p 220), however it does not lend itself to quantitative assessment (Halikas, 1997, p 62). Beck et al. (1993, p 215) differentiate cravings from urges as separate phenomena. In their view, craving refers to a desire for the

drug, whereas the term urge is applied to the internal pressure or mobilization to act upon the craving.

Drug urges are assumed to be subjective, emotional-motivational states (Tiffany, 1990, p 217). They are viewed as subjective in the sense that they refer to the phenomenological experience of the individual, emotional in that the subjective experience of urge has some hedonic quality, and motivational in the sense that the subjective urge state presumably activates drug-seeking behavior. Models of drug urges can be classified loosely as attributing the genesis of urges and cravings to one of two sources: drug withdrawal or the positive reinforcing effects of drugs (Wise, 1988, p 118). These two classes of theories reflect the two sources of reinforcement, negative and positive, that have often been proposed as being fundamental to the initiation and maintenance of addictive behavior.

Tension Reduction Hypothesis

The early models of attribution of drug urges were based on the assumption that addictive behavior is sustained for its personal effects, generally conceived in terms of a reduction in tension or anxiety. One of the oldest, the tension reduction hypothesis (TRH; Conger, 1956, p 12 ; Bandura, 1969, p 2) postulated that (a) increased internal tension constitutes a heightened drive state, (b) alcohol consumption has the

reinforcing property of lowering drive level by reducing tension, and (c) such drive-reducing reinforcement strengthens the alcohol consumption response. This cycle eventually leads to habitual drinking when alcohol consumption becomes a primary response to heightened internal tension.

Self-awareness Model

Hull (1981, p 586) challenged the TRH model as relying too much on the unproven assumption that problem drinkers suffer from neurotic type personalities. The self-awareness model (Hull, 1981, p 594) is based on the proposition that alcohol consumption leads to a cognitive deficit associated with a decreased level of self-awareness. Alcohol interferes with encoding processes fundamental to a state of self-awareness, thereby decreasing the individual's sensitivity to both the self-relevance of cues regarding appropriate forms of behavior and the self-evaluative nature of feedback regarding past behaviors. This, in effect, provides a blockade of self-criticism and negative affect, and alcohol is experienced as an inhibitor of self-aware processing and a provider of psychological relief. A weakness of the model is that it described the pre-alcoholic personality as "lower in self-confidence, having increased feelings of failure and guilt and heightened personal sensitivity, and a general

tendency to withdraw from social situations” (Hull, 1981, p 12). While this may describe a portion of pre-alcoholic personalities, it does not include impulsive and antisocial personalities for whom the model is less relevant.

Attention-allocation Model

Also challenging the TRH model, the attention-allocation model was based on the idea that distracting cognitive activity combined with consumption of alcohol would be more effective in relieving psychological stress than either by itself (Steele, Southwick, & Pagano, 1986 , p 172; Steele & Josephs, 1988, p 196). In two experiments they showed that the power of alcohol to improve affective worry states was increased if there was unrelated cognitive activity to distract the energy of the intoxicated state, i.e. to weaken the tendency to “cry in the beer”. Their point was that cognitive impairment and attention allocation mediate the anxiolytic effects of alcohol consumption. A weakness of the study is that negative affect was measured only during periods of ascending blood alcohol level, but the findings strongly suggest that alcohol's reduction of general psychological stress has less to do with direct, pharmacologically mediated effects of the drug than with alcohol's ability to force attention away from stressful cognitions onto more immediate activity.

Office-based Buprenorphine Studies

Published research on Office-based utilization of buprenorphine is scarce in the United States at this time. A search of PsycINFO for citations and abstracts returned 9 documents published in the last 3 years. Montoya, et al., (2005, 252) evaluated the influence of psychotherapy attendance on treatment outcome in 90 cocaine-opioid dependent outpatients over a 70 day controlled clinical trial of sublingual buprenorphine and found that higher psychotherapy attendance was associated with lower urine screen noncompliance. This study with the buprenorphine population supports earlier findings (Fiorentine, 2001, p 27) related to psychotherapy attendance and positive outcomes.

Fiellin et al. (2006, pp 62-63) conducted a 24-week randomized, controlled clinical trial with 166 patients assigned to one of three treatments: standard medical management and once-weekly or thrice-weekly medication dispensing (sublingual suboxone) or enhanced (longer psychotherapy sessions) medication management and thrice-weekly dispensing. All three treatments were associated with significant reductions from baseline in the frequency of illicit opioid use. The efficacy of brief versus extended weekly counseling did not differ significantly.

In a study of treatment retention with Austria adolescents (N=61) receiving either methadone or buprenorphine (Bell & Mutch, 2006, p 165), subjects treated with methadone had significantly longer retention in the first treatment episode than subjects treated with buprenorphine (mean days 354 vs. 58), and missed fewer days in the first month (3 vs. 8). Subsequent re-admission for further treatment occurred in 25% of methadone patients and 60% of buprenorphine patients. Time to re-entry was significantly shorter for buprenorphine patients, but MMT (Methadone Maintenance Treatment) was apparently more effective in preventing premature dropout.

Results and Discussion

The purpose of this study was to examine the role of drug choice and personality style in treatment response of heroin and painkiller addicts. This section covers the following: an overview of the research problems and findings, discussion of the results, the limitations of the study, the implications for further research, the implications for clinical practice, and a summary.

Findings

The first research question looked at whether the two groups present with contrasting personality style or pathology. It was reasoned that this would be the case based on lifestyle and patterns of behavior manifested in procuring and administering

the two types of opioids. This assumption was supported as more of the heroin group were found to possess an antisocial personality style while more of the painkiller group were found to possess a dependent style. The highest concentration of heroin group members was Antisocial (29%) followed by Depressive (21%). The highest concentration of the painkiller group was Dependent (32%) followed by, Antisocial (18%), and Depressive (14%). Depressive was the personality style with the most nearly equal representation between groups. Of the entire cohort, antisocial had the most members with 15, followed by dependent with 12, and depressive with 11.

The second research question investigated how each group responded to treatment. It was reasoned that socio-cultural manifestations of drug of choice as discussed above may impact treatment response. A MANCOVA and Four ANCOVAs were conducted to assess if differences exist on the four ASI Post-measures (Ambulatory Opioid Detoxification (AOD), Meeting, and Family/social function) by Group (Heroin vs. Painkiller) after controlling for the ASI Pre-measures. Multivariate analysis of covariance (MANCOVA) is a statistical technique that is the extension of analysis of covariance (ANCOVA). (Taylor 2014). There are differences on a few different levels. First, an ANOVA is different from both a

MANOVA and MANCOVA because an ANOVA has only one dependent variable, while both a MANOVA and MANCOVA have multiple dependent variables. An ANOVA typically compares a continuous (a.k.a interval or scale variable) between multiple independent groups of responses (usually 3 or more groups). (Taylor 2014). No significant differences were found in the measures of behavioral change between the two groups.

The third research question considered whether personality style would influence treatment response on the same four ASI (Addiction Severity Index) Post-measures. No significant differences were found in the measures of behavioral change between the personality style subgroups. This was surprising in light of the reputed resistance to treatment by antisocial personalities.

The fourth question considered whether drug choice and personality would interact in affecting treatment response in the behavioral dimensions again, it was reasoned that antisocial personality and cultural aspects of drug choice may produce markedly different treatment response than other personality factors. No significant relationships were found between drug choice, personality style, and the measures of behavioral change.

The fifth question considered whether assessment of personality would predict differences in the clinical syndromes of anxiety and dysthymia. The heroin group was found to have significantly higher base rate anxiety and dysthymia upon entering treatment, but the impact on these conditions by treatment is not significantly different between groups, i.e. the change scores are similar. Data analysis found that there is an interaction between drug choice, personality style at admission, and change in anxiety scores across treatment. No interaction was found between drug choice, personality style and change in dysthymia scores.

According to the findings of the study, the unique research demographic provided data that exhibits the following general characteristics. Individuals presenting for BMT (buprenorphine maintenance treatment) were fairly equal in their preference for heroin (55%) versus painkillers (45%). The male to female ratio was 3:2, they were an average of 28 years old and completed just under 12 years of education. One third were under parole supervision, the mean years of opioid use was 6.77 and other drug use was 11.45. Seventy-one percent displayed Axis II (Personality Disorders) pathology according to the (Millon Clinical Multiaxial Inventory) MCMI-III results. Eighty-two percent remained in treatment at least 16 weeks,

reporting a reduction of opioid use by 84.4%, and a reduction of AOD use by 20.3%. Anxiety BR (Base Rate) scores were reduced by 8.7% and Dysthymia BR scores were reduced by 8.6%. Treatment activity or meeting attendance per month increased by 285% while clinician rater family/social function scores improved 18% (Millon 2014, p 2-14.)

Discussion

The aim of the present study was to investigate the role of personality and drug choice in the treatment response of opioid dependent clients receiving buprenorphine maintenance therapy (BMT) in outpatient setting. In order to conduct the study, newly admitted patients were administered the MCMI-III and the ASI, were administered the MCMI-III again at 4 weeks into treatment, and both instruments at week 16 of treatment. Sixty-two clients consented to participate in the study. Eleven dropped out before completing 16 weeks of treatment. All of the subjects were opioid dependent, and were voluntarily enrolled in BMT. Patient data were grouped according to preference for heroin or narcotic analgesics. Personality style was correlated with change in anxiety and dysthymia scores on the MCMI-III, and with behavioral change in opioid use, alcohol and other drug (AOD) use, attendance at treatment activities, and family/social function. A major limitation of the study is the large

number of subgroups by personality style, the relatively small total N value at 62, and the implication of this for statistical analysis. For this reason, for statistical analysis, personality scales were compressed into four clusters based on the person's function within group and family environments as conceptualized by Millon and Davis (1996, 3). Comparable findings have been obtained in several other studies. For example, in patients with alcohol use disorders who attended AA at least weekly reported more reductions in alcohol consumption and more abstinent days at a 6-month follow-up than did individuals who attended AA less frequently or those who did not attend at all (Gossop et al. 2003, P 212.)

Conclusion

This study examined the phenomenon of opioid dependence and personality demographic. A quantitative method examined the extent to which differences in treatment outcomes are related to differences in personality style and drug of choice .

The study was approached by formulating five interrelated hypotheses focused on the independent variables of drug choice (heroin vs. painkiller), intervening variables of personality style

(MCMI–III personality scales), and dependent variables of treatment response measured in terms of change in behavior (ASI items of days of opioid use, days of alcohol and other drug use (AOD), meeting/therapy attendance, family social composite change) and change in Axis I (Clinical syndromes) severity (MCMI–III Anxiety and Dysthymia scores). The intent was to investigate whether treatment could be improved by personality assessment utilizing the MCMI–III, i.e. assessment of Axis II domain, and whether benefit would result from grouping according to drug of choice or personality. Other studies have subtyped opioid addicts into personality groups, but none to date has divided them into heroin/painkiller subgroups and utilized buprenorphine for maintenance treatment in a rural community.

This study has contributed to the substance abuse treatment literature through the examination of individual and group profiles for this rapidly growing population in treatment. The findings of the present study support the utilization of the MCMI–III as one of a battery of diagnostic methods to be used for assessment of this population. With the development of new medications for chemical dependence there will be increasing opportunity for collaboration between family physicians and addiction psychologists.

Community-based recovery groups such as ‘Cocaine Anonymous’ use the 12-step rehabilitation program. Participants may benefit from supportive fellowship and sharing their experiences with those experiencing similar issues (Leshner 1999, p 47). The researcher believes that the Self-support Program is one of the most important social rehabilitation programs and that it must be supported because it makes the addict participate in society through identifying how to deal with society and perform social roles. It also helps the addict acknowledge and face social problems, and it supports treatment.

Recommendations for Future Research

The present research questions were not definitively answered because of sample size and longitudinal time restraints. It would be advantageous to collect MCMI-III data and basic treatment outcome data from multiple sites in order to establish a larger sample and look again at whether personality could be established as a statistically significant intervening variable. The element of time is also important in terms of whether personality pathology may change through abstinence or as lifestyle and functions improve in recovery.

The impact of clinical consultation between psychology and medicine has been an unaddressed but significant

component of this outcome sample. Although not measured as a study variable, the level of collegiality and consultation between medical and psychological practice has definitely contributed synergistic impetus to treatment compliance and response. This would be a good area for future research, by either qualitative or quantitative methods.

One aspect not drawn from the data analysis is the effect of legal supervision on those with Anti-social Personality Disorder (ASPD). Other studies have investigated prevalence of ASPD in Methadone Maintenance Treatment (MMT), have subtyped ASPD, and have studied treatment modalities and contingencies such as vouchers. None of the literature reviewed looked specifically at this population, parole supervision, and response to this treatment. Another interesting area for future research is the utilization of antidepressant medications with BMT, and how this may impact treatment outcomes. The current study establishes dual diagnosis as prevalent but does not investigate the rate of medication or effects of medication on treatment response .

The opioid dependent population has been studied as comorbid with cocaine dependence. The difference between individuals who choose heroin versus painkillers also deserves more study with larger samples and in diverse settings. Other

than the current study, there are no existing studies separating heroin from painkiller folks in this comorbid area.

References

- Alterman, A.I.; McDermott, P. A.; Cacciola, J. S.; Boardman, C. R.; & McKay, J. R. (1998). A typology of antisociality in methadone patients. *Journal of abnormal psychology*,. Retrieved January , PsycARTICLES.
- Amato, L., Davoli, M., Perucci, C. A., Ferri, M., Faggiano, F., & Marrick, R. P. (2005). An overview of systematic reviews of the effectiveness of opiate maintenance therapies: available evidence to inform clinical practice and research. *Journal of substance abuse treatment*,. Retrieved April 7, ScienceDirect .
- Anthenelli, R. & Schuckit, M. (1997). Genetics. In: Lowinson, J. Ruiz, P., Millman, R., & Langrod, J., Eds. *Substance abuse: A comprehensive textbook*. Baltimore, MD: Williams & Wilkins.
- Ball, S. A. (2002). Big Five, alternative five, and seven personality dimensions: Validity in substance-dependent patients. In Costa, P. T. Jr. & Widiger, T. A., Eds. *Personality disorders and the five-factor model of personality* (2nd ed.). American Psychological

- Association. Retrieved December 22, PsycBOOKS database.
- Ball, S. A., Rounsaville, B. J., Tennen, H., & Kranzler, H. R. (2001). Reliability of personality disorder symptoms and personality traits in substance-dependent inpatients. *Journal of abnormal psychology*,. Retrieved September 22, PsycARTICLES.
- Bandura, A. (1969). Principles of behavior modification. New York: Holt, Rinehart & Winston .
- Bechara, A. & Damasio, H. (2002). Decision-making and addiction (part I): impaired activation of somatic states in substance dependent individuals when pondering Decisions with negative future consequences. *Neuropsychologia*,. Retrieved Monday, January 22, from the Academic Search Premier database .
- Beck, A; Wright, F.; Newman, C.; & Liese, B. (1993). Cognitive therapy of substance abuse. New York, NY: The Guilford Press.
- Bell, J., & Mutch, C. (2006). Treatment retention in adolescent patients treated with methadone or buprenorphine for opioid dependence: A file review. *Drug and Alcohol Dependence*.

- Brooner, R. K., King, V. L., Kidorf, M., Schmidt, C. W., et al. (1997). Psychiatric and substance use comorbidity among treatment seeking opioid abusers [Abstract]. Archives of general psychiatry. Retrieved January 3, from PsycINFO database .
- Brown, J. (1998). Self-regulation and the addictive behaviors. In: Miller, W. R. and Heather, N, (Eds.). Treating addictive behaviors, 2nd Ed. NY: Plenum .
- Cacciola, J. S., Alterman, A. I., Rutherford, M. J., & Snider, E. C. (1995). Treatment response of antisocial substance abusers. Journal of nervous and mental disease.
- Carter, J.; Herbst, J.; Costa, P.; & Stoller, K. (2001). Short-term stability of NEO-PI-R personality trait scores in opioid-dependent outpatients. Psychology of addictive behaviors. Retrieved January 30, from PsycARTICLES database.
- Center for Substance Abuse Treatment (CSAT) (2004). Treatment Improvement Protocol (TIP) Series, No. 40. <http://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK64246/> .
- Christoph T, Bahrenberg G, De Vry J, Englberger W, Erdmann VA, et al. Investigation of TRPV1 loss-of-function phenotypes in transgenic shRNA expressing and knockout mice. Mol. Cell Neurosci.

- Cloninger, R. & Svrakic, D. (1997). Integrative psychobiological approach to psychiatric assessment and treatment. *Psychiatry*; Retrieved from Proquest Psychology Journals, January 21 .
- Cohen, R. J. & Swerdlik, M. E. (1999). *Psychological testing and assessment: An introduction to tests and measurement*, 4th Ed. Mountain View, CA: Mayfield.
- Conger, J. J. (1951). The effects of alcohol on conflict behaviour in the albino rat. *Quarterly Journal of Studies on Alcohol*.
- Craig, R. J. & Olson, R. E. (1990). MCMI comparisons of cocaine abusers and heroin addicts. *Journal of clinical psychology*. Retrieved January 2, from Academic Search Premier .
- Craig, R. J. & Olson, R. E. (2001). Adjectival descriptions of personality disorders: A convergent validity study of the MCMI-III. *Journal of personality assessment*. Retrieved February 12, from Academic Search Premier.
- Crane, E. (2003). *Narcotic Analgesics*, SAMHSA Ctr for Behavioral Health Statistics and Quality, NCJ 200603, www.ncjrs.gov/App/Publications/abstract.aspx?ID=200603 .
- Dean A, Bell J, Christie M, Mattick R. (2004). Depressive symptoms during buprenorphine vs. methadone

- maintenance: findings from a randomised, controlled trial in opioid dependence. *European Psychiatry*.
- Evans, K, & Sullivan, J. (2001). *Dual diagnosis: A guide for counselors and case managers*. New York: Guilford Press .
- Fals-Stewart, W. (1992). Personality characteristics of substance abusers: an MCMI cluster typology of recreational drug users treated in a therapeutic community and its relationship to length of stay and outcome. *Journal of personality assessment*. Retrieved February 12, from Academic Search Premier .
- Fals-Stewart, W. (1995). The effect of defensive responding by substance-abusing patients on the Millon clinical multiaxial inventory. *Journal of personality assessment*.
- Fiellin DA, Rosenheck RA, et al. (2001). Office-based treatment for opioid dependence: Reaching new patient populations. *American Journal of Psychiatry* .
- Fiellin D. (2007). The first three years of buprenorphine in the U.S.: Experience to date and future directions. *Journal of Addictive Medicine*. Retrieved January 22, from Academic Search Premier.
- Fiorentine, R. (2001). Counseling frequency and the effectiveness of outpatient drug treatment: Revisiting the

conclusion that “more is better”. American Journal of Drug and Alcohol Abuse.

Flynn, P. M. (2005). Issues in the assessment of personality disorders and substance abusers with the MCMI. In: Craig, R. J., Ed. New directions in interpreting the Millon clinical multi-axial inventory–III (MCMI–III). Hoboken, NJ: Wiley & Sons. Retrieved November 12, from Capella University Ebrary .

Franklin, J.E. (2004). Outpatient buprenorphine treatment for opioid addiction. Medscape coverage of the National Medical Association 2003 Annual Convention and Scientific Assembly. Retrieved April 2, from Medscape .

Gardner, E. (1997). Brain reward mechanisms. In Lowinson, J., et al., eds. Substance abuse:A comprehensive textbook. Baltimore, MD: Williams & Wilkins .

Gerra, G., Leonardi, C., D’Amore, A., Strepparola, G., Fagetti, R., et al. (2005). Treatment outcome in dually diagnosed heroin dependent patients: A retrospective study[Abstract]. Progress in neuro–psychopharmacology and biological psychiatry. Retrieved October 11, from Science Direct database.

Gossop M, Harris J, Best D, et al. (2003). Is attendance at Alcoholics Anonymous meetings after inpatient treatment

related to improved outcomes? A 6-month follow-up study. Alcohol.

Halikas JA, Crosby RD, Pearson VL, Graves NM. (1997). A randomized double-blind study of carbamazepine in the treatment of cocaine abuse. Clin Pharmacol Ther.

Higgins, E. T. (1987). Self-discrepancy: A theory relating self and affect. Psychological Review. Higgins, E. T. (1996). The self-digest: Self-knowledge serving self-regulatory function. Journal of Personality and Social Psychology .

Higgins, E. Tory. (1999). When do self-discrepancies have specific relations to emotions? The second-generation question of Tangney, Niedenthal, Covert, and Barlow (1998). Journal of Personality and Social Psychology .

Hubbard, R. L. (1997). Evaluation and outcome of treatment. In Lowinson, J., et al., eds. Substance abuse: a comprehensive textbook, 3rd Ed. Baltimore, MD: Williams & Wilkins .

Hubbard, R. L.; Craddock, S. G.; & Anderson, J. (2003). Overview of 5-year followup outcomes in the drug abuse treatment outcome studies (DATOS)[Abstract]. Journal of substance abuse treatment. Retrieved January 2, 2007 from www.datos.org.

- Hull, J. G., Levenson, R. W., & Young, R. D. (1981). The self-awareness reducing effects of alcohol consumption. Paper presented at the meeting of the American Psychological Association, Los Angeles .
- Leshner, A (1999). "Cocaine Abuse and Addiction." National Institute on Drug Abuse Research Report Series. NIH Publication Number 99-4342, Washington, D.C.
- Montoya, I., Schroeder, J., Preston, K., Covi, L., Umbrivht, A., Contoreggi, C., et al.
(2005) Influence of psychotherapy attendance on buprenorphine treatment outcome. Journal of Substance Abuse Treatment.
- Nowinski, J., Baker, S. & Carroll, K.M. (1995). Twelve step facilitation therapy manual: A clinical research guide for therapists treating individuals with alcohol abuse and dependence. Project MATCH Monograph Series, Vol. 1. DHHS Publication No.94- 3722. Rockville, MD: NIAAA.
- Saad, Subeih, saad (2006),” journeys to the second death –the spiritual care of drug addicts” Damascus, Al-Takween for distribution and publishing.
- Sayette, M. A. (2001). Parental alcoholism and the effects of alcohol on mediated semantic priming. Experimental and

- clinical psychopharmacology. Retrieved April 12, 2005 from PsycARTICLES database.
- Steele, C. M., & Josephs, R. A. (1988). Drinking your troubles away II: An attention-allocation model of alcohol's effect on psychological stress. *Journal of Abnormal Psychology*.
- Steele, C. M., Southwick, L., & Pagano, R. (1986). Drinking your troubles away: The role of activity in mediating alcohol's reduction of psychological stress. *Journal of Abnormal Psychology*.
- Stine, S et al. (1998). Buprenorphine maintenance treatment of opiate dependence: a multicenter, randomized clinical trial. Retrieved April. <http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/9684386> .
- Tiffany, S.T. (1990). A cognitive model of drug urges and drug-use behavior: Role of automatic and nonautomatic processes. *Psychological Review*.
- Ward, L. C. (1995). Correspondence of the MMPI-s and MCMI-II in male substance abusers. *Journal of personality assessment*. Retrieved January 12, 2007 from EBSCOhost database .
- Widiger, T. A. & Samuel, D. B. (2005). Evidence-based assessment of personality disorders. *Psychological*

assessment. Retrieved December 22, 2006 from PsycARTICLES database.

Wise, R. A. (1988). The neurobiology of craving: Implications for the understanding and treatment of addiction. *Journal of Abnormal Psychology*, Vol 2 .

Zuckerman, M., Eysenck, S., & Eysenck, H.J. (1978). Sensation Seeking in England and America: Cross-cultural, Age, and Sex Comparisons. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, Vol. 2.

Zuckerman, M. & Kuhlman, D.M. (2000). Personality and Risk-Taking: Common Biosocial Factors. *Journal of Personality*.

Teaching English Language to Arab Students: Problems and Remedies

Dr. Ahmed Ali Fadul Benyo

Salman Ibn Abdulaziz University, College of Science and Humanity Studies, Sulayil, Saudi Arabia

Abstract

Because of the cultural and social backgrounds of the students a teacher faces a lot of problems while teaching English to Arab students especially in Saudi Arabia. There are many reasons for this. The first and most important reason is that the Arab students have no knowledge of basic English although, they are taught English in schools. Perhaps the secondary school teachers do not pay attention towards the teaching of English. Whatever may be the reason for this but the teacher who teaches those students classes suffers and faces a lot of problems while teaching them courses in higher classes. On the other hand students look towards their teacher with great hope. They consider the teacher the most competent and think that their teacher would make them learn English very soon. If the teacher has little patience and is competent and intelligent he would handle the situation easily and achieve his goal. The plans, strategies and methods of teaching English to these students have been discussed in the research paper.

Introduction

Teaching a second and foreign language is not easy. But it can be taught effectively with patience hard work with the help of self invented methodologies and strategies suitable for one's students. Teacher should study the problems and difficulties faced his students in the process of learning English. Once the problems and difficulties are found out, the task of teaching becomes easy for an intelligent teacher. A competent, intelligent, hard working and co-operative teacher is necessary for learning a foreign/second language. A learner is lucky if he gets a competent teacher while learning a foreign language. When he starts learning a second or foreign language, a student faces a lot of problems. At this stage his teacher comes for his rescue. He tries to understand his student's problems, solves them and saves the students from depression. He frames syllabus suitable for his students, selects reading materials for them and creates a suitable environment for learning English in the classroom. While learning a foreign language, a student faces many fold problems like socio-cultural problems, unfamiliarity with the subject, different style of writing from his own language, pronunciation problem, problem in recognizing the alphabets etc. the socio-cultural background of a student plays a vital role in learning the foreign language. His culture is

totally different from the culture of the language which he is learning. A. Ansari (2008: 32).

This unawareness of the culture confuses the student. At this crucial stage his teacher comes for his help. The teacher tells him something about the culture, the way of the living of the people, and the linguistic nature and style of the second or foreign language. He also, makes his student familiar with the subject through the classroom practice .

Process of Learning

It is true that learning a language is a long process but, it is not tiresome. It is enjoyable but, the condition is that there should be a highly qualified and competent teacher. So, while appointing a teacher to teach EFL, the appointing authority should be careful.

They must be choosy in appointment of a teacher because, the learning of EFL totally depends efficiency and competency of the teacher. If a teacher is found incompetent he should immediately be replaced by a competent teacher. It does not mean that there should be any restriction on the teacher. In fact a teacher should be free in adopting a style of teaching in the classroom. Every teacher has a different style of teaching in classroom. If a student fails in learning or improving his linguistic knowledge, it does not mean that his teacher is not

good or incompetent. We can utmost, blame his style of teaching, not the teacher himself.

Tasks of an EFL Teacher

There are many methodologies and strategies for teaching of English. These methodologies keep on changing with the passage of time. For someone's method of teaching may be fashionable while, for other the same may be out of date. So, it is up to the teacher to choose a methodology of teaching according to the need of his students. The main aim of a teacher should develop the linguistic knowledge of his students. To achieve this goal, a teacher has to take the following steps:

.1A teacher should encourage students to learn a new vocabularies and their usages.

.2He must tell them how to consult the dictionary.

.3He must teach the students parts of speech. The students must know while, they are learning, the verbs, nouns, adjectives or adverbs.

.4The teacher makes students use the words in sentences. The sentences should be small and simple and of daily use.

.5To make the correct sentences, students should be taught structural patterns.

Background of the students

The ELF teaching is always affected by socio-cultural factors. Many Arab students attending EFL classes, come from the background where English is unknown. Of course they are taught English in their primary and secondary schools, but they are taught English only as a formality. Teachers as well as students take EFL lightly. They only need marks to pass the examination and they even pass the EFL examination by memorizing the answers without learning any English. Consequently, they spend their valuable years in schools without learning anything of English language. But, when they come to university or take admission professional courses like medical, nursing, computer science, engineering etc. They need English language because, they have to study everything in English. At this stage English becomes a problems for them.

At this problematic stage only an intelligent and competent teacher may come for their rescue. Unfortunately, if a student does not get a competent teacher, his interest in learning English will disappear forever.

Teacher's Activities in the Classroom

An EFL teacher should not be afraid of handling of these students in classroom. If he handles them carefully and patiently, he can achieve his goal. Actually to teach English to

students who do not have any English is a very difficult task. The teacher who teaches such students, has a great courage and patience. In a class of 30 or 35 students, if 75% of students do not know English or have no interest in English, the following things happen:

- .1The students do not understand anything what the teacher says or teaches.
- .2They lose their interest in EFL class.
- .3They think that it is the wastage of time.
- .4So, they do not respect the teacher.
- .5They start talking among themselves and making noise during class.
- .6Finally the teacher is fade up and gives up teaching

A teacher can overcome all these problems and handle the class successfully, if he takes the following points into consideration:

- .1Forget that you are teaching a higher class.
- .2Step down from your level.
- .3Start teaching the students from the lower level and go to higher level step by step.
- .4Teach something about the basics of English grammar and language.
- .5Ask short and simple questions on what you taught them.

.6Tell them to use the words in their own sentences.

Language Skills

When we say language teaching or language learning, we are concerned with the four skills. Astone, (1994:17.)

A. Reading.

B. Writing.

C. Speaking.

D. Listening.

All these four skills are very important and so, all of them should be taught with equal emphasis. All the four skills are related with one another. We cannot say that one particular skill is more important than others. In fact we cannot separate them from one another. Of course the method and the style of teaching of all the four skills are different.

Teaching of Reading

To teach Reading skill for an Arab student, a teacher should apply the following methods:

.1Forget the prescribed syllabus for sometimes, teach them whatever you think necessary for your students.

.2Make them revise the alphabets of English. Teach them capital and small letters and then jingle words.

.3Dictate and encourage them to write words.

.4Tell them to read, first silently and then loudly, what they have written.

.5Collect all the papers from students and then distribute them among the students, tell them to correct the papers of their classmates.

.6Finally, collect all the papers and correct them and indicate their mistakes.

.7After words, make them write small sentences and gradually move towards longer and complex sentences.

Apply the above mentioned method in reading and correcting sentences. In this way students will be encouraged to read and write. This systematic way of teaching will create interest in them to learn English. As a teacher it is our foremost duty to make the subject easy and interesting for students. If we apply all these methods in class-room teaching, our subject will become easy for students and they will have a zeal to learn English.

Teaching of English Writing

Teaching English Writing to ELF students is not easy. It is a challenging task. While teaching an EFL a teacher faces a lot of problems. More than 50% of students do not know how to write English. Most of them are unaware of the cursive writing. To solve the problems we have to take practical approaches while

teaching an EFL class. Before we start teaching of English writing you should do the following things:

.1Teach them how to use the right stroke while writing anything in English. Wrong strokes make the writing slow and ugly.

.2Make them learn cursive writing. Most of Arab students do not know cursive writing. Two or three lectures should be devoted to this task.

.3Dictate them to write sentences; simple, short and then long sentences.

.4Dictate some words and tell students to use them in their own sentences.

.5Encourage them to learn more and more words with correct spelling.

.6Students should be given a lot of class-work as well as home work on writing because, practice makes the students good writers.

Teaching of Speaking

In the process of teaching of speaking, a teacher is very important because, he is a model for his students. It is from him that students directly listen the spoken English. Many of the students do not find opportunity to hear English from the mouth of a native speaker. It is the teacher who directly speaks to his students in English. This is the first hand experience of spoken

English for students. So, a teacher automatically, becomes a model for his students. What and how he speaks becomes the final word for student. So, a teacher should really try to be a real model for students. For this a teacher has to do something to improve his ability as an English teacher so that he may become a really good model for his student. Thus, we see that a teacher has double duty. One is how to teach spoken English to his students and the other is how to improve his own speaking ability.

While teaching spoken English, a teacher should do the following things:

- .1Have confidence in your speaking ability.
- .2Have confidence that whatever you are teaching is good English.
- .3You must have a spirit of self improvement.
- .4Always be ready to correct the mistakes made by your students.
- .5Give special attention towards the pronunciation of a word by students.
- .6Try to expose your students to other sources of spoken English. For this make them to listen to radio, tape record, show them CD on TV.

.7 Give a topic and tell your students to prepare a presentation. Tell them to speak on the topic one by one before the class. It should be followed by a question – answer session and discussion. This will improve the speaking power as well as listening ability of students.

.8 Check the students' speed of speaking. If they are speaking slowly, it means they are lacking confidence. Make them confident and train them to speak fast without caring any grammatical or any other mistakes. Once they gain confidence, they will start speaking better.

Teaching of Listening

Listening is another important skill in the process of EFL. It is controlled action. We listen to something for meaning and to understand it. To teach and improve listening skill of students, a teacher must do the following two things:

Firstly, the teacher must provide his students model of good pronunciation. Good pronunciation is very important for learning listening skill.

Secondly, he must make a special effort to expose his class to as many different accent as he can.

While learning listening skill it is necessary to listen carefully. So, make it habit of your students to listen everything carefully.

The most important element in learning to listen effectively in a second or foreign language is confidence, which comes from practice. The role of a teacher is to provide as much as positive practice as possibly by speaking to learners in English, by exposing them to a range of listening materials in the classroom, and by encouraging them to use whatever resources are available in their institution or community. Underwood (1989: 52.)

All the above mentioned four skills are very important. It is true that learning reading and writing skills make students pass the examination but, in their practical lives, speaking and listening are equally important. But this division of language is not natural. We divide this only for our convenience. As teachers, we divide language into four skills only to divide and share our teaching loads. To say that Mr. X is an expert in writing skill and Mr. Y is an expert in speaking or listening skill is not proper. Language should not be divided like that. It should be taught as an integrated course. We should not forget that all the four skills are related to one another and teaching of all the four skills is very important for the students. So, instead of teaching four or five classes, one teacher should teach all the four skills to one class so that he will be well aware of the overall progress of his students. Making sure that all the four

skills are taught by one teacher and that they are taught, so that they support each other is all part of the concept of integrated English, which you may have come across.

Methods of Teaching

While teaching EFL, a teacher uses a lot of methods, strategies, techniques and styles. This usage of different techniques is called methodology. Methodology means the way of teaching. There are many methods of teaching which are used by the teacher according to the need of students. Students of different levels need different methods. Beginners need different methods of teaching from those students who have been learning EFL for a long time. Those who need the language as a medium of instruction have to be taught differently from those who only need as a subject. The teaching of English has largest number of different methodologies. Moreover, methodologies have also, kept changing over the years. Some methods have become fashionable, whereas others have become out dated.

Out of these largest number of different methods of teaching English language, there are three universally recognized methods:

- .1 Grammar – Translation Method.
- .2 The Communicative Method.
- .3 The Direct Method.

Grammar Translation Method

This is the oldest and classical method of teaching English language. For many years English was taught by the use of rules of grammar and list of vocabulary. The students had to memorize the grammar rules and long list of words. Then, they were asked to translate the sentences or passages from one language into the other. Moreover, some of the rules taught to students were not applicable in modern English because, they were rules of the dead languages like Greek and Latin. It is surprising that this method remained in practice for a long time. It may be due to the limited aim of teaching English. At that time English was taught to students who wanted to learn only how to read and write the language. Speaking and listening are not necessary for them. They were not supposed to meet the native speakers to converse with them. Also, may be the unavailability of tape recorders, cassettes, films etc. Larsen (2011:13.)

Communicative Method

This is the recent method used in English Language Teaching. In this method spoken English is given more weight than reading or writing English. The method is emphasized that students can communicate easily in English. Through this method students do not learn English properly. It provides

shallow knowledge to students, because they do not learn to read or write. Also, do not have efficient knowledge of grammar. But the communicative English has some advantages. It gives students the satisfaction of being able to achieve something of the language. Brumfit (1980:70.)

In communicative Method students are taught how to greet, how to ask ordinary questions, to understand the answer and to talk about the things of our daily life. This method useful for the students in their daily lives. This method works the best when students have opportunity to use English outside classroom in their public lives.

Direct Method

This is the most recent English teaching method. In this method students are taught through English medium. The teacher does not speak any other language in the classroom. The meaning of language conveyed directly in English language so, it is called direct method. It is easy to use Direct Method in the class but, it needs a careful plan before teaching in the classroom. A teacher has to make a plan about what and which lesson he must teach first. For example, if a teacher is teaching vocabulary he has to plan which words should introduce first. In this method, we use audio-lingual equipment

Conclusion

Thus, we see that there are many different methods to teach the four skills. Which skill, out of the four is the most important depends on the purpose of the learners. But, from the technical point of view, reading and writing skills are the most important. So, the emphasis should be on reading and writing. If a student learns how to read words or sentences, he would automatically become able to write and speak English. If he does not know how to read and listening words would fall flat on his ears. He will not understand anything because, he is not acquainted with words or sentences in English. So, first of all, a student of EFL should be trained in reading the English alphabets, words and sentences. To teach EFL a teacher must have patience. In Saudi Arabia there is no environment of English language. Here English is not a serious subject, so students as well as Saudi teachers take it lightly. Students are not taught English in proper way in their schools. When they come to universities to study professional courses, all of them have to study everything in English and so suddenly English become very important for them. At this stage students are frustrated. They want to learn English but they are hopeless because they do not know how to

read and write English properly. Consequently, they lose interest in English language and consider it the most difficult subject. At this stage a teacher plays a valid role. If a teacher is dedicated, competent, intelligent and understands the psychology of students, he rescues his students from their frustration. To teach grammar and composition to students having the knowledge of English language is very easy but, to prepare students for English language is the most difficult task. The progress of these students in learning English language totally depends on the competent teachers and the curriculum they are taught.

References

- Alderson JC, A Urquhart (1984). *Reading in a Foreign Language*. Longman, London.
- A. A Ansari (2008). *Teaching of English*. Aligarh, India.
- Batsone R (1994). *Grammar*. Oxford University Press, Oxford.
- Brumfit C J (1980). *Problems and principles in English Teaching*. Oxford, Pergamon.
- Diane Larsen, M Anderson (2011). *Techniques and principles in Language Teaching*. Oxford University Press, Oxford.

Nunan D (1991). *Language Teaching Methodology*. A Textbook for Teachers.

Underwood M (1989). *Teaching Listening*. Longman, London .